

عدد خاص

أين قبر الشهيد
المهدي بنبركة؟!

80-79-78-77

الطريق
جريدة أسبوعية شاملة
www.attarik.net

فيدرالية اليسار على
خطى الوحدة

2

المدير المسؤول : عبد الواحد المهتاني - رئيس التحرير : يزيد البركة - الخميس 29 أكتوبر 2020 م / 12 ربيع الأول 1442 هـ - العدد : 334 - الثمن : 5.00 دراهم

الصحراء المغربية.. بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

من 7 إلى 58 ص

- حوارات مع فاعلين من قلب الصحراء.
- تاريخ النزاع وسط الصحراء.
- الأطماع الخارجية ومطبات تدبير الدولة.
- مداخل تحصين الوحدة الترابية.
- استشراف مستقبل الديمقراطية والتنمية في الصحراء المغربية.

فيدرالية اليسار الديمقراطي على خطى وحدة مكوناتها

تجدد الفيدرالية التذكير بمسؤولية الدولتين
المغربية والفرنسية في كشف الحقائق المرتبطة
بجريمة اختطاف الشهيد المهدي بنبركة



عقدت الهيئة التنفيذية لفيدرالية اليسار الديمقراطي اجتماعها الدوري بالدار البيضاء يوم 25 أكتوبر 2020، الذي تزامن مع الذكرى الخامسة والخمسين لاختطاف واغتيال الشهيد المهدي بنبركة، وبهذه المناسبة تجددت الهيئة التنفيذية التذكير بمسؤولية الدولتين المغربية والفرنسية في كشف الحقائق المرتبطة بتلك الجريمة النكراء، التي ارتكبتها أعداء حركتي التحرر الوطني المغربية والعالمية، واندرجت في سياق المرحلة السوداء التي ساد فيها الاستبداد المطلق المسؤول عن كل المآسي التي عانت منها الأغلبية الساحقة للشعب المغربي، والتي لا يمكن طي صفحاتها دون استجابة الدولة لمتطلبات الحقيقة والإنصاف، وإقرار الديمقراطية الحقيقية وشروط عدم التكرار.

كما نددت الفيدرالية بمحاكمة الصحفيين والمدونين النشطاء والتضييق على الحريات ومنها منع وقيود الجبهة الاجتماعية المغربية في العديد من المدن. في سياق آخر عبرت الهيئة التنفيذية عن رفضها واستنكارها للإجراءات الحكومية المدرجة في مشروع قانون المالية، والتي تحمل أعباء الأزمة للفئات الاجتماعية المستنزفة، بفرض ضريبة جديدة سميت ضريبة التضامن الوطني، واللجوء المفرط للاستدانة، وتجميد الترقيات وتقليص التوظيف وهي الإجراءات السهلة التي تلجأ إليها باستمرار، بدل إصلاح ضريبي متكافئ ومتضامن وفرض المساهمة على مراكمي الثروة والقضاء على اقتصاد الريع من خلال إحداث ضريبة على الثروة ومحاربة فعلية للفساد ونهب الأموال العمومية.

وقد أكدت الفيدرالية على مقترحاتها ومطالبها التي تضمنتها مذكرتها لوزارة الداخلية حول الشروط والتدابير اللازمة والكفيلة بتحضير إجراء انتخابات حرة ونزيهة وذات مصداقية، وفي مقدمتها تصفية الأجواء المجتمعية بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين والصحفيين، وإحداث هيئة مستقلة للإشراف على الانتخابات، كما هو الحال في أغلبية البلدان الديمقراطية، وتحفيز الشباب على المشاركة السياسية بالتوعية الإعلامية والتسجيل الأوتوماتيكي للبالغين سن التصويت انطلاقا من بطاقة التعريف الوطنية؛ وفي هذا السياق تستغرب الجدل المصطنع حول القاسم الانتخابي الذي يعكس انحباس الحقل السياسي وأزمة الأحزاب الحكومية.

فيما يتعلق بالقضية الوطنية فقد عبرت الفيدرالية عن انشغالها باستفزاز الجبهة الانفصالية للمغرب دولة وشعبا بما أقدمت عليه في المنطقة الحدودية العازلة (الكركرات)، والهادفة للمس بالسيادة الوطنية ومحاولة فصل المغرب عن عمقه الإفريقي الشيء الذي يتطلب الحزم في التصدي لهذه المناورات والضغط على الأمم المتحدة لوضع حد لها.

على المستويين العربي والدولي، أدانت فيدرالية اليسار الديمقراطي إقدام الحكومة السودانية على تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، وتعتبر هذه الخطوة طعنة جديدة في ظهر الشعب الفلسطيني ومقاومته المشروعة للاحتلال لاسترجاع حقوقه المغتصبة في التحرير وعودة اللاجئين وبناء دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

وختاما سجلت الهيئة التنفيذية الروح الإيجابية التي طبعت مناقشة أعضائها للوضع الداخلي لفيدرالية وأفاق عملها، والتي تميزت بالوضوح والصرامة، والتأكيد على تشبث الجميع بمشروع بناء الحزب اليساري الكبير، وعلى تنفيذ القرارات التي اتخذتها هيئاتها التقريرية، وتحيي الخطوات والجهود المبذولة في هذا الإطار، كما تثمن العمل المشترك بين مكوناتها محليا وقطاعيا ووطنيا، وتدعو جميع مناضلاتها ومناضليها إلى مواصلة العمل الوحدوي بجدية ومسؤولية، وقررت بهذا الصدد استكمال مناقشاتها في اجتماعها المقبل.

الافتتاحية :

أفاق غامضة ونضالات مستمرة ومتصاعدة

في كل سنة، وفي مثل هاته الفترة بالضبط، يحشر مجلس الأمن أنه في ملف الوحدة الترابية للمغرب، وهي مناسبة أيضا اعتدنا فيها تجدد مناورات الجارة الشقيقة الجزائر بافتعال مشاكل جديدة بالمنطقة وتحريك أتباعها في البوليساريو لإثارة الانتباه، على سبيل المثال لا الحصر ما يحدث مؤخرا بممر الكركرات. وتذكر في هذا السياق ما أكده الشهيد عمر بنجلون أكثر من مرة مع بداية اعتزام المغرب استرجاع الصحراء، على أن تحرير الأرض مرتبط ارتباطا وثيقا بتحرير الإنسان، ولو تم أخذ الموضوع بهذا الربط الجدلي، لكننا في غنى عن كثير من المطبات والمزلقات الخارجية والداخلية التي نتخبط فيها، فقط لو ركزنا على استرجاع الأرض دون تهميش وإقصاء الإنسان، وعدم تركيز الثروة في ركنة واحدة.. حالنا الآن لا يسر أحدا، إذ ما تزال الدولة والحكومة تنظران إلى قضايا الإنسان بمنظار متعالي يهمل القدرات البشرية ومطامحها في الديمقراطية والتنمية. فبالرغم من المكاسب الجزئية التي حققها المغرب بعد عودته للاتحاد الإفريقي، فإن المخاطر لازالت تهدد سيادته الوطنية على الأقاليم الصحراوية، بسبب تصعيد الجزائر التي لم تستسغ فتح دول إفريقية لفضليتها مدينتي العيون والداخلية، والشروع في تنفيذ مخطط تنموي لتلك الأقاليم، يتضمن إقامة ميناء كبير شمال مدينة الداخلة، سيشكل منعطفا في التعاون مع بلدان غرب إفريقيا. إن الصراع حول الحدود والصحراء له أبعاد استراتيجية واقتصادية، والانتصار فيه يتوقف على تعبئة الشعب المغربي بكل مكوناته، لهذا ربط حزب الطليعة بين التحرير والديمقراطية، من جهة لامتصاص المخطط الانفصالي، ومن جهة أخرى لضمان الانخراط القوي للجماهير الصحراوية في الدفاع عن الوحدة الترابية، بشبابها ونسائها وصحوة مكوناتها ونخبها، والتي استوعبت أن النفس الوحدوي المشترك في بناء الديمقراطية والتنمية هو مدخل تحرير الأرض والإنسان.

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فمن المألوف أن يعرف شهر أكتوبر من كل سنة نقاشا عموميا وبرلمانيا حول الدخول السياسي والاجتماعي، وما يميزه من مستجدات هذه السنة، بالإضافة للنقاش حول مشروع قانون المالية، أن هناك أيضا إجراءات حكومية جديدة لتدبير تداعيات الجائحة على الاقتصاد والمجتمع، وأبرزها خطة الإنعاش الاقتصادي والتغطية الاجتماعية، كما أن التحضيرات المتعلقة بالانتخابات القادمة، تجعل دخول هذه السنة دخولا استثنائيا بامتياز.

بالنسبة لمشروع القانون المالي لسنة 2021، يلاحظ أن الحكومة وكعادتها، ورغم خطورة تداعيات الوباء على الأغلبية الساحقة من الشعب المغربي، وخاصة الطبقة العاملة وعموم الكادحين، والذين اكتتوا بنار الأزمة، لجأت الحكومة لسن إجراءات تقشفية، وفرض ما سمته ضريبة التضامن الوطني على الأجورين، مما سيؤثر على قدرتهم الشرائية الضعيفة أصلا، وبالتالي التأثير السلبي على الطلب الإجمالي والدورة الاقتصادية بالنتيجة. إن تبرير وزير المالية لهذه الضريبة بالأزمة المالية يتجاهل استمرار الحكومة في إغداق ميزانية ضخمة على أرباب الشركات الكبرى، وإعفاء الثروات الكبرى من المساهمة في واجب التضامن الوطني، في تناقض صارخ مع الاستمرار في تحميل أعباء الأزمة للأجراء والفئات الوسطى، وغض الطرف عن تهرب وطمس أغلبية أرباب المقاولات من أداء الضرائب. إنه انحباز واضح للبورجوازية الريعانية التي تستغل جميع الأزمات لمراكمة ثرواتها دون حسيب أو رقيب، ويبقى شعار محاربة الفساد الذي تروج له المؤسسات الرسمية مجرد لافتة للدعاية الخارجية.

في هذا السياق، وأمام تجميد الحكومة للتوظيف، وترقية الموظفين، وانفراد وزراءها بتمرير سياسات قطاعية ذات مضاعفات كارثية على الأوضاع الاجتماعية في تنكر واضح للحوار الاجتماعي، لا بد من أمام النقابات المهنية إلا الاحتجاج وتصعيد النضال للدفاع عن مطالبها المشروعة، والتعبير عما لحقها من أضرار بالغة الخطورة جراء انتشار وباء كورونا المتسارع. أما مبلغ 120 مليار درهم، الذي أعلن عنه لإنعاش الاقتصاد، وإنقاذ المقاولات من الإفلاس، فإنه ورغم أهميته، إذا تم تدبيره بنفس الطرق المخزنية المعتادة، في غياب الوضوح والشفافية والحكامة الجيدة، فلن تكون النتائج الاجتماعية أفضل مما جرى سابقا، كما حصل بالنسبة للمبالغ الطائلة التي تم نهبها بطرق ملتوية من ميزانية البرنامج الاستعجالي في قطاع التربية والتعليم، والمبالغ التي رصدت لما سمي بالتنمية البشرية، والتي فضحت الجائحة مردوديتها الاجتماعية الهزيلة والمخجلة.

في سياق مواز، ارتفعت حدة النقاش حول التعديلات التي تعمل وزارة الداخلية على إدخالها في القوانين الانتخابية، وخاصة ما يتعلق بالحاصل الانتخابي، والذي صار بين عشية وضحاها تلك الشجرة التي تغطي الغابة، غابة آليات وأساليب صنع الخريطة السياسية على مقاس أهداف الطبقة الحاكمة. وبدل الأخذ بالاعتبارات الوجيهة والموضوعية التي تقدمت بها فيدرالية اليسار الديمقراطي في مذكرتها لوزارة الداخلية، وأهمها تصفية الأجواء بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والصحفيين، وتكوين لجنة وطنية مستقلة للإشراف على الانتخابات كما هو معمول به في أغلب البلدان الديمقراطية، والتسجيل الأوتوماتيكي للبالغين سن التصويت، واقترحات أخرى عديدة، بدل ذلك، تكشف مناورات الأحزاب الخاضعة لتوجيه الدولة العميقة أن الأفاق غامضة وغير مطمئنة، وبالتالي ما لم يتحقق بالنضال، لن يتحقق إلا مزيد من النضال، وبالربط الجدلي بين القضية الديمقراطية والمسألة الاجتماعية. إنه قدر اليسار الديمقراطي أن يناضل على جميع الواجهات ويخوض مختلف أشكال النضال لإنجاز التغيير الديمقراطي في أفق تحقيق مشروعه المجتمعي.

بصوت مرتفع

هدنة كورونا.. ماهي طبيعة الصراع الاجتماعي في زمن الوباء؟

♦ محمد امباركي



المنقسمة، مشاريع قوانين تراجعية وفي ذات الوقت تدبر الصمود من أجل الحفاظ على الحد الأدنى من الحقوق الشغلية في ظل العواقب الوخيمة لآثار الجائحة على العمال والعمالات، ثم ولادة جبهة اجتماعية ظلت عاجزة عن بعث ديناميات نضالية قوية وذلك نظرا لحداتها وحاجتها الى التراكم الكمي والنوعي أفقيا وعموديا. من جانب آخر فتعطيل كورونا للأنشطة الثقافية المرئية والحضورية لا يمنح للمثقفين أفرادا وجماعات الحق في الارتكان إلى الهدنة وتجميد الزمن الثقافي كزمن نقدي للسلطة ومختلف مظاهر القهر الاجتماعي والتخلف الثقافي.

إن من تجليات التدبير الممركز للحظة الوبائية فرض هدنة شاملة، سواء على مستوى الحقل الحزبي حيث الانشغال بالجدولة والقاسم الانتخابيين خارج الانشغال بجدوى اللحظة الانتخابية وتنافسيتها وتأثيرها في القرارات الاستراتيجية، في انتظار الوصفة التي يحضرها مطبخ لجنة النموذج التنموي الجديد. ربما نجد أنفسنا أمام إعادة إنتاج حقل حزبي بارد وأكثر ميوعة ونفورا خاصة وأن بعض العروض السياسية التي شكلت قبلة تعاطف اجتماعي واسع وخاصة مشروع فيدرالية اليسار الديمقراطي، الذي حاول أن يستلهم الدروس من التجربة الغنية للحركة التقدمية المغربية من خلال الربط الخلاق والمؤثر بين النضال الجماهيري والعمل المؤسساتي، توقف عند عقبة التردد وهدر الزمن السياسي وتباين القراءات والتقدير، التي ترجمت بشكل واضح استمرار بعض أوجه الأزمة المركبة للياسر المغربي الذي ظل وفيما للبعض من سماته التاريخية، ومنها قدرته الفريدة على الهدم من خلال تصدير خلافاته التنظيمية للإعلام، ظنا منه أن التسويق الخارجي لخلافاته سيصنع منه

موضوعا عموميا وتداولوا مجتمعا يحقق له الاكتساح السياسي المأمول، ومن جهة ثانية عجزه التاريخي عن إعادة البناء واستكمال حلقات النضج الفكري والسياسي والتنظيمي لتقاربه بما يمكنه من تحقيق التعبئة المجتمعية الضرورية التي لا تتوقف عند منتصف الطريق، بل تصل الى نهايتها في تفكيك بنيات الاستبداد واستعادة الثقة في العمل الحزبي والسياسي.. أمام هذا

العجز في الانتصار على الذات انتصارا موضوعيا يسود منطق الهدنة من طرف واحد، وقد يلجأ هذا الطرف الى مبررات مختلفة في كل مرحلة وحين حسب المتطلبات الداخلية والخارجية وميزان القوى، أو كمال قال الشهيد المهدي بن بركة وهو يشخص مشكلة الديمقراطية في المغرب "وكان المبرر الذي يلتجأ إليه (أي الحكم) لتعليل فقدان المقاييس هو أن الجهود يجب أن تتضافر لمواجهة كبريات القضايا الوطنية، وأنه لم يحن بعد موعد الديمقراطية..". (الاختيار الثوري ص 58).. حقيقة تصر معضلة الديمقراطية في بلادنا على أن تراوح مكانها تاريخيا في ظل توافقات وتسويات لم تتجاوز التسويق لديمقراطية - الجرعات - مع العلم أن الديمقراطية لا يمكن أن تكون يافطة أو واجهة سياحية، بل يجب أن تكون حقيقة تفتح في وجه الجميع حظوظ التقدم والثقافة، وهي تستلزم نظاما للمجتمع يقوم على تغيير جذري لأسس بنائه..." (الاختيار الثوري ص 10).

لن نجانب الصواب إذا قلنا أنه في المرحلة الوبائية لم تطرأ تحولات نوعية على طبيعة الصراع الاجتماعي ومعركة النضال من أجل الديمقراطية، اللهم أن ميزان القوى المختل أصلا لصالح التحالف الطبقي المسيطر ازدادا اختلالا، بشكل جعل من هذا التحالف يسعى جاهدا لاستغلال هذه اللحظة للمزيد من تقنين ومأسسة استفراده بالسلطة والثروة على المستويات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك بشكل يتنافى مع الخطاب الذي رافق دخول الجائحة الى بلادنا والحديث عن التعبئة المجتمعية لامتطاء سفينة النجاة الجماعية من الغرق، وبالتالي الحاجة الى تأجيل كل الأولويات أمام قوة الفيروس غير المرئي، بشكل ساد فيه نوع من توازن "الرعب" بين القوى الاجتماعية المتصارعة في المجتمع وكذلك "تفاؤل الإرادة" - بتعبير غرامشي- في التدشين لمقومات تعاهد سياسي واجتماعي ممكن، يعيد الثقة في المؤسسات ويحول دون استمرار حذر وتوجس المغاربة من السلطة وامتداداتها الترابية والمؤسساتية، والخوف من الموت المبكر أمام هشاشة المنظومة الصحية ونخوية العلاج... لكن تطور الأحداث والممارسات فرض - بلغة غرامشي دائما - نوعا من "تشاؤم العقل" من حيث هيمنة سياسة إدخال الطلب الاجتماعي على كرامة العيش إلى "التلاجة" وتعطيل كل الانتظارات ومواجهة التعابير الاحتجاجية عنها بلغة القمع والتضييق والمحاکمات بتهم جاهزة ومتنوعة، حيث كان المشترك والغريب في هذه التهم أن كل ضحاياها مغضوب عليهم من طرف السلطة وظلوا تحت مراقبة "كاميراتها الخفية" ! ولا شك أن كل هذه الوقائع توحى باستمرار الدعوة الى هدنة غير متكافئة تحكمها سياسة ربح الوقت وتمنيع جيوب الاستبداد والفساد واستبعاد أية إمكانية تأسيسية قائمة على منطق التفاوض والتوافق تنتجها التطورات الموضوعية للصراع الديمقراطي.

لكن، ماهي مظاهر الهدنة "الكورونايالية" - إن صح التعبير - ؟

طالما قلنا أن هيمنة منطق الهدنة والتوافق غير المتكافئ في الحقل السياسي، لا يمنع الحقل الاجتماعي من صناعة مقاوماته المضادة لكل أشكال "الحكرة" والتهميش والإبعاد الاجتماعي.. حقيقة أن التحالف الطبقي السائد يعي هذه الحقيقة ويستعد لها قبليا وبشكل جيد في اتجاه أن يظل كل حراك اجتماعي منفلتا من أي أفق سياسي منظم قادر على المفاوضة وقلب الطاولة.

وفي الواقع، إن كل السياسات ومشاريع القوانين تتجه نحو ضبط الكمون الاحتجاجي المتراكم على ضوء التداخليات الاقتصادية والاجتماعية للجائحة، وأن يظل احتجاجا بالقوة وليس بالفعل، لكن هذه الاستراتيجية

غير مضمونة العواقب، فلما يحتج جنود الجبهة الأمامية في مواجهة الجائحة أي أطباء القطاع العام من خلال إطاراتهم النقابية والجموعية، فهذا معطى يجب الوقوف عنده بكل جدية، ف"عصيان" الجسم الطبي ليس هزيمة أمام قوة الفيروس غير المرئي، بل رفضا للغة الخشب والتسويق لوزارة الصحة التي وعدت بدعم هذه الفئة وتحفيزها، فوجدت هذه الأخيرة نفسها محرومة من الحق في الراحة والتعويض عن مخاطر الجائحة حيث يتساقط الضحايا من الأطباء والممرضين نتيجة الفيروس اللعين كما تتساقط أوراق الخريف. وبالتالي فإن القطاع الاجتماعي الاستراتيجي والمفروض أن يحظى بالدعم والعناية غير المشروطين يشهد تصاعد الاحتجاجات ويجد نفسه مرغما على "خرق" مناخ الهدنة، لما تحول الخطاب الرسمي التنبؤي إلى خطاب منته الصلاحية من خلال نكث الوعود.

كما تتقاطع داخل الحقل الاجتماعي والثقافي في زمن كورونا، ثلاث لحظات مهمة لكنها غير قادرة على هدم أسس الهدنة غير المتكافئة، حيث من جهة أولى تقاوم الحركة النقابية



مؤشرات الظرف السياسي..

وإعاقات تغيير ديمقراطي منشود



♦ عبد الغني القباج



قد يبرر النظام السياسي الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشعب المغربي، وخصوصاً الطبقات الشعبية الكادحة والمحرومة، بجائحة "كورونا".. مع أن هذه الجائحة مكنت النظام السياسي من تقوية سلطوته، واستبداده، هذا ما يفرض علينا تشريحا دقيقا لتطورات الوضع بالمغرب، لتمثل آليات التغيير.

1 - إعاقات التغيير الديمقراطي

لكن ما لم يستطع تبريره النظام السياسي، هو أنه لم ينجح، منذ إسقاط حكومة عبد الله إبراهيم في ماي 1960، بسياسته السلطوية، وبحكوماته المتعاقبة، في تجاوز التخلف الاجتماعي والفقير.. وفي استئصال الفساد.. لذلك استمرت إعاقه ضرورة التغيير الديمقراطي الحقيقي، كأساس جوهري لتجاوز أسباب الأزمة الاجتماعية والتخلف الاجتماعي. وبالتالي تواصلت مؤشرات الفقر والتنمية الاجتماعية (الشغل، التعليم، الصحة، السكن...) تراوح مكانها في ذيل الترتيب العالمي ومحاربة الفساد في مراتب متأخرة.

1 - مؤشرات اقتصادية واجتماعية مقلقة

كشف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD)، فيما يخص التنمية البشرية لعام 2019، أن المغرب يحتل المرتبة 121 من بين 189 دولة. ويؤكد التقرير أن 29% فقط من النساء البالغات في المغرب يلتحقن بالمدارس الثانوية، في حين أن نسبة الرجال الملتحقين بالمدارس الثانوية يصل فقط إلى 35.6%. ونسبة مشاركة النساء في البرلمان، لا تتجاوز 18.4% في المائة من المقاعد البرلمانية بالرغم من آلية لائحة الكوتا. في هذا الواقع، استمرت نسبة الفقر مرتفعة في المغرب، تؤكدتها إعاقه التنمية الاجتماعية ومؤشراتها:

- **الفقر المدقع** في المغرب حوالي 25% وفقا لإحصاء الفقر والأرقام الرسمية، أي أكثر من 8 ملايين و500 ألف مواطن ومواطنة، الذين استفادوا مما يسمى بالتغطية الصحية "راميد". والجميع يعرف المشاكل التي يعاني منها المواطنين والمواطنات الفقراء والمحرومون مع الخدمات الصحية "راميد". إضافة إلى أن 45% من الشعب المغربي يعيشون في أوضاع الهشاشة الاجتماعية، التي عرّتها جائحة كورونا.. إضافة إلى استمرار الفساد والرشوة في واقع الخدمات الصحية العمومية، وارتفاع أسعار عيادة أطباء القطاع الخاص والدواء.

- **نسبة البطالة** بلغت 14.8% هذه السنة، مع استمرار معاناة الشعب المغربي من جائحة "كورونا"، مما أصبحت معه الهشاشة الاجتماعية عالية.

- الناتج الفردي الخام ضعيف واستمر في التدهور، وبالتالي فالدخل الوطني الإجمالي للفرد في التصنيف الجديد 2020-2021، والمغرب لا يزال في فئة "الدخل المتوسط الأدنى"، إذ لا

إلى التلف والتدهور. وحسب الخبير المغربي، الدكتور محمد الرجالي، فقد فقدت بين عامي 1951 و1992، ألف هكتار، وتقلصت الغابات في شمال المغرب بنسبة 45% في الأربعين سنة الماضية بسبب زراعات القنب الهندي والحرائق.

أما في الجنوب فزحف الرمال الصحراوية أقي على 280 ألف هكتار من المساحات الخضراء، و30 ألف هكتار من غابات شجر الأركان، التي لا توجد إلا في المغرب، تم إتلافها بسبب جشع أصحاب الضيعات الكبيرة.

وأُتلف الزحف العمراني فضاءات خضراء كبيرة بسبب توسع المدن عشوائيا وجشع مصالح برجوازية العقار وبناء العمارات والقصور والفيلات.

وحسب دراسات المندوبية السامية للمياه والغابات، فإن أسباب هذا الوضع متعددة، ويقف على رأسها أن الغابة بالمغرب هي المصدر الرئيسي للطاقة لدى سكان القرى، ويستهلك المغاربة سنويا حوالي 10 ملايين متر مكعب من الحطب، إضافة إلى الرعي، مما يسبب تدهور الغابة بالمغرب، إذ إن 40% من مساحة المغرب مخصص للرعي. وتُدْمَر الحرائق مساحات الغابة، إذ قضت على 2700 هكتار بين عامي 1990 و2007.

- **مؤشر مقلق للسكن غير اللائق** (logement in-salubre) دور الصفيح.. فتقرير المجلس الأعلى للحسابات، يونيو 2020، انتقد هذا الواقع وبرنامج الحكومة، "مدن بدون صفيح" منذ 2008 إلى 2018، لعدم التزامها بالقضاء على دور الصفيح (البراريك) في المغرب. وحسب هذا التقرير، فقد ارتفع عدد الأسر القاطنة في دور الصفيح، لـ "عدم التزام الدولة والحكومة بالقضاء على السكن غير اللائق، وعلى دور الصفيح قبل 2010، وقد مرت اليوم 10 سنوات ولازال متوسط ازدياد عدد الأسر القاطنة بالبراريك، سنويا، يصل إلى 10 آلاف أسرة، أدى، ذلك، إلى زيادة 202 ألف أسرة قاطنة

يتجاوز هذا الدخل حوالي 1200 درهم.. لعموم أفراد الطبقة المتوسطة.. أما الفئات الاجتماعية الفقيرة والمحرومة، فإن أفرادها يعيشون بين الفقر والفقير المدقع.. ولا يستمرون في الحياة، وتوفير السكن، والأكل والدواء وشروط الحياة، سوى بأقل من دولارين (19 درهم) في اليوم..

- **عمل الأطفال**: يوجد في المغرب، حسب "المندوبية السامية للتخطيط"، 200 000 طفل يقومون بأشغال شاقة من بين 7 271 000 طفل تتراوح أعمارهم بين 7 و17 سنة. ومن بين الأطفال الذين يضطرونهم واقع عيشهم للعمل، 119,000 طفل تمارس عليهم أعمال خطيرة، وهو رقم يبلغ 1.6% من أطفال المغرب، منهم 74.4% في مناطق قروية، و84% من الذكور، و75.6% تتراوح أعمارهم بين 15 و17 سنة. وتصل نسبة الأطفال المغاربة الذين يعانون من الحرمان الشديد 45.7، وفق تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لسنة 2019. ولا زال المغرب يعاني من مشكل زواج القاصرات، والعنف ضد النساء وعدم مساواة المرأة بالرجل..

ومن المؤشرات التي تعبر، كذلك، عن واقع الفقر، الذي نُعائنها ونعيشها في حياة وواقع فئات عريضة من الطبقات الشعبية:

- **مؤشر وفيات الأطفال والنساء الحوامل** (تقرير المندوبية السامية للتخطيط، مؤسسة رسمية، لسنة 2019، أقر بأن معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة وصل إلى نسبة 22.2 في الألف سنة 2018، وأن المغرب "لا يزال متأخرا في هذا المجال مقارنة مع بعض الدول العربية مثل لبنان وتونس، ووفيات الأمهات، سنة 2018 بلغت نسبة 72.6 وفاة للأمهات لكل 100 ألف ولادة حية..).

- **مؤشر وضع البيئة** (مشاكل تدبير النفايات والأزبال، وتدهور المجال الغابوي والفضاءات الخضراء والبيئية...)، غابة الفلين معمورة تصل مساحتها إلى 133 ألف هكتار، تتعرض

مؤشرات الظرف السياسي..

وإعاقات تغيير ديمقراطي منشود



♦ عبد الفتي القبايج

لقد اتضح أن السياسة في المغرب لا زالت رهينة ردهات القصر، حيث تُصنَع القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وزكت هذا النهج السلطوي جائحة "كورونا". ولم يبقَ أي معنى للسياسة، مع تعيين التكنوقراط في الحكومة الحالية. التكنوقراط الذي يأمر بأوامر القصر.. ورغم إجراء الانتخابات، وتباري الأحزاب المشاركة فيها، وتنصيب الدستور على أن رئيس الحكومة يُختار من الحزب الأول وتوكل له تشكيل الحكومة، فإن الحكومة الحالية تتضمن 9 وزراء لا انتماء حزبي أو سياسي لهم، أو لنقل أنهم ينتمون لسياسة مؤسسة المخزن.

وبالتالي تصبح الحكومة، بالنسبة للأحزاب السياسية المنخرطة في النسق السياسي، هي مجرد مؤسسة لتقاسم الغنائم والحصول على امتيازات اجتماعية واقتصادية.

إضافة لذلك، ففي المغرب، التكنوقراط يتولون أهم المؤسسات في جهاز الدولة، ويعينون بظواهر ملكية. أي غير خاضعين لمساءلة البرلمان والحكومة، لأن السلطة السياسية تعتقد أن السياسيين لا يتوفرون على كفاءات يمكنها أن تتخذ القرار السياسي في مجالات اقتصادية واجتماعية وقضائية وغيرها..

بالتالي، فالسلطة السياسية هي التي تصنع القرار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

والواقع أن التكنوقراط ليست لديهم رؤية سياسية. ويفضلون الاقتصاد والقضايا الاجتماعية عن السياسة.. هذا هو تاريخ الحياة السياسية في المغرب، منذ أن تم إسقاط حكومة عبد الله إبراهيم التقدمية في ماي 1960.. وإذا حللنا علما أداء التكنوقراط، كمسؤولين حكوميين، فإننا نلاحظ أنهم لم يُنتجوا سوى الكوارث في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لذلك، فإن تجربة أحزاب الاتحاد الاشتراكي والاستقلال والتقدم والاشتراكية، في المسؤولية الحكومية، لم تغير من طبيعة النظام السياسي، ومن احتكاره للسلطة السياسية والقرار الاقتصادي والاجتماعي.

وعندما يتعلق الأمر بانتهاكات حقوق الإنسان وحرية التعبير، فإن هذه الأحزاب تصمت، رغم أنها، نظريا، تتحمل المسؤولية.. ولنا في مثال اتهام الجماهير الشعبية في منطقة الريف، التي احتجت وانتفضت ضد الإقصاء الاجتماعي الذي تعانيه، اتهمت هذه الأحزاب الحكومية في بيانها الشهير، جماهير الريف بخدمة أجندة خارجية، وبتلقي نشاطها أموالا من الخارج.

هذا الوضع السياسي يفسر أزمة النظام السياسي التي لا يزال المغرب يعانيها، كما يفسر عدم اهتمام المواطنين بالسياسة السائدة ومؤسساتها وأحزابها.

ذلك يجعلنا نتساءل: ماذا تستطيع "الجنة النموذج التنموي الجديد للمغرب" أن تبلوره من رؤية جديدة وبرنامج اقتصادي واجتماعي لتجاوز فشل السياسة الاقتصادية

التكنوقراطي ادريس جطو، كتعبير عن مد الجسر مع الطبقة الرأسمالية والاستجابة لمطالبها، خصوصا فيما يخص مرونة الشغل، وأصبح الرأسمالي وزيرا أولا مع إدريس جطو ووزراءه. وفي هاته الفترة نصت مدونة الشغل، في المادة 3 من مدونة الشغل، على أن الأنظمة الأساسية للمقاولات هي، قانونيا، أعلى مرتبة من مدونة الشغل نفسها، وعن عقود الشغل.

وجرب حكومة بقيادة حزب الاستقلال.. أسقطتها نضالات "حركة 20 فبراير". وجرب حكومة يسيرها حزب الإسلام السياسي "العدالة والتنمية"، الذي انفجرت في عهدها تفجر الحركات الاجتماعية، التي تم قمعها وتعرض عشرات من نشطاءها للاعتقال.. واعتقال صحفيين جريئين تعرضوا لتلفيق تهم عبثية ولأحكام قاسية بالسجن..

3 - مركز السلطة لا تدع مجالاً لتطور العمل الحزبي

نظام سياسي واجتماعي يحتل فيه الملك مركز "إمارة المؤمنين"، ويسيطر على القرار السياسي، وجميع السلط

في دور الصفيح. من جهة ثانية، أكد التقرير أن 26 مدينة من ضمن 85 مدينة لا زالت تضم أحياء أو دور الصفيح، خصوصا الدار البيضاء وسلا، مثلا، اللتين لا زالتا تحتويان أحياء الصفيح.

- مؤشر مشكل الحصول على الماء الصالح للشرب: من الضروري أن يتوفر الفرد عن 1000 متر مكعب سنويا. في حين في المغرب لا يتوفر الفرد سوى على أقل من 650 متر مكعب سنويا. لذلك حذر المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، من أن الاستهلاك الفردي للماء سيصل فقط إلى 500 متر مكعب بحلول سنة 2020. وسيفقد المغرب، حسب دراسات دولية، 80 في المائة من الموارد المائية المتوفرة في بلادنا خلال السنوات الـ25 المقبلة. مما يهدد الأمن المائي للمغرب، ويعمق اعتماد المغرب على أمنه الغذائي على الخارج. وهذا الواقع لن يؤدي بفئات عريضة من الشعب المغربي إلا إلى تعميق سوء ونقص التغذية، بل وإلى المجاعة. هذا إضافة إلى تأخر المغرب فيما يخص جودة التعليم، الذي يعاني أزمة بنيوية، سواء في المقررات والبرامج أو الخصائص الكبرى في الأطر التعليمية.

- مؤشر الانقطاع عن الدراسة،

فإن إحصائيات رسمية، تسجل انقطاع 431 ألفا و876 تلميذا وتلميذة من سلكي الثانوي الإعدادي، عن الدراسة، قبل حصولهم على شهادة، وفق مؤشر ما بين 2014 و2018، وكما يؤكد المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. وضع التعليم الذي يعاني أزمة، مركبة، بسبب تحويل مقررات وبرامج التعليم إلى بضاعة لـ"صناعة" يد عاملة وأطر المقاولات الرأسمالية، وخصاص في الأطر التربوية.. كان طبيعيا أن ينتج عنه ارتفاع مؤشر الأمية الإيجابية والثقافية، وضعف المستوى المعرفي. وبالتالي، كان طبيعيا أن يتعمق الفقر والهشاشة الاجتماعية، وانهبان القيم الإنسانية النبيلة في العلاقات الاجتماعية..

أمام تدهور الوضع الاجتماعي للطبقات الشعبية، وعلى إثر نضال الحركات، الذي فضح جانبا من الأزمة الاجتماعية، اضطر الملك، لاحتواء الغضب الشعبي، في أكتوبر 2017، بالإقرار بفشل ما سُمِّي بـ"النموذج التنموي" الاقتصادي والاجتماعي، الذي أطلقه الملك نفسه قبل 18 سنة.

وجاءت جائحة كورونا لتعري استمرار استفحال الأزمة الاجتماعية والاقتصادية، وتؤكد فشل وأزمة نظام سياسي واجتماعي.

2 - تعاقب الحكومات وتراكم الأزمات

جرب النظام السياسي، منذ مارس 1998، حكومة سيرها الراحل عبد الرحمان اليوسفي زعيم حزب الاتحاد الاشتراكي. ثم تخلى النظام السياسي عن هذا الحزب.. وجرب



الأمنية والقضائية. وبالتالي فإن المؤسسة الملكية هي الفاعل السياسي المركزي، وبالتالي، فإنه من الطبيعي أن تحتل جميع مؤسسات النظام السياسي هامش السياسة.

ما سلف يوضح أن الحكومة تشتغل كإدارة متخلفة عن ممارسة السياسة. وبالتالي فاقدة لرؤية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.. يوضح أن الحكومة، في المغرب، ترتق وترتجل سياستها، كما يرتق متشرد دربالته برقع مختلف، يلتقطها من الزبالة. وبالتالي، أغلب الأحزاب السياسية المخزنية تائهة، لا تعرف ما العمل؟ تدور في حقل السياسة والانتخابات، كبغل طاحونة الزيت، على عينيه "غماضتين"، لا ترى سوى مصالح وامتيازات صفوتها.

4 - خيار التكنوقراط تدمير للحياة السياسية بالمغرب

مؤشرات الظرف السياسي..

إعاقات تغيير ديمقراطي منشود



♦ عبد الغني القباچ

والمساواة بين المرأة والرجل، وفي العلاقات الاجتماعية وفي علاقة الدولة بالمواطن وبالمواطنة.. وهو ما لم يتحقق، حتى اليوم، في أنظمة الرأسمالية المتقدمة. هذه الأنظمة الرأسمالية المتقدمة فشلت في تحقيق ديمقراطية حقيقية.. إذ ظلت "الديمقراطية الليبرالية" في هذه الأنظمة، منذ استفرد البرجوازية الكبرى بالحكم، ديمقراطية/ديكتاتورية الطبقة الرأسمالية.

كما بينت تجربة ما سمي بـ"التناوب التوافقي" فشل بناء ديمقراطية "ليبرالية"، في ظرف أزمة ما سُمّي "السكتة القلبية" الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي وصلها الواقع في المغرب، في منتصف تسعينات القرن الماضي، رغم أن عبد الرحمان اليوسفي، زعيم حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، اعتقد أن "الكَلَمَة" و "القَسَم" على القرآن، ستمكن ما سمي "التناوب التوافقي" من تغيير النظام السياسي المخزني التبعي إلى نظام سياسي ديمقراطي. وهذا ما لم يتحقق، بالنظر لأن الأوهام السياسية تناقض مع تغير واقع وطبيعة نظام سياسي سلطوي استبدادي.

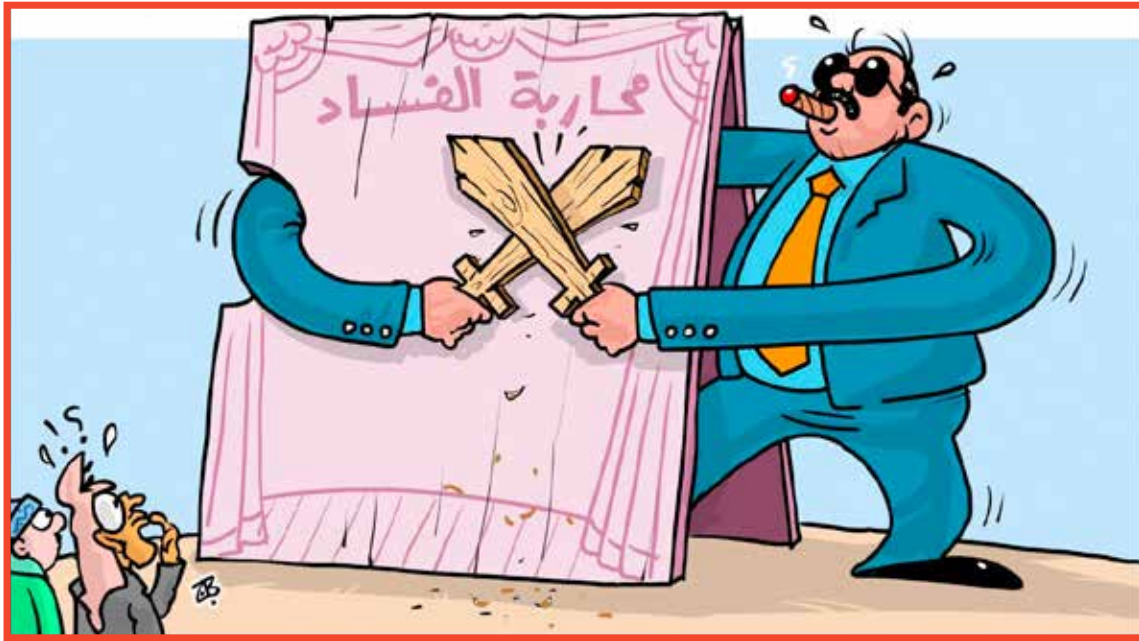
ولذلك، تعلمنا دروس التاريخ والواقع وصرورة نضال "حركة 20 فبراير"، أن الديمقراطية صيرورة تاريخية لبناء قوة اجتماعية جماهيرية ديمقراطية، وتشكل قيادة ديمقراطية حقيقية مرتبطة بالأغلبية الساحقة من الطبقات الشعبية الكادحة (عمالا وفلاحين الفقراء وعموم الأجراء محدودي الدخل والمثقفين والمثقفات الديمقراطيين الثوريين وفئات اجتماعية شعبية)، التي لها مصلحة مرحلية واستراتيجية لتحقيق نظام سياسي ديمقراطي حقيقي، ومجتمع ديمقراطي حقيقي.

وهذا لا يعني أن أفرادا من قلة قليلة من البرجوازية الكبرى الذين يحملون وعيا وطنيا ديمقراطيا، مناهضة لاقتصاد الريع، وللسيطرة الرأسمالية الامبريالية، لا يمكن أن يصبحوا، في صيرورة صراع الطبقات الشعبية الديمقراطي، فئة برجوازية وطنية ديمقراطية، مناهضة للرأسمالية العالمية، منخرطة مع جماهير الشعب، بأشكال مختلفة في النضال الديمقراطي العام، شرط أن تحدث هذه الفئة من البرجوازية قطيعة مع المؤسسة المخزنية وتناضل ضد النسق المخزني وضد اقتصاد الريع وبالتالي تتحرر من سيطرة الرأسمالية التبعية والرأسمالية الامبريالية المعوملة.

لكن اليوم في الواقع السياسي الملموس، هذه الفئة القليلة من البرجوازية الكبرى في المغرب، لا زالت مصالحها مرتبطة بمصالح نظام المخزن والتبعية الاقتصادية والسياسية، وتتفادى مواجهته، كما أن مصالحها لا زالت مرتبطة بمصالح الشركات الرأسمالية الإمبريالية المُستوطنة في المغرب.

الديمقراطي الجماهيري، لازال ضعيفا بفعل التناقضات الفكرية والسياسية والتنظيمية التي تخترق القوى اليسارية والديمقراطية الحقيقية. ولم تستطع هذه القوى أن تتوحد حول تصور وبرنامج سياسي مرحلي لمواجهة التراجعات الكبيرة التي تمس بعض المكتسبات السياسية وفي مجال حقوق الإنسان، على هزلها في الواقع، والنضال من أجل دستور ديمقراطي صياغة وإقرارا، ونظام سياسي ديمقراطي ومجتمع ديمقراطي، مؤطرين بثقافة وممارسة سياسية واجتماعية ومدنية ديمقراطية تحترم حقوق الانسان، لعزل سلطوية النظام السياسي وعزل الإرهاب الإسلامي، والقضاء، سياسيا وثقافيا، على أسبابه وعلى كل نزعات الإجرام والفوضى.

وأزمة الواقع السياسي الاجتماعي أصبحت أكبر وأضخم من برامج وإجراءات النظام السياسي والحكومة وقوانينها المالية. ويتجلى ذلك في كون الأحداث السياسية والاجتماعية والاحتجاجات الاجتماعية تجاوزت الحكومة وسياستها.



ونعتقد أن سياسة الترقيع لم تعد تنفع مع أن أعلى سلطة سياسية في البلد أقرت بفشل ما يسمى "النموذج التنموي" الذي صاغته وأقرته هذه السلطة السياسية نفسها.

II - هل يمكن أن يتحول نظام مخزني تبعي إلى ديمقراطية حقيقية؟

نعتقد أن الديمقراطية، وفقا لرؤية شاملة بعمق اجتماعي واقتصادي والثقافي، بقدر ما يجب أن تتجسد في الطبيعة الديمقراطية للنظام السياسي وممارسات إدارته ومؤسساته السياسية والاجتماعية والثقافية، بقدر ما من المفروض أن تتأسس على/ ويتم بناؤها في البنيات والممارسات المجتمعية والمصالح الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المجتمعية أي في العلاقات الاجتماعية برمتها.

الديمقراطية الحقيقية تحقق للمواطن وللمواطنة الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية والثقافية كاملة

والاجتماعية؟

أم تشكل لجنة موسعة صاغت "تقرير الخمسينية" للبحث في الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، وتم نسيان عملها.. وتمت إحالة هذا التقرير على غرفة الأرشيف؟

5 - أزمة بنيوية تعرق المسار الديمقراطي

ما سلف يوضح أزمة النظام السياسي والاجتماعي والثقافي في المغرب. وتتخلص هذه الأزمة في أزمة "الديمقراطية"، وليس فشل ما يسمى "نموذج تنموي" سوى مظهر من مظاهر هذه الأزمة.

إن أزمة "الديمقراطية" تتجلى في فشل محاولات بلورة نظام سياسي بتركيب مؤسسات سياسية وإيديولوجية متناقضة تتمثل في مؤسسة تقليدية (مؤسسة دينية ومؤسسة مخزنية ومؤسسات حديثة (برلمان، حكومة، قضاء، جماعات محلية... الخ.

ومن الواضح أن من بين عوامل أزمة الديمقراطية في المغرب، وبالتالي أزمة النظام السياسي والاجتماعي والثقافي، عامل تضخم واقع اجتماعي شعبي، ساهمت في تضخم وسائل التواصل الاجتماعي، وتوسع نزعات التطرف الديني والثقافي، بسبب ما تروجه خطابات حركات الإسلام السياسي و"فقهاء" التطرف الديني وثقافة الانغلاق الهوياتي.

ولا يخفى علينا، من جهة ثانية، عامل السياسة الدينية الرسمية السائدة التي لا تفصل بين السياسة والدين، لشرعة النظام السياسي. ولمواجهة أزمة الديمقراطية التي هي أزمة نظام سياسي، والتي

أنتجت الإرهاب الإسلامي، بلور النظام السياسي "قانون الإرهاب" وسياسة أمنية جديدة. لكن سيتم تعميم هذه السياسة الأمنية في المغرب لمواجهة الاحتجاجات الشعبية في عدة مناطق، مما يجعل الشعب المغربي وحركاته الاجتماعية والسياسية اليسارية والديمقراطية الراديكالية المناهضة تعيش حالة استثناء فعلية، عمقها استثناء جائحة كورونا.

مع أن الشرط الموضوعي للتغيير الديمقراطي الحقيقي لا زال متوفرا بنسبة كبيرة، وقد عبرت عن ذلك الاحتجاجات الاجتماعية العنيفة والمنظمة التي ترفض السياسة السائدة، وحركات اجتماعية ديمقراطية مناضلة، ترفض التصور المخترن والمزيف للديمقراطية (ما جرى في منطقة الريف وجردادة وزاكورة وتندراة والرشيديية وطانطان... ومناطق أخرى بحدّة أقل).

لكن الشرط السياسي الذاتي للتغيير الديمقراطي، المتمثل في القوى اليسارية والديمقراطية الحقيقية السياسية والنقابية والاجتماعية والثقافية، الذي من المفترض فيها قيادة النضال

ملف العدد: الصحراء المغربية.. بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

◀ إعداد : كريمة خورشيا بنعثمان - منعم وحتى

التنازل تلو الآخر للدول الأجنبية، وهو ما طبع تاريخ التدبير المخزني لاستكمال الوحدة الترابية لفائدة فرنسا وإسبانيا. في الضفة الأخرى للجارّة الشقيقة، فقد ورث المسكر في الجزائر أغلب تركة الجيش الفرنسي في ميدان الأهداف الاستراتيجية التي كان قد وضمها لتفتت المنطقة، وبالتالي فإحكام سيطرة جنرالات قصر المرادية على البوليساريو، كان في اتجاه إذكاء النزاعات واستدامة القلاقل واقتمال الأزمات بدون أية جدوى، وهو ما دفع بالشباب والنخب الصحراوية المتنورة لمواجهة استبداد وتبعية جهة البوليساريو، والبحث عن بدائل ديمقراطية وحدوية تهدف إلى التنمية والمدالة الاجتماعية مع إرساء الأسس الديمقراطية، وهو ما يتقاطع مع طروحاتنا التقدمية، بالربط الجدلي بين قضية تحرير التراب وتحرير الإنسان المغربي من شمال المغرب إلى صحراءه، وباعتبار قضية السيادة الوطنية في عمق قضية السيادة الشمسية.. وهو المدخل الأساسي لصحراء مغربية يتكامل فيها الشمال مع الجنوب على قاعدة التنمية والديمقراطية الحقّة.

نزاع الصحراء هو امتداد لنضال المغرب في سبيل استكمال وحدته الترابية، وهو أيضا تجل من تجليات السياسة الاستعمارية الأوروبية التي استهدفت شمال إفريقيا، وقلصت حدود المغرب الطبيعية والتاريخية إلى حدوده الحالية. وبالإضافة إلى كونه نتيجة مباشرة من نتائج السياسة الاستعمارية التجزئية على المغرب وعلى وحدته الترابية، فإن نزاع الصحراء عرف تطورات مستمرة غذتها الطموحات التوسعية ورغبات الهيمنة على المستوى الإقليمي، والرغبات المصلحية الدولية التي غذتها بدورها ظروف دولية دائمة التبدل والتغير.

إن تدبير ملف استكمال الوحدة الترابية ونزاع الصحراء شابه تمثرات كثيرة منذ بدايته، أهمها سياسة استرجاع المناطق المحتلة بالتدرج وبطرق "مهادنة"، وفقا للسياسة التي نهجها القصر والقيادة السياسية الأولى لمغرب ما بعد الاستقلال الشكلي، حيث تم التأمر بالإجهاز على جيش التحرير في الشمال والجنوب، في إطار تفادي الدولة المركزية لخطر ممارسة داخلية محتملة، لكن أيضا في إطار تقديم

الوحدة الترابية للمغرب.. يكاد أن يشبه اليوم الأمس!

♦ يزيد البركة



ورث العسكر في الجزائر أغلب تركة الجيش الفرنسي في ميدان الأهداف الاستراتيجية التي كان قد وضعها للمنطقة، وبالتالي نكاد أن نعود في المغرب إلى المربع الأول. في المقابل ما كانت تبحث عنه نخبة المخزن نفسها وبتشجيع من هذا الأخير من وسائل

للإصلاح لم يعط شيئا، وفضل المخزن الأخذ بالقشور، اليوم وبعد أكثر من قرن ونصف من الدعوة إلى إصلاح جوهر الحكم نجد أنفسنا ما نزال في نفس زوبعة البحث عن المخرج. محوران كبيران نتناولهما في هذا المقال في علاقة مع الوحدة الترابية للمغرب.

القسم الأول - رحل الجيش الفرنسي وترك خطه

ظهر عجز الدولة جليا من القرن الخامس عشر الميلادي وما تزال لحد الآن غير قادرة على أن تنهض من كبوتها وأن تملك عوامل وأسباب القوة للوقوف. حيث تعرض المغرب في ذلك التاريخ لموجتين كبيرتين من الاستعمار، الأولى حصلت في كنف النهضة التجارية الأوروبية وما يسمى بعصر الاستكشافات في القرنين 15 و 16، والموجة الاستعمارية الثانية كانت في القرن 19 وبداية العشرين، وحصلت في كنف الفترة الصناعية والبحث عن الأسواق ومصادر المواد الخام (أنظر الصورتين رقم 1 و 2).

ما يقصد في المقال بالوحدة الترابية ليس الإحالة على التاريخ القديم، أي على فترات الإمبراطورية المغربية وحدودها، بل فقط الفترة التي حصن فيها المغرب حدوده في وجه الدولة العثمانية التي سيطرت على الجزائر لمدة تفوق بكثير ثلاثة قرون. فإذا كانت الموجة الأولى تضم عددا قليلا من الدول، التي كانت لها أطماع واضحة في المغرب مثل البرتغال وإسبانيا، وكان يسهل بالتالي استرجاع أجزاء هامة منهما، فإن الموجة الثانية كانت تشمل عددا كبيرا من الدول تعتبر فرنسا رأس الحربة فيها، واستطاعت حتى أن تستوعب ضمن استراتيجيتها ما كان قد بقي من الاستعمار الإسباني.

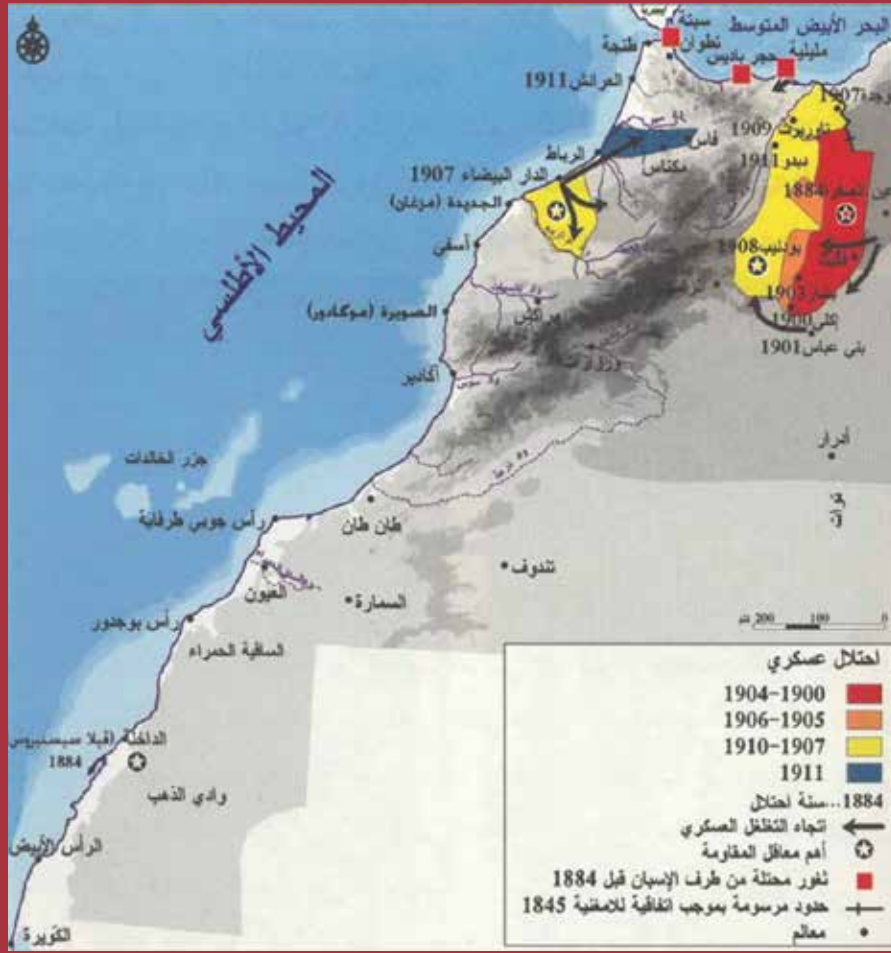
1 - المرحلة الأولى من الاستراتيجية

بنت فرنسا استراتيجيتها لاحتلال المغرب على غلق كل المنافذ قبل تدشين خطة الغزو، وكان هذا الأخير قد سهل المهمة، بأن فكك الأسطول العسكري وقدم أغلب قطعه للأتراك في الجزائر وليبيا وأغرق الباقي طواعية، وأقفل مصانع الأسلحة، وأغلق المراسي ومنع التجارة الخارجية؛ لذا فإن فرنسا عندما احتلت الجزائر كانت مطمئنة من إغلاق البحر الأبيض المتوسط والمحيط، ولم يبق لعزله عزلا تاما، إلا الشرق والجنوب للبدء في تنفيذ الحلقة الأخيرة.

لم يكن الأمر سهلا على فرنسا، حيث واجهتها صعوبات كثيرة، منها أولا مقاومة شعوب وقبائل الدول والمناطق التي تدخلها، ثانيا إرضاء الدول الرأسمالية الصاعدة صناعيا والتي تبحث هي الأخرى، عن المواد الخام والأسواق، ولهذا كانت 82 سنة الفاصلة بين احتلال الجزائر وبين فرض الحماية على المغرب، فترة مد وتوقف لتوطيد التواجد والمفاوضات والتنازلات للقوى المنافسة وانفجارات داخلية مثل ثورة 1848.

بعد الجزائر، لم تتمكن فرنسا من احتلال السنغال إلا في 1858، وكانت موجودة من قبل ولكن في إطار علاقات تجارية فقط، كما هو الأمر في شنقيط. لكن ظهر لها بعد 28 سنة من احتلال الجزائر، واحتلال السنغال أنها لم تتمكن من قطع العلاقات التجارية للمغرب مع دول جنوبه لأربعة أسباب أساسية: الأول، يعود إلى عدم القدرة على السيطرة على كامل التراب الجزائري وخاصة الصحراء وبقاء الطريق التجاري من المغرب إلى مالي عبر تندوف سالكا، الثاني أن الحاجز الجرمي في السنغال لا نفع له لقطع الطريق التجاري المار عبر الساحل، لكون سكان موريطانيا الحالية ينتمون إلى فرعين الأول الفرع الصنهاجي والثاني الفرع الحساني وهما معا موجودان كقبائل أو بطون أو فخذات في مجموع التراب المغربي شمال الصحراء، وما دام الفرعان يتاجران مع السنغال ومالي فإن التبادل التجاري سيبقى مع المغرب. الثالث أن بريطانيا وألمانيا وبلجيكا وعددا آخر من الدول تتنافس على المواد الخام هي الأخرى وكانت قد خاضت قبل هذا التاريخ حربا فيما بينها سميت بحرب الصمغ أو العلك. ورغم اتفاقها على حلول توافقية حوله، إلا أن الصراع بقي ثابتا، لذا رأت فرنسا أن عليها أن تدفع حاجزها الجرمي إلى الشمال وتحتل موريطانيا وأن تقضي على المقاومة الجزائرية وتحتل الصحراء الجزائرية بالكامل وتتوغل

التغلغل الأوروبي بالمغرب (1884 - 1911)



عن دانيال نوردمان، جيش الجزائر والمغرب دينامية الغزو أواخر القرن التاسع عشر - بداية القرن العشرين (بالفرنسية)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996، ص 51. عن كتاب "تاريخ المغرب تحيين وتركيب لمجموعة من المؤرخين والباحثين".

في الصحراء من تندوف شمالا وجنوبا وتذهب بعيدا غربا إلى الصحراء الموريطانية حتى يسهل عليها ربط الجيش الفرنسي المحتل للجزائر بموريطانيا وبالتالي من هناك بنظيره في السنغال. الرابع راجع إلى العامل الفكري والسياسي، إذ كانت كل الاتجاهات الفكرية في ذلك الوقت تنهل من الصوفية التي نشرتها زوايا منذ العصر المريني مثل الجزولية والقادرية والتيجانية وظهرت زوايا محلية كجذور للأولى مثل الزاوية الفاضلية في شنقيط وزاوية احمد الركيبي وزاوية ماء العينين في السمارة وزاوية أحمد أموسي التي يوجد مركزها في إذا أسمال ثم إليغ قرب تزنيت، ومن هذه الزوايا خرج كل المجاهدين الذين حملوا السلاح ضد الاستعمار الفرنسي والإسباني، خاصة بعد أن كشف المستعمر عن نواياه بأنها تتعدى التبادل التجاري.

وجد الجيش الفرنسي صعوبة كبيرة في نشر قواته على طول البلاد وعرضها في الجزائر، نظرا لقوة المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر، الشيء الذي دفع فرنسا لعقد هدنتين معه حتى تراجع خططها للقضاء عليه، وكان الأمير يلتجئ إلى قبائل وزوايا غرب الجزائر وشرق المغرب لمدة بالرجال والعتاد والمؤونة، وفي الأخير فهمت فرنسا أنه لا بد من تجميع المغرب مؤقتا، ومن استعمال كل وسائل العنف ضد القبائل حيث تم اعتماد الأرض المحروقة وهكذا تم وضع حد

الوحدة الترابية للمغرب.. يكاد أن يشبه اليوم الأمس!

♦ يزيد البركة

جعل إسبانيا تتردد في احتلال كامل الصحراء، واستمرارها في مراقبة الوضع واكتفاءها بنقاط التواجد التجاري وبعض القوات القليلة على الساحل في نقطتين، حيث لم تتشجع إلا بعد احتلال المغرب نهائيا والقضاء على المقاومة الأولى في أواسط ثلاثينات القرن العشرين (انظر الخريطة 2)، ثالثا لم تستطع فرنسا أن تشل الطريق التجاري الساحلي إلا جزئيا، رغم احتلال موريطانيا ونقل المراقبة الجمركية/ العسكرية إلى الخط الحدودي الحالي مع إقليم وادي الذهب، وهو جنوب ما تريد أن يفرضه العسكر الجزائري في الكركرات، والسبب في فشل فرنسا راجع إلى تغيير الطريق الساحلي القديم بعد تقدم وحدات الجيش الإسباني من نقاط الساحل إلى الداخل بعشرات الكيلومترات قرب العيون الحالية وعند بوجدور والداخلة التي بناها المستعمر مكان

مدن قديمة، لهذا بنى ماء العينين السمارة سنة 1896-1898 على طريق كانت مختصرة إلى شنقيط للتبادل التجاري مع القبائل الموريطانية وسط البلاد بعيدا عن المراقبة الفرنسية، وكان الوضع صعبا ولكن الرثة التجارية للمغرب وللقبائل السوسية ما تزال تنفس وإن بالكاد في ذلك الظرف، وقد أصبح الطريق قادما من كلميم تحت إشراف قبائل تكنة وفي مقدمتها آيت موسى وآيت أوسي والركييات وآل ماء العينين، ومارا بوسط الصحراء الغربية وقريبا من تندوف، الطريق الثاني الذي أفلح الجيش الفرنسي في إغلاقه بعد تعاون الزاوية الوزانية التي كان لها نفوذ في الصحراء الشرقية للمغرب، وذلك بعد الحماية التي حظي بها شريف وزان، وبعد تعاون عشيرة أوفقيير في احتلال منطقة كولومب بشار وتوات... وقبل أن تباشر فرنسا غزو المغرب وإذ لاحظت تردد إسبانيا في احتلال كل الأراضي الصحراوية، تقدمت هي بنفسها من الأراضي الموريطانية بقصف الطيران للقري والخيام التي يمر منها الطريق التجاري وفي كثير من الأحيان بدون موافقة إسبانيا، وكانت أكبر ضربة هي احتلال مدينة أطار عاصمة منطقة أدرار في شمال موريطانيا التي كانت محطة هامة للتجارة مع السمارة، وذلك في 1909 وتزامن هذا التطور الأخير مع

بداية غزو المغرب مباشرة، حيث تقدم الجيش الفرنسي من الجزائر واحتل عين بني مطهر ليخنق وجدة وقبائل بني يزناسن اقتصاديا وهي بوابة نحو الصحراء، تتحكم في الطريق التجاري المار عبر تافيلالت ليتفرع واحد نحو النيجر، والثاني إلى مالي عبر تندوف أو موريطانيا والسنغال عبر واد درعة ثم الاتجاه جنوبا، وهذا الخنق التجاري لشباب بني زناسن هو نفسه ما حصل لشباب قبائل سوس المتزامية الأطراف وهو الخنق الذي جعله يحتل مكانا هاما في المقاومة بعد الغزو. وفي مارس 1907 سيحتل الجيش وجدة، ومدينة الدار البيضاء في غشت من نفس السنة، ومدينة فاس في 1911، وقبل هذا بسنة غادر الشيخ ماء العينين السمارة إلى تزينت أمام عزم القوات الفرنسية على قبيلتها وتوفي في نفس السنة، وتولى بعده ابنه احمد

للثورة الأولى ضد فرنسا في 1847 بعد معركة إيسلي مع المغرب في 1844، وعقد اتفاقية للمغنية في 1845 لرسم الحدود والتي استغلت من طرف فرنسا للتوغل في الصحراء الشرقية للمغرب بتأويل لصالحها بدعوى أن ما تحت الخط المتفق عليه جنوبا هو أرض خلاء. لذا فإن حرب إيسلي واتفاقية للمغنية مرتبطان بتوطيد الاستعمار في الجزائر وليس بالهجوم على المغرب لاحتلاله.

وفي 1854 احتلت منطقة ورقلة شرق الصحراء الشرقية للجزائر، وفي 1900 احتلت توات وتيديكلت وكورارة وهي مناطق بغرب الجزائر يتداخل فيها ما هو للمغرب مع ما هو للجزائر، بناء على الحدود التي وقف عندها الزحف العثماني. وبذلك نشر الجيش الفرنسي قواته في مجموع

التراب الجزائري وقضم بعض الأجزاء من المغرب، بناء على تفسيره.

لكن قبل احتلال أجزاء من الصحراء الشرقية للمغرب، عقد مؤتمر برلين الثاني في 1884 بدعوة من البرتغال تلقفها بسمارك وجمع فيه 14 دولة رأسمالية كبرى وصاعدة، وحضرت أمريكا كمراقب وكذلك إسبانيا التي كان يحسب لها حساب قبل أن تخسر مستعمراتها في حربها مع الولايات المتحدة، الشيء الذي دفعها إلى اتخاذ خطوات لبيع نقاط تواجدتها التجاري في الصحراء الغربية للإمبراطورية النمساوية المجرية. دام الاجتماع 100 يوم وهو أغرب مؤتمر ليس فقط في مدته بل في مضمونه أيضا، حيث كان عبارة عن أكبر جلسة لصومية حضرها رأسماليون جشعون ليقرروا أن يوزعوا فيما بينهم بلدانا وأراضي في غيبة عن أصحابها المالكين، وخرج بعدة قرارات منها إقرار كل دولة على ما كان ما تحت يدها قبل المؤتمر. إقرار وضع اليد على أي مكان فيه نفوذ شركة تجارية. إطلاق اليد في مناطق جديدة خلاء أو فيها سكان شريطة إعلام مسبق للدول الموقعة على وثيقة المؤتمر. تبادل الأماكن بين الدول الحاضرة بشكل ثنائي مثل اعتراف فرنسا لبريطانيا بأحققتها في مصر واعتراف الأخيرة لفرنسا بأحققتها في شمال إفريقيا وذلك

في 1898، لذا احتلت فرنسا منطقة الترازو عام 1903م والبركان عام 1904م، وتكانت عام 1905م. وبذلك تم ربط الجيش الفرنسي المرابط في الجزائر وفي صحراءها بالجيش المرابط في موريطانيا والمدعوم بالجيش الفرنسي في السودان والمشكل من رديف له سنغالي.

2 - المرحلة الثانية من الاستراتيجية

نتج عن احتلال موريطانيا، أولا دفع عدد من قبائل الشمال إلى الصحراء الغربية أساسا، ثانيا اشتداد المقاومة التي أجهها البدء في غزو المغرب، ولربما يكون هذا العامل الأخير هو الذي

مراحل الاحتلال الاستعماري وأهم معارل المقاومة (1907 - 1934)



عن الاستعلامات الكولونيالية، (بالفرنسية)، منشورات لجنة إفريقيا الفرنسية ولجنة المغرب بباريس، 1936، والمقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904 - 1955، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1991. عن كتاب "تاريخ المغرب تحيين وتركيب لمجموعة من المؤرخين والباحثين".

الوحدة الترابية للمغرب.. يكاد أن يشبه اليوم الأمس!

♦ يزيد البركة

جندت كل قوتها الدبلوماسية مع اسبانيا لاستصدار توصية تفصل فيها بين قضيتي إفني والصحراء، التي بقيت تنتظر استفتاءً لتقرير المصير، بعد أن تم ربط عودتها إلى المغرب بإجراء مثل هذا الاستفتاء، بل وضد استكمالها لوحدة أراضيه التي ما يزال جزء منها تحت نير الاحتلال الإسباني في الشمال.

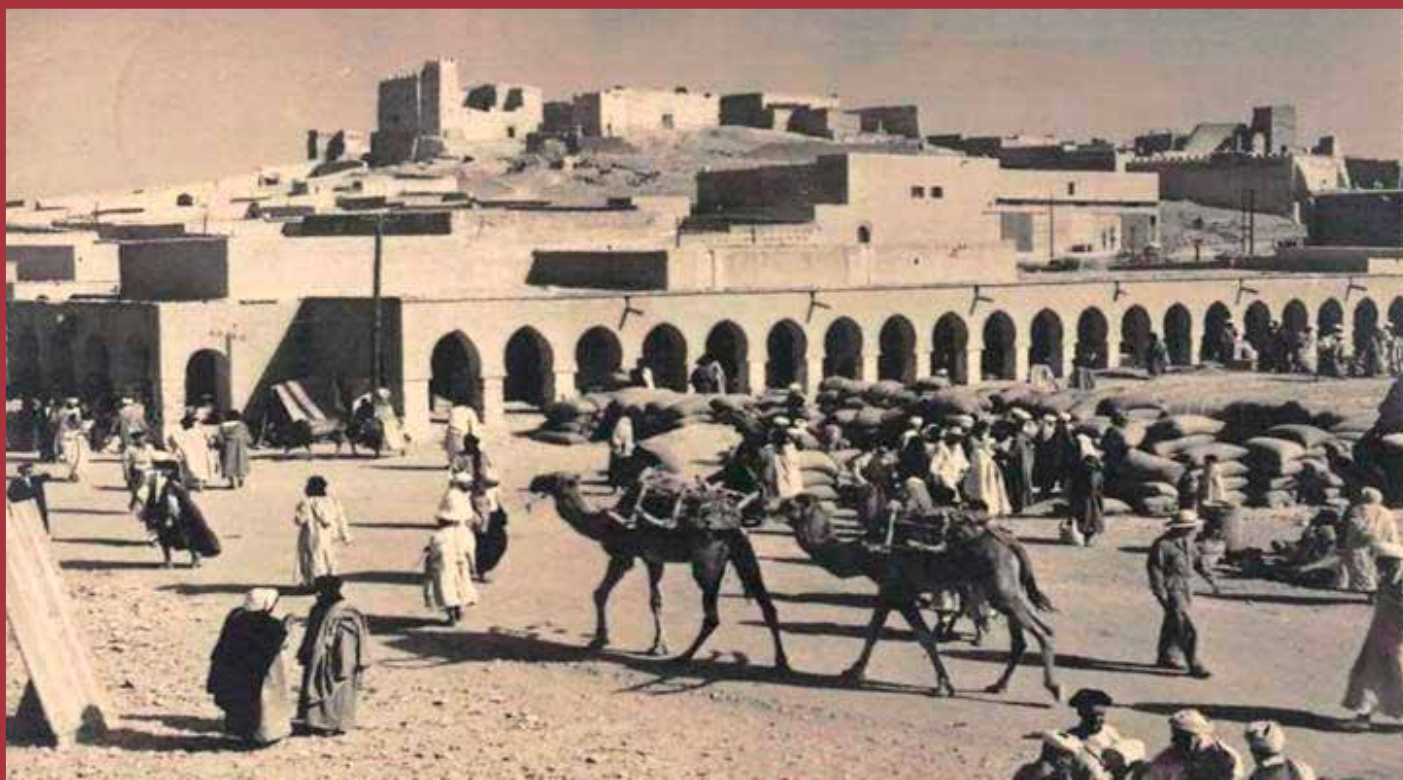
لكي ينجح الشكل الجديد للاستعمار، حرصت فرنسا ومعها في هذا كل الدول الرأسمالية، أولاً على استمالة أقلييات في البلدان المستعمرة لها مصالح متناقضة مع مصالح أغلب الطبقات الشعبية وتقوية حضورها الأمني والعسكري اتجاه الشعوب وضد يقظتها، ثانياً الذهاب بعيداً في تنفيذ عمليات اغتيال ضد الرؤوس السياسية المفكرة أو الدفع باغتيالها بالوكالة : فرحات حشاد من طرف فرنسا، عبان رمضان بالوكالة، المهدي بنبركة من طرف عدة أطراف: المغرب، فرنسا، أمريكا، "إسرائيل"، إبراهيم بصيري من طرف اسبانيا (اختطاف في البداية مثل المهدي)، ثالثاً الجيولة دون الانتقال الديمقراطي حتى يسهل تمرير القرارات الكبرى المصنوعة مع الأقلييات، رابعاً عرقلة أي توجه يسعى إلى التصنيع حتى تبقى تلك البلدان مصادر للمواد الأولية وأسواق للاستهلاك.

2 - الحارس الجديد للماضي

استقلت الجزائر في 1962 وقد سبق ذلك مفاوضات دامت سنة دون احتساب مدة اللقاءات السرية، وتوقفت مرتين بسبب محاولة فرنسا إشراك أطراف أخرى فيها مثلما وقع في إيكس لبيان، ومرة عندما طرحت فرنسا فصل الصحراء بادعاءها أنها بحر واسع يخص كل الدول المجاورة لها، غير أنها تمكنت من ضمان مصالحها في البترول والغاز وفي التنقيب والاستثمار وتفضيل شركاتها، ومخضت تلك المفاوضات عما سمي اتفاقيات إيفيان.

إذا استرجعنا موضوع سد كل النوافذ على المغرب وخاصة الشرق والجنوب، والذي كانت فرنسا مخلبا متقدما لتحقيقه نجد أن الجزائر منذ ما بعد اتفاقية مدريد على الأقل، أصبحت مخلبا لتنفيذ ذلك المخطط من جديد لفائدتها وفائدة إسبانيا وفرنسا، ولا ننسى هنا أن فرانكو هو أول من أطلق مفهوم "الشعب الصحراوي" على الجزء الصحراوي للمغرب فقط، دون الصحراء الشاملة التي تشكل

وحدة تاريخيا وسكانيا وجغرافيا، وهو أول من طرح "تقرير المصير" وعمل على فصل موضوع إفني عن جنوبه وهذا كله تبنته الجزائر، وقامت بحملات قوية على المستوى الإفريقي وفي الأمم المتحدة، وغازلت اسبانيا وعقدت معها اتفاقات تتمحور حول نفس الرؤية. وقبل ذلك كانت تخبئ وراء الدولة "المعنية" للمساهمة في إجلاء اسبانيا، لكن بعد اتفاقية مدريد



المراكز التجارية (واد نون) بين المغرب وإفريقيا لم تتوقف على مدار التاريخ.

أصبحت معنية في تطويق المغرب، الشيء الذي لخبط المنطقة وحتى العالم بحيث لا يعرف أحد هل هي معنية لإيجاد حل، أو معنية لتعقيده، أو معنية لأن لها أطماعا في الصحراء، أو المبادلة بالصحراء الشرقية للمغرب التي لم توضع لحد الآن لدى الأمم المتحدة، وبالتالي غير معترف بها على أنها من الأراضي الجزائرية.

ممارسة العسكر الجزائري الحديث، أي بعد القضاء على الجيش الشعبي بفرض جنرالات فرنسا في قيادته، لا هم لهم إلا خلق الأزمات للمغرب، والذين يؤدون نفس الدور الذي تم تأديته

الهيبة مواصلة المقاومة. وفيما بعد قبلت فرنسا السمارة لمرتين واحتلتها في 1913. رغم المقاومة في كل مناطق المغرب من شماله حتى صحراءه بل حتى في موريطانيا، أصبح المخزن المغربي مهيباً أمام هذا الوضع الجديد لتوقيع معاهدة الحماية في 1912. وقد عرفت المعاهدة تجاذبات مع مولاي حفيظ، وأهم شيء فيها يتعلق بالاستعمار الإسباني هو ما جاء في آخر الفصل الأول منها، يبين أن الصحراء جزء من المغرب وأن فرنسا مسؤولة أيضاً عن ضياع الحقوق المغربية في الشمال والجنوب حيث جاء فيه: "دولة الجمهورية تتفاوض مع الدولة الاصبنيولية في شأن المصالح الناشئة لهذه الدولة من حالتها الجغرافية ومستعمراتها الأرضية الكائنة بالساحل المغربي"، وكانت إسبانيا في هذا الوقت لم تحتل كل الصحراء ولكن سيتغير الوضع بعد 1934 ويتعدى الاستعمار الساحل، ولما استقل المغرب من فرنسا، رأت هذه الأخيرة تأخير انسحاب إسبانيا من الصحراء، وأقنعت بذلك المطبخ المغربي المتمثل في الأقلية المرتبطة بمصالح فرنسا.

القسم الثاني- عود على بدء

لم تستطع فرنسا إخماد الثورة الأولى في أواسط الثلاثينات، إلا بصعوبة وكانت تمنى نفسها أنه في الأخير ستغطي فوائد الاستعمار كل تكاليف الحرب وحتى تكاليف الحرب العالمية الأولى، ولكن بعد أقل من 15 سنة من إخماد نار المقاومة بدأت تعرف المصالح الفرنسية حرائق وتخريب، ثم بسرعة اشتعلت نيران المقاومة الثانية والتي أدت إلى تأسيس جيش التحرير. وقد اندلعت المقاومة أيضاً في الجزائر وفي الصحراء وأصبحت تكلفة الحرب مكلفة ولا تسمح المقاومة بالاستغلال الكامل نظراً لعدم الاستقرار.

1 - التفكير في شكل استعماري جديد

كان اكتشاف البترول والغاز في 1955/1956 والثروات المعدنية قبل ذلك في صحراء الجزائر، ومنها الحديد والفحم في الصحراء الشرقية للمغرب، عاملاً أساسياً، دفع فرنسا إلى التفكير في بلورة شكل جديد للاستعمار يكون أقل تكلفة اقتصادياً وبشرياً، وكانت قد خرجت من الاستعمار الألماني منهكة وضعيفة اقتصادياً وصناعياً، لذا تحتاج إلى الأمن والاستقرار في البلدان المستعمرة لنهب المواد الخام التي تحتاجها آلات المصانع.

فكرت في بداية الأمر أن تعزل الصحراء الجزائرية ومعها تندوف والصحراء الشرقية للمغرب عن شمال الجزائر، وحضرت قوانين وخطط لذلك منها إنشاء المنظمة

المشتركة للأقاليم الصحراوية OCRS، ثم تخلت عن الأمر خصوصاً بعد أن أعلن فرحات عباس في 8 فبراير 1958 عن تشكيل حكومة مؤقتة للجزائر وإعلان مواقفها في الأمم المتحدة ضد بتر الصحراء وضد الاستثمارات فيها، وإعلان المغرب رفضه فصل الصحراء الجزائرية عن شماله، وتأكيد القيادات الجزائرية للمغرب استعدادها لمراجعة الحدود التي أقرتها فرنسا بصفة جائرة عندما تستقل الجزائر، وفيما بعد تم إبرام اتفاقية رسمية بهذا الخصوص في 6 يوليو 1961، تنكرت لها الحكومة الجزائرية فيما بعد، واستمر العسكر في المناورة، ففي ديسمبر عام 1966

الوحدة الترابية للمغرب.. يكاد أن يشبه اليوم الأمس!

♦ يزيد البركة

خارجية جديدة مثل الحميات التي كانت موضوع مؤتمر الجزيرة الخضراء ويستعد مثل هؤلاء إلى التخلي عن أراضي مغربية نكابة في المخزن، وكأن هذا الأخير يملك حقيقة الوطن ولد معه أو ولد قبله.

الوطن شيء والمخزن شيء آخر، ومهما فعل هذا الأخير فإن مناضل الشعب يظل يقاتل من أجل الشعب ومن أجل الوطن، وهذه العبارة استعرتها من صديق لي قالها لموظف بالإدارة المغربية يماطل ويسوف في مده بوثيقة إدارية حتى ظهر لصديقي أن الموظف له مآرب فقال له: "تريدون منا أن نكره هذا الوطن ونغادره ولكننا سنبقى هنا ونتقاتل معكم من أجله". لقد مررنا في الصحراء المغربية بحركة جهادية ضد الاستعمار، وضد كل الأطماع الأجنبية، قامت على أساس قبلي وعلى أساس فكر صوفي، وكان الشباب آنذاك لا يتجاوز فكره هذا الأفق، ثم بدأت تظهر موجة إيديولوجية ثورية، حسب ما كان يعم العالم، من الأكيد أن المخزن لم يتعامل بكل ما يمكن من عقلانية مع تلك المرحلة، لكن الشعب المغربي وحتى أطرافاً من اليسار كانوا في خضم ما يجري، بل ساهموا بفعالية في النضال ضد الاستعمار حتى قبل إنشاء الجبهة.

صحيح أن المغرب سهل تنفيذ المخططات التآمرية ضد الوطن، خاصة منذ انقلاب 1961، حيث كان ملجأً لحركات التحرر في إفريقيا قبل هذا التاريخ، حتى أصبح يمثل مصالح الدول الرأسمالية ويلعب أدواراً داعمة لها، وفقد المغرب بذلك مكانته لديها وانتقلت إلى الجزائر التي استغلته بعد ذلك لفائدة مخططات ضد المغرب.

وبعد المسيرة يمكن القول أن السلوك الذي سهر على تثبيته أحمد بنسودة في الصحراء من نزعات الزبونية والعطاءات والولاءات، خلقت حالة شاذة أبعدت الشباب عن الوطن، وحتى لقاء طنجة الذي نظمته المغرب للشباب الصحراوي في 1976 لم يخرج عن نفس ثقافة الولاءات والعطاءات وإفساد الروح والضمير، الشيء الذي جعل عدداً من هؤلاء الشباب يعود مباشرة إلى إسبانيا في اليوم الثاني من أشغال اللقاء.

الشباب في الصحراء اليوم، وفي تندوف، وفي عدد من البلدان تجاوز بكثير القبيلية والصوفية والإيديولوجية المبنية على الأحلام، وهو يتوجه نحو فكر قائم على العلم في شتى الميادين ويحلم بوطن واسع للجميع لكل واحد حقوقه فيه، وعليه واجبات، ولا فرق بين هذا وذاك، وكل الشباب الصاعد يحلم بالديمقراطية والتنمية الحقيقية بوقف الأطماع، فبالديمقراطية والتنمية يمكن استرجاع ما ضاع وتحقيق ما يرى السكان في جزر الكناري وغيرها من نهضة حقيقية وديمقراطية نموذجية تحلم بها شعوب المنطقة، مادون ذلك سنبقى نجر أذيال الهزيمة والسقوط، ولحد الآن ما يزال المغرب حبيس الثقافة القديمة وما لم يتم التجاوب مع ما يمثل المستقبل في الصحراء فإن الأطماع سيبقى لها نفس كربه يتجدد.

إبان أزمت القرن التاسع عشر بتسهيل الضغوط للوصول إلى الأهداف الرأسمالية بتطويق المغرب.

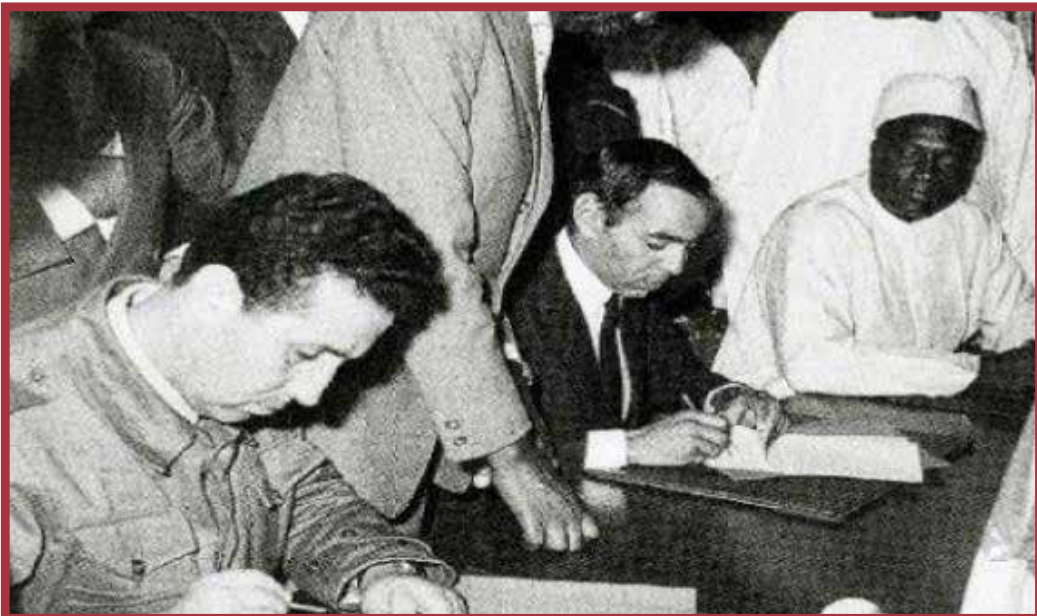
وفي موضوع الصحراء الجزائرية اليوم، نجد أنها لم تحرر لفائدة الشعب الجزائري، بل كما أرادت فرنسا منطقة شاسعة تستفيد من ثرواتها، فالعسكر حولها إلى حديقة خلفية له تؤدي مصالح الرأسمال الأجنبي ومصالحه، ومصارييف معاداة المغرب.

وفي موضوع الديمقراطية والتصنيع فلا شيء تحقق لفائدة الشعب الجزائري، وكما كان الاستعمار القديم يغتال الشخصيات التي تمثل آمال الشعب نجد نفس الأسلوب مستعملاً الآن، ولم ينج منه حتى من ليس جزائرياً، إذا ما اعترض على خطط العسكر. إننا نعرف جيداً أن مصطفى السيد كان ثورياً ووطنياً ولما أسس الجبهة الصحراوية أسسها على هذا الأساس، فقبل اغتياله بشهرين وفي زيارة لبومدين لتندوف قال الأخير للوالي وهما يتمشيان: "عليك أن تعلن دولة بقيادة، في المنفى"، رد الوالي ضاحكاً: "إذا سلمتمونا تندوف ومناطق بشار (ويقصد الصحراء الشرقية) نفعل ذلك"، نظر إليه بومدين مندهشاً وسكت ولم يرد عليه بشيء، وقد أبلغ الوالي رفاقه وأصدقاءه من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية اللاجئين بالخارج بالحادث. ومن كلامه البليخ لرفاقه حول أوامر بومدين والعسكر التي كان يرفضها الوالي هو: "لقد ارتكبنا جريمة في حق شعبنا"، وكأنه أحس بالمؤامرات التي ستتم في حق الحركة، منها اغتياله ومنها فرض قيادة جديدة طيبة للعسكر. وهذا ليس جديداً بالنسبة للجيش الجزائري، إذ تم أيضاً حتى مع حركة الفقيه البصري التي خلفت التواجد العسكري في الصحراء من أيام جيش التحرير بعد الكولونيل بنحمو، الذي كانت له قاعدة عسكرية في منطقة بشار، إذ لما طلب الفقيه قاعدة وسلاحاً كان الرد الجزائري هو أن تختار الاستخبارات من يتولى القيادة العسكرية ومن يتولى الإعلام، الشرط الذي رفضه الفقيه وجعله ينقل كل التنظيم إلى سوريا، التي احترمت الاستقلالية التامة للحركة المسلحة التي شرعت في التدريبات هناك منذ 1968. ومن التدخلات السافرة بعد خروج الفقيه من الجزائر، محاولة بومدين خلق منظمة صحراوية ثانية بقيادة لها تاريخ نضالي، ونسجل هنا الضغط الذي تعرض له المرحوم محمد باهي ليقبل ذلك، وكما هو معروف كان باهي أمين جيش التحرير في الجنوب وصحافي بالعلم ثم التحرير، وكان مع إبراهيم بصيري في صحيفة الشموع التي أصدرها في الدار البيضاء.

3 - الوطن والمخزن

هناك من يخلط بين الوطن والمخزن، ليس فقط في موضوع الصحراء، بل في عدد من المواضيع، وعند كل نوبة غضب.. هذا يمزق جواز السفر وهذا يعلن التخلي عن جنسيته في محاكاة لاعتقاده بأن المخزن في ثقافته بأنه يملك البلاد، وذاك يذهب بعيداً إلى درجة البحث عن حماية

مما جاء في اتفاقية الحكومة المؤقتة الجزائرية مع الحكومة المغربية في 6 - 7 - 1961



"وفاء لروح مؤتمر طنجة المنعقد في شهر أبريل 1958..
تؤكد حكومة صاحب الجلالة ملك المغرب، مساندها غير
المشروطة للشعب الجزائري في كفاحه من أجل الاستقلال
والوحدة الوطنية، وتعلن عن دعمها بدون تحفظ للحكومة
المؤقتة للجمهورية الجزائرية في مفاوضاتها مع فرنسا على
أساس احترام وحدة التراب الجزائري، وستعارض حكومة
صاحب الجلالة ملك المغرب بكل الوسائل المحاولات الرامية
إلى تقسيم أو تفتيت التراب الجزائري. وتعترف الحكومة
المؤقتة من جانبها، بأن المشكل الترابي الناشئ عن تخطيط

الحدود المفروضة تعسفا فيما بين القطرين، سيجد حلا له في المفاوضات بين الحكومة المغربية وحكومة الجزائر المستقلة".



كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق



جيش تحرير الجنوب، وكان قاب قوسين أو أدنى من تحرير كافة الأقاليم الصحراوية الجنوبية، لولا تكالب الاستعماريين، ومؤامرة الدولة المركزية لحل جيش التحرير، خوفاً وخدمة للاستعمار وحماية لعرشته، وحفاظاً على السلطة المسلمة له من المستعمرين، وظل الاستعمار الإسباني جاثماً على رمال الصحراء رغم مطالبة الدولة بها في عقد الستينات تحت ضغط الأحزاب الوطنية، ولسحب البساط من تحت الأرجل، اضطرت إسبانيا إلى إشراك بعض سكان الصحراء في تدبير الجماعات المحلية لذر الرماد في العيون، مما دفع الدولة المغربية إلى وضع ملف النزاع على أنظار المنظمة الأممية التي أحالته على محكمة العدل الدولية، هذه الأخيرة أقرت "بوجود روابط البيعة بين السكان والسلطة المركزية المغربية، وأنها لم تكن أرض خلاء"، ولأن العصر كان زمن الحرب الباردة بين المعسكرين، ومن خلال المنافسة الإقليمية وبسط النفوذ على المنطقة بين الجارين، استغلت الجزائر ومعها من بعد ليبيا، سوء تقدير الدولة في احتضان بعض أبناء الصحراء المطالبين بتحرير الصحراء تحت السيادة المغربية، مما اضطر هؤلاء إلى السقوط بين برائتين الطفمة العسكرية الجزائرية بقيادة الراحل هواري بومدين وطموحات نظام معمر القذافي في إطار الصراع الإقليمي، ومن أجل مصالح ضيقة لا تراعي أخلاق أصول الجوار والتاريخ المشترك، وأدى ذلك إلى نشوء حركة انفصالية في أحضان الجزائر تدريجياً وتمويلاً، وانطلاق شرارة سفك الدماء بحرب الصحراء التي دامت حوالي 15 سنة، وبعد وقف إطلاق النار سينتقل بعدها الملف إلى ردهات منظمة الأمم المتحدة من جديد والذي لا زال يراوح مكانه بين مكاتبها إلى الآن.

إن معاكسة حق الشعب المغربي في وحدته الترابية بدعوى حق تقرير مصير الشعوب، كلام حق أريد به باطل، فتأويل المصطلحات القانونية وغموضها في القانون الدولي عمل جاري به العمل، فالذين شرعوا تلك المصطلحات لم يكن هدفهم توطيد حق الشعوب في تقرير مصيرها بقدر ما كانت الخلفيات هدفها خدمة مصلحة الاستعمار من خلال تفكيك الدول والشعوب ونسيجها الاجتماعي وهدم ذاكرتها الجماعية، وإيقاظ النعرات الإثنية والطائفية والقبلية والمذهبية والعقائدية، لتسهيل مأمورية الاستعمار بكل أصنافه في أي مكان وفي القادم من الزمان، وفقاً لقاعدة المركز يظل مركزاً أقوى بفضل ضعف المحيط/الهامش، وهو الترجمة الفعلية لقانون الأقوى السائد في العلاقات الدولية، وكذلك لمحو آثار الشعوب الأصلية وحضارتها لسيادة الحضارة الغربية الكولونيالية ذات النزعة الإقصائية والاستعلائية والعنصرية، فالأساس الشرعي هو وحدة الشعوب والدول لمواجهة قساوة الطبيعة والفقر والجهل، واستمرار نزاع الصحراء المغربية ينم عن حقد أولاً و جهل حكام الجزائر بأنهم ينفذون بوعي أو بدون وعي أجندة تخدم مصالح الدول الكبرى وشركاتها الصناعية والتجارية العبر وطنية، والضحية شعوب المنطقة.

في القرنين الثاني والثالث أحدث الاجتياح الروماني لمناطق شمال إفريقيا تخلصاً في التركيبة الديمغرافية لسكان الصحراء المغربية، حيث قدمت من صحراء ليبيا ومناطق الشمال قبائل صنهاجة وزناتة، واستقرت بين الكثبان الرملية قرب الواحات، وفي مطلع القرن الثامن الميلادي وصلت هجرات عربية من شبه الجزيرة العربية إلى أرض الصحراء، وقد سادت في بلاد الصحراء أسس نظام اجتماعي متطور، وانتعشت الحياة الاقتصادية هناك، وخاصة تجارة الذهب من مالي التي كانت تعرف في ذلك الوقت باسم السودان. وتوالت الهجرات العربية إلى الصحراء خلال الفترة ما بين القرنين 11 و15، فوصلت إليها قبائل من بني حسان وبني هلال عن طريق مصر، وتغلغلت بواسطة سيطرتها في منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب ومجمل أراضي شنكيط، وبفضل شدتها تزايد نفوذها وطبعت المنطقة بطابعها العربي الإسلامي.

والثابت أن الصحراء ظلت معروفة بالتبعية الفعلية للمغرب، فالحجج التاريخية والجغرافية تؤكد، على نحو لا شك فيه، أن كل أشكال السيادة المغربية واضحة، سواء من ناحية الأصول الجنسية بين سكان الصحراء وسكان شمال المغرب، أو من الناحية الجغرافية، انطلاقاً من طبيعة الأراضي الصحراوية في طبقات أرضها وجغرافيتها ومناخها وحيواناتها ونباتاتها، هذا الامتداد الطبيعي والبشري كانت توازيه تبعية سياسية تمارس السلطة، على الرغم من البعد الجغرافي لهذه المناطق عن مركز السلطة المغربية، وحتى من حيث أصول الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، انطلاقاً من دولة الملمثمين أي الدولة المرابطية إلى قيام الدولة العلوية وما قبلهما، حيث ظلت كل الروابط السياسية والثقافية والاقتصادية والتجارية والدينية والجهادية تمارس داخل إطار دولة السلطان الحاكم. بيد أنه مباشرة بعد انتصار فرنسا على المغرب في معركة إيسلي سنة 1844، اتخذت إجراءات عسكرية لتغيير معالم الحدود المغربية بدعوى القضاء على التمرد المنطلق من الأراضي المغربية، ولفائدة مقاطعة الجزائر الفرنسية إذك والتي تم احتلالها سنة 1830م، حيث اقتطعت من شرق المغرب مدن وقرى ومناطق، كتلمسان، وؤرارة، وسيدي كلت، وبشار، وتندوف، وتوات، والتي تعتبر في جميع الوثائق التاريخية والانثروبولوجية امتداداً جغرافياً وسياسياً وقبلياً للمغرب مثلها مثل الصحراء الجنوبية إلى حدود نهر السينغال، لقد فتحت معركة إيسلي شهية الاستعمار الفرنسي لضم المغرب إلى ممتلكاته، غير أن باقي القوى الأوروبية الاستعمارية كان لها نفس الهدف، مما حتم عقد عدة اتفاقيات فيما بينها، ليكون المغرب بعد تقسيمه، من نصيب كل من فرنسا وإسبانيا، هاته الأخيرة كانت تحتل الصحراء منذ عدة عقود مما سهل مأمورية توطيد أركانها وفقاً لقانون الأقوى الاستعماري، وبعد فترة الخضوع تحركت المقاومة في أوقات متقطعة نظراً لطبيعة الأرض والمناخ والترحال، لكن في العقد الخامس من القرن الماضي تجددت المقاومة بقيادة

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل



♦ عبد المجيد مصدق

الجذور التاريخية والخلفية السياسية لنزاع الصحراء المغربية



الشيخ أحمد الهبيبة يدخل مراكش في 18 غشت سنة 1912

كل الوثائق المتعلقة بقضية الصحراء المغربية تشير إلى أن الاستعمار الإسباني هو سبب نشأة مشكلة الصحراء، وتعود هذه الجذور إلى سبعينيات القرن 15م، حين أبرمت إسبانيا معاهدة "الكوسوماس" مع البرتغال سنة 1479م، والتي تخول لها احتلال جزر الكناري "الخالدات"، والتواجد بسبته ومليلية والصحراء المغربية، مقابل أن تحتل البرتغال مدينة فاس، بيد أن الاحتلال العسكري الفعلي الإسباني للصحراء، بدأ سنة 1844م، حين تهاوت القوات المغربية أمام الجيش الفرنسي في معركة إيسلي، فاغتنمت إسبانيا الفرصة واحتلت وادي الذهب "ريو دي أورو"، إذ أقامت تحصينات عسكرية وميناء تجاريا وأنشأت مدينة "فيلا سيسنيروز" الداخلة حاليا، لكن فرنسا التي كانت تطمح في استعمار المغرب دون أن ينازعها احد، اشتد نزاعها مع إسبانيا حوله فوقعتا معاهدة باريس، في 28 يونيو 1900 التي حددت الممتلكات الفرنسية والإسبانية على ساحل الصحراء.

و لعل أخطر المؤتمرات التي كان المغرب محورا لها، هو مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1906، بين بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا، فقد تمكنت من خلاله هذه الدول من إيجاد أرضية للتفاهم؛ إذ تم اقتسام المغرب بين فرنسا وإسبانيا مقابل تخلي فرنسا عن بعض مستعمراتها في إفريقيا لفائدة ألمانيا، وهذا التقسيم الذي خضع له المغرب، كان من بين الأسباب التي دفعته حاليا إلى عدم قبول مبدأ احترام الحدود الموروثة عن الاستعمار، وهو عكس الموقف الجزائري الذي يهدف إلى قطع الطريق على المغرب حتى لا يطالب بالمناطق الشرقية التي لا زالت تخضع للهيمنة الجزائرية.

وهذه الحقائق ليست حقائق مجانية كما أنها ليست منة، لأن التاريخ والوقائع هي التي فرقت بين المغرب الحالي والصحراء وموريطانيا، مما يبين العلاقات المتينة بين الدولة المغربية والقبائل التي تقطن المحيط الإفريقي حتى نهر السينغال، على الأقل مدة 1200 سنة، فحكم المغرب امتد حتى شمال مالي تحت راية الدولة المغربية.

مقاومة الاستعمار

في 1906م قاد الشيخ ماء العينين وفودا من الصحراء وموريطانيا، للقاء السلطان المغربي عبد العزيز بن الحسن الأول من أجل دعمهم في مقاومة المستعمرين (فرنسا وإسبانيا)، فأرسل السلطان معهم ابن عمه مولاي إدريس لتنظيم جهود المقاومة ضد المستعمرين، وكللت هذه الجهود في 1908م بالنجاح، حيث حققت المقاومة الصحراوية انتصارات في عدة معارك ضد المستعمرين في مناطق، تكانت، وأكوججت وتالمنست، وبسبب نفاذ الذخيرة والمؤونة سقطت مدينة أطار عاصمة منطقة أدرار في الشمال الموريطاني بأيدي الفرنسيين بقيادة العقيد غورو. وفي سنة 1909 انتقل الشيخ ماء العينين من مدينة السمارة بالصحراء متجها شمالا نحو تيزنيت في المغرب، حيث توفي بها في نونبر 1910م، وظل الوضع على ما هو عليه إلى سنة 1912م، حين اتفقت فرنسا وإسبانيا يوم 27 فبراير على رسم حدود الصحراء المغربية واقتسام المغرب.

وفي 30 مارس وقعت معاهدة فاس بين السلطان المغربي عبد الحفيظ والفرنسيين التي دخل المغرب بموجبها تحت الحماية الفرنسية، مما جعل الشيخ أحمد الهبيبة بن الشيخ ماء العينين يعلن رفضه لاتفاقية الحماية، ويدخل مراكش في جيش كبير معلنا نفسه سلطانا على البلاد حتى حدود بداية مارس 1913م، حين دخلت القوات الفرنسية بقيادة المقدم الفرنسي "موراي" مدينة السمارة من أجل القضاء على معقل المقاومة في الصحراء. وظلت المناوشات بين المقاومة الصحراوية وقوات الاحتلال إلى عام 1932، حيث وقعت معركة أم التونسي قرب نواكشوط بموريطانيا، وهي من آخر معارك المقاومة في منطقة الصحراء. مما أعطى الفرصة لإسبانيا لإقامة أول ثكنة عسكرية لها في مدينة العيون الصحراوية سنة 1934.

لكن جذوه المقاومة ستنشعل في فبراير 1956 تحت لواء عناصر جيش التحرير الذي كان يضم في صفوفه بعض العناصر الصحراوية والموريطانية ضد الإسبان والفرنسيين داخل الصحراء. وفي نفس الوقت اجتمعت قبائل الصحراء في أم الشكاك بين العيون والسمارة لتحديد الموقف الواجب اتخاذه اتجاه الإسبان، وكان بدعوة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين وحضره حوالي 500 شخصية من أعيان القبائل. ولم تمر إلا أقل من سنة حتى نجحت قوات جيش التحرير في تحرير السمارة، وبيير آنزْران، وأوسْرْد بالصحراء، ووصلت إلى أدرار في الشمال الموريطاني، مما دفع كل من فرنسا وإسبانيا إلى وضع اتفاق دفاعي لمواجهة نشاط جيش التحرير الذي استطاع التوغل في العديد من المناطق الصحراوية، فشنت فرنسا وإسبانيا عملية عسكرية سُميت "المكينة" (يكوفيون) لتصفية وجود جيش التحرير في الصحراء المغربية وضرب القواعد الخلفية للثورة الجزائرية في فبراير 1958م. وفي نفس الشهر والسنة تم توقيع اتفاقية "سينترا بالبرتغال"، وهي الاتفاقية التي اعتبرت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب وحدة ترابية واحدة خاضعة لسلطة الإسبان، وانتظرت هذه الأخيرة إلى حدود 1961م لتعلن رسميا أن الصحراء المغربية محافظة إسبانية.

جيش التحرير المغربي في مواجهة مؤامرة الداخل وعواصف الخارج



حرب الرمال في 8 من أكتوبر عام 1963 بين الجزائر والمغرب

بعد حصول المغرب على الاستقلال الشكلي، وتصاعد الصراع بين القصر والحركة الوطنية والمؤامرة على جيش تحرير الشمال، وفي سياق هذه الرهانات المتناقضة، تحرك جيش تحرير الجنوب انطلاقا من كلميم بقيادة محمد بنحمو المسفيوي وعضوية محمد بنسعيد آيت يدر وعمر المسفيوي وكتب القيادة العليا محمد باهي، وانضم إليه المتطوعون من مختلف القبائل الصحراوية فواجهوا الفرنسيين في موريطانيا، تم الإسبان في آيت باعمران، والمناطق الصحراوية التي كانوا يحتلونها، دامت المقاومة المسلحة من يناير 1957م إلى غاية حل جيش التحرير في فبراير 1960م. ففي نونبر 1957 كان جيش التحرير قد تمكن من طرد الجيش الإسباني من طانطان، والسمارة، وأوسرد، إلى طرفاية، والعيون، والداخلة، وتم قصف مدينة العيون، وشن هجمات أخرى عديدة، فأضحت عاصمة المستعمرة مدينة العيون، معزولة عن الشاطئ الذي كان منفذها الوحيد على جزر الكناري، وأضحى الجنود والمدنيون الإسبان محاصرين في طرفاية والعيون والداخلة، وتشير تطورات المعارك إلى أن جيش التحرير كان قريبا من تحرير هذه المدن الثلاثة، وطرد الإسبان منها تماما، كما كان قريبا من تحرير مدينة إيفني عاصمة آيت باعمران، لكن عملية إيكوفيون في فبراير 1958، مكنت القوات الإسبانية من إعادة احتلال الصحراء، واسترجاع مواقعها العسكرية



كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق

في السمارة والكلتة وبئر أنزران وأوسرد وتشلة، رغم أن هذه المواقع ظلت دفاعية، فالجنود لا يغادرون مراكزهم إلا نادرا. كان وقع المجزرة الرهيبة كبيرا، نتيجة العملية العسكرية وخصوصا الهجمة الجوية الإجرامية للتحالف الاستعماري الإسباني الفرنسي والتي استهدفت المدنيين، وليس فقط عناصر جيش التحرير، مع ذلك، استطاع المقاومون فرض التفاوض على الإسبان من أجل تسليم طرفاية وطانطان إلى المغرب مقابل وقف إطلاق النار. استرجعت المدينتان في أبريل 1958، كما حررت أجزاء واسعة من منطقة أيت باعمران، باستثناء مدينة إيفني، التي لم تسترجع سوى سنة 1969.

توقفت مسيرة التحرير، ليس فقط بسبب اتفاق وقف إطلاق النار مع إسبانيا، لكن أيضا بسبب تأمر الدولة عليها، والصراعات السياسية التي هزت جيش التحرير من الداخل وانتهت بحله، فهناك شبه إجماع على أن عملية إيكوفيون هي التي أوقفت مسلسل تحرير الصحراء في هذه الفترة التاريخية، ولكن المرجح أن الرؤية الضبابية لقادة جيش التحرير، والصراعات بين مجموعاته والتي استغلته الدولة عبر أدواته مثل الدكتور الخطيب والمحجوبي أحرضان لتفكيكه، كانت عاملا مساعدا لذلك، ففي تاريخ حركات التحرر لم تكن أبدا الهزيمة في معركة ما، مهما بلغت خسائرها هي العامل الحاسم في إيقاف عجلة الكفاح المسلح، فقد كان بإمكان جيش التحرير

إعادة ترتيب أوراقيه واستعادة المبادرة، خاصة أن المقاتلين المنسحبين كانوا لا يزالون متحمسين لمواصلة حمل السلاح والعودة إلى ساحة المعركة، لو كانت توفرت الإرادة والشروط الذاتية والموضوعية، ولم ينزع منهم السلاح، ولم يقم بهم في صراعات جانبية. لقد توقفت مسيرة التحرير عند حل جيش التحرير، إلى غاية انتفاضة حي الزملة التي قادها محمد بصيري سنة 1970.

قضية الصحراء المغربية.. الإرهاصات الأولى للنزاع

كرونولوجيا الأحداث قبل اتفاقية مدريد

الصحراء منطقة شاسعة تقع جنوب المغرب ومساحتها حوالي 266 ألف كيلومتر مربع، ويدير المغرب نحو 80 بالمائة منها، والباقي خارج الجدار الأمني منطقة منزوعة السلاح، تخرقها في غالب الأحيان جبهة البوليساريو وطول شواطئها 1400 كم.

- في 1963 صنفت الأمم المتحدة الصحراء المغربية ضمن الأراضي التي لا تخضع لحكم ذاتي، والتي ينطبق عليها ما يعرف بـ "تصفية الاستعمار". وفي أكتوبر من نفس العام اندلعت حرب الرمال بين المغرب والجزائر، والتي يعتبرها البعض السبب الرئيسي في عداة النظام الجزائري للمغرب. الذي يطالب إسبانيا بإنهاء استعمارها للصحراء المغربية. 2072 - في 1965 اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم

- في 1966 ناقشت الأمم المتحدة في دورتها الـ 22 قضية الصحراء المغربية، وقد قدمت كل من إسبانيا والمغرب وموريطانيا عريضة تدعي فيها كل دولة أن الصحراء جزء منها، وفيه أيضا اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 2229، القاضي بتنظيم استفتاء في الصحراء لتقرير مصير المنطقة.

- في 1967 بدأت إسبانيا استغلال مناجم الفوسفات في الصحراء المغربية. وفي الوقت الذي أنشأت فيه "الجمعية الصحراوية" لتمثل الإقليم الصحراوي وقبائله في البرلمان الإسباني، عرضت فرنسا على الجزائر تقاسم منطقة الصحراء مع المغرب، وهو ما رفضته الجزائر، وكان المغرب لا ينفك يُطالب بالصحراء المغربية كجزء لا يتجزأ من أراضيه التاريخية، وكان تمسكه بها قد اشتد بعد تخليه عن المطالبة بموريطانيا عام 1969.

ميلاد لقيطة الجزائر.. جبهة البوليساريو

كانت الصحراء المغربية بدأت تشهد منذ الستينيات، حركات سياسية محلية مناهضة للاستعمار الإسباني، بعضها مقرب للمغرب مثل "حركة الطليعة" بقيادة محمد سيد إبراهيم بصيري والمجموعات القريبة منها، وبعضها لموريطانيا مثل صيلة ولد أعبيده الذي كان عضوا بالكورتيس الإسباني ممثلا للإقليم الصحراوي، ثم أسس جبهة تحرير الصحراء وضمها لموريطانيا، كان هناك أيضا تيار ثالث يرفع شعار الاستقلال وينادي بقيام دولة صحراوية مستقلة، وشكلت جبهة البوليساريو التي تأسست في مايو 1973 أهم فصيل في هذا التيار، وكانت مشكلة أساسا من طلبة صحراويين كانوا يدرسون بالجامعات المغربية، وكان الولي مصطفى السيد أبرز قيادات هذا التنظيم ذي النزعة اليسارية، في البداية قرر هؤلاء الطلبة المتتمردون العمل على



الاتفاقية الثلاثية بين: إسبانيا والمغرب وموريطانيا في 14 نونبر 1975

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق



صلات اجتماعية وروحية وسياسية بين الإقليم وسكانه وبين المغرب وموريطانيا، كما نصَّ على أنَّ "الصحراء لم تكن أرضاً خلاءً قبل الاحتلال الإسباني، وأن العلاقات القائمة لم ترق يوماً إلى مستوى السيادة ولا يُمكن أن تُؤثر على حق سكان الإقليم في تقرير مصيرهم السياسي". وقبل يومين من صدور الحكم، طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتنظيم استفتاء لتقرير المصير في الإقليم. بعد هذه الاستشارة القانونية الدولية قرر المغرب القيام بمسيرة سلمية إلى الصحراء شارك فيها حوالي 350 ألف متطوعاً ومتطوعة، وحين دخلوا يوم 6 نونبر ببضعة كيلومترات إلى الصحراء محطمين الحدود الاستعمارية، قررت إسبانيا الانسحاب من الصحراء عبر توقيع اتفاقية ثلاثية بينها وبين المغرب وموريطانيا.

سيصبح لبوليساريو جناحها العسكري "جيش التحرير الشعبي الصحراوي" الذي سيصبح أداة في يد الجيش الجزائري ومخابراته العسكرية والمدنية.

ثم أعلنت الجبهة عن إنشاء "الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية" الوهمية في 27 فبراير 1976، أبرز القادة المؤسسين: الولي مصطفى السيد، ومحمد عبد العزيز، وولد الشيخ بيد الله، وكانوا يتبنون الفكر "اليساري الاشتراكي". وبدأت الجبهة تحت رعاية المخابرات العسكرية الجزائرية

تكوين مجموعات مسلحة لمحاربة الاستعمار الإسباني، ولم يجدوا أي صدى لدعوتهم من قبل المسؤولين المغربية ولم تهتم الأحزاب المغربية بطلبهم، وهو ما سهل مأمورية السقوط في أحضان المخابرات الجزائرية، التي قدمت لهم إلى الطغمة العسكرية الحاكمة على طبق من ذهب، كي يكونوا أداة صراع إقليمي للهيمنة على المنطقة، ومن تم سيجدون كل الرعاية السياسية والمادية والعسكرية والإعلامية إبان الحرب الباردة، وصراع المعسكرين حول النفوذ في المنطقة، ودفعت الجزائر بالنفس الانفصالي إلى إعلان قيام جمهوريتهم الوهمية سنة 1976 وسط بضعة آلاف من رحل الصحراء ومنطقة الساحل الذين تم تجميعها لخلق مخيمات ومعتقلات تندوف، وطلب المساعدات الدولية على ظهورهم، والدفع بكل قوة لاعتبارهم لاجئين، ومن تم وضع العصا في عجلة الوحدة المغربية، في مقابل شعار النظام الجزائري "مغرب الشعوب". في حين كانت أغلب التيارات الأخرى ذات نزعة تقليدية وتشكل من وجهاء قبليين.

لقد شكَّلت "انتفاضة الزملة" (وهو حي سكني بمدينة العيون) عام 1970، وما رافقها من قمع للصحراويين من قبل الاستعمار الإسباني، مفصلاً هاماً أجج حراكاً تحريراً لم يعرفه الإقليم من قبل، وأسهم احتضار فرانكو وما كان يعنيه من خروج وشيك لإسبانيا من الصحراء، في مضاعفة الفاعلين المعنيين بالقضية جهودهم أملاً في الاستفادة بأنجع الطرق من مرحلة ما بعد فرانكو.

تأسست الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب المعروفة اختصاراً باسم البوليساريو.

في 20 ماي سنة 1973

وليس لأحد أن ينكر المآسي التي تعرض لها مؤسسو البوليساريو، خاصة من كان قد عايشها عن كثب. وتذكر دائماً أنهم كانوا ثلثة من ثلاثين شاباً جامعياً من أقاليم المغرب الجنوبية، قرروا ذات يوم أن يحملوا مصيرهم بأيديهم، بعد أن أغلق المسؤولون المغربية أذانهم حين طلبوا منهم الدعم والمساعدة كمغاربة أرادوا حمل السلاح لمواجهة المستعمر، هذه حقيقة للتاريخ ويعترف بها الجميع، وخطأ قاتل ارتكب في حق هذا الشباب الطموح مما أدى بهم إلى التمرد والانسلاخ عن وطنهم المغرب، وما عودة البعض منهم إلا دليل على هذه الحقيقة المرة..

كانت بداية التمرد عندما استغلوا احتفالات موسم طانطان للسير في مظاهرة في الأزقة الضيقة لهذه المدينة، التي لم تكن حينئذ مدينة بالمعنى الدقيق للكلمة وكانت تابعة إدارياً لعمالة طرفاية، بل إن

إحدى عوامل النشأة ترجع إلى هذه اللحظة التي قمعت فيها السلطات المغربية بقسوة هذه المظاهرة، فقد أمر قائد المنطقة باعتقال هؤلاء "العابثين" بالنظام، وعندما لم يجد سجناء ليضعهم فيه، قرر على عجل أن يلقي بهم في قبو من الطين المقوى مساحته عشرة أمتار مربعة، له باب واحد منخفض ومسطح، بدون نافذة، في حرارة تخنق الأنفاس هنا كان الطريق إلى قرار الانفصال.. حيث رفعت البوليساريو شعار الاستقلال والنضال المسلح، ففي 20 يوليوز من عام 1973 نفذت الجبهة أول عملية عسكرية لها ضد الإسبان بقيادة رئيسها الراحل الولي مصطفى السيد، وسميت العملية "الخنكة".

وفي 20 أكتوبر 1974 قام عناصر من جبهة البوليساريو بتعطيل الحزام الناقل للفوسفات من خلال حرق وتدمير بعض محطاته، وفي نفس السنة نظمت إسبانيا إحصاء لسكان إقليم الصحراء أصبح فيما بعد مرجعية أساسية بالنسبة للأمم المتحدة وأطراف النزاع في مساعي حل قضية الصراع على الصحراء، كما أصدرت مدريد قانون الجنسية الصحراوية الذي وافق عليه "مجلس الجماعة الصحراوي". وفي 20 غشت من العام نفسه أعلنت إسبانيا عزمها إجراء استفتاء لتقرير مصير الصحراء خلال الأشهر الستة الأولى من العام التالي.

في حين اختار المغرب وموريطانيا تنسيق جهودهما فتوجها إلى الأمم المتحدة في 17 شتنبر من نفس السنة مطالبين بعرض القضية على أنظار محكمة العدل الدولية لتقديم رأي استشاري حول صلات الإقليم بالبلدين من الناحية السياسية والاجتماعية، وفي ذات السنة 1974، شرعت المحكمة في الاستماع لمرافعات البلدين.

وفي يوم 16 أكتوبر 1975، أصدرت محكمة العدل الدولية رأيها الاستشاري، الذي أقر "بوجود



الأسرى الجزائريين في حرب الرمال في 8 أكتوبر 1963

بشن حرب عصابات ضد كل من المغرب وموريطانيا. والمجموعة التي أسست الجبهة تتكون من شباب مغاربة ينحدرون من أصول صحراوية، كانوا يتابعون دراستهم في المدارس المغربية وجامعة محمد الخامس بالرباط.

اتفاقية مدريد الثلاثية 14 نونبر 1975

دخل المغرب وموريطانيا في مفاوضات سرية مع إسبانيا، انتهت باتفاقية مدريد التي سارعت البوليساريو والجزائر إلى رفضها واعتبارها "مؤامرة" على سكان الإقليم، وقد سبق للجزائر أن أعلنت حيادها في الملف وأكّدت دعمها لأيّ جهد مغربي موريطاني لإنهاء الاستعمار الإسباني في الإقليم، وذلك خلال مؤتمر نوادييو الذي عقد عام 1970 وحضره قادة الدول الثلاث ملك المغرب الحسن الثاني والرئيسان الجزائري هواري بومدين والموريطاني المختار ولد داداه.

نص اتفاق مدريد على منح موريطانيا منطقة وادي الذهب (الجزء الجنوبي من الإقليم) والمغرب منطقة وادي الساقية الحمراء (الجزء الشمالي) ومقابل ذلك احتفظت إسبانيا باستغلال الفوسفات في مناجم بوكراع كما احتفظت بقواعد عسكرية قبالة جزر الكناري.

وفي 26 فبراير عام 1976، أبلغ الممثل الدائم لإسبانيا لدى الأمم المتحدة الأمين العام بأن "الحكومة الإسبانية تنهي بصورة حاسمة، ابتداء من اليوم وجودها في إقليم الصحراء وترى من الضروري أن تسجل ما يلي: أن إسبانيا تعتبر نفسها من الآن فصاعداً في حل من كل مسؤولية ذات طبيعة دولية تتعلق بإدارة الإقليم المذكور، نظراً لتوقف اشتراكها في الإدارة المؤقتة للإقليم..".

وقد كان من نتائج الاتفاق فتح الطريق أمام المغرب لبسط سيطرته على الجزء الشمالي من الصحراء المغربية، وفي 26 فبراير غادر آخر جندي إسباني الصحراء المغربية، وفي نفس اليوم أعلن عن قيام



كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق



اتفاقية 5 غشت 1979 برعاية الجزائر التي دعمت التمرد البوليساريو في الأراضي المغربية على حدود موريطانيا

سيادة الأراضي المغربية، ففي 15 فبراير 1976 أرسلت الجزائر وحدات من القوات الخاصة الجزائرية (كوموندوس) للهجوم ليلا على كتيبة مغربية صغيرة متمركزة في ضواحي أمغالا وتم تدميرها بالكامل وأسر 250 فردا، وهو ما سمي بمعركة أمغالا الثانية، وهلل الإعلام الجزائري لهذا الغدر/ النصر المبين. كانت هاته الهجمات العسكرية الجزائرية الغادرة، الدليل القاطع أمام العالم على أن الصراع حول الصحراء هو مغربي جزائري، وأن ما يسمى بجهة البوليساريو ليست حركة تحرير بل أداة في يد الجزائر، وأن خطاب بومدين حول حق تقرير المصير ليس إلا شعارا لذر الرماد في العيون، فقد خطت عسكر الجزائر خطوة نحو الحرب المباشرة بين الجيشين، وعندما وجدوا من تصدى لهم وأذل جنودهم أمام كاميرات العالم، وبأن أصحاب الأرض قادرين على حمايتها والتضحية من أجلها، رجعت خطوتين إلى الخلف، واختارت اللعب بالأداة الانفصالية وتسليحها وتمويلها واحتضانها، لعل وعسى تنجح في تحقيق وهم "مغرب الشعوب" نيابة عنها.

مسار حرب الاستنزاف على رمال الصحراء

انفردت معارك الصحراء بطابع حرب العصابات، بين الكر والفر، وهو ما صعب الأمر في البداية على الجيش المغربي باعتباره قوة نظامية تواجه جماعات مسلحة اغلب أفرادها يعرفون تضاريس الصحراء ومتمرسون على كثبانها وشعبها، مدججين بأحدث أسلحة المعسكر الشرقي الممولة من خزائن النظامين الليبي والجزائري، إضافة إلى الدعم اللوجستيكي والتقني، بل وصل الأمر إلى مشاركة وحدات الجيش الجزائري في المعارك.

صعوبات الجيش النظامي المغربي ليست فقط في مواجهة عصابات تحسن لغة الكر والفر فقط، بل تعدتها إلى صعوبة الحصول على الأسلحة لأسباب سياسية ومالية، وهو ما سبب في الانتكاسات العسكرية في النصف الثاني من عقد سبعينات القرن الماضي، لكن بمجرد الحصول على الأسلحة في بداية الثمانينات تغيرت الأوضاع العسكرية لصالح الجيش المغربي، وأحكم زمام المبادرة وشرع في بناء الجدار الأمني، وحرر عددا من المدن والقرى والمناطق، وارتباطا بهذه التطورات لا بد من الإشارة إلى أنه في 9 يونيو 1976 وقع هجوم البوليساريو على نواكشوط عاصمة وموريطانيا وقتل قائد الحملة الولي مصطفى السيد رئيس جبهة البوليساريو. لينتخب محمد عبد العزيز أميناً عاماً لجهة البوليساريو ورئيساً لمجلس "قيادة الثورة" في 5 غشت، وللإشارة ففي هاته الفترة قبل اغتيال الولي مصطفى السيد كانت له نزعة وحدوية لفك النزاع مع المغرب والاستقلال

"الجمهورية العربية الصحراوية" من الجزائر، إنها مفارقة المؤامرة الانفصالية لعسكر الجزائر، والتي استمرت إلى الآن.

وتجدد الإشارة إلى أن من وقع على الاتفاقية هم رئيس الحكومة الإسبانية كارلوس ارياس نافارو، وعن الجانب المغربي الوزير الأول احمد عصمان، وعن موريطانيا حمدي ولد مكناس وزير الخارجية. وفي أبريل 1976، وقع المغرب وموريطانيا رسميا اتفاقية لتقسيم الصحراء، فانطلقت شرارة المواجهة العسكرية الدامية بينهما وبين جبهة البوليساريو المدعومة عسكريا من قبل الجزائر وتسليحا من ليبيا وبعض الأنظمة الموالية لتقاطب الحرب الباردة عبر العالم.

أمغالا 1

في نهاية شهر يناير 1976 قام اللواء الأول للمشاة بالجيش الجزائري بالهجوم على بلدة أمغالا، في حين قام لواء آخر بالهجوم على منطقة تفاريتي، وركز لواء آخر للمدركات بالمحيس. وبعد ورود هذه المعلومات، توجه الجيش المغربي لصد هذا الهجوم في قوة تضم وحدة لجهة التحرير والوحدة تحت قيادة الراحل النقيب حبوها حبيب، وفيلقين للمشاة يقودهما العقيد بن عثمان والعقيد بن كيران، مدعومين بقوة للمدركات تتكون من 36 دبابة.

قام الجيش الجزائري بمركزة مدفعيته الثقيلة على الأراضي الموريطانية وبالتحديد بمنطقة: "كارة فوق كارة"، والتي تبعد مسافة 6 كيلومترات عن أمغالا.

سحقت القوات المغربية العناصر المهاجمة والحصيلة 40 شهيد و14 جريح من الجانب المغربي و200 قتيل و103 أسير من الجانب الجزائري مات منهم عنصر واحد من بعد، ودامت هذه المعركة 48 ساعة متواصلة، وقد غنمت القوات المغربية 35 سيارة جيب عسكرية والعديد من العتاد الحربي والذخيرة والمواد الغذائية.

وتم التوصل إلى هدنة بين المغرب والجزائر ولم يفرج عن الأسرى الجزائريين إلا بعد وساطة قامت بها كل من مصر وتونس والعراق والجامعة العربية وطلب الراحل صدام حسين من المغرب بإلحاح حفظ ماء وجه الهواري بومدين بإطلاق سراح الأسرى من الجنود الجزائريين.

أمغالا 2

ومع ذلك لم يهضم الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين الهزيمة وقرر الانتقام بأي وسيلة ولو غدرا ودوسا على الوساطات العربية التي كانت سبب الإفراج عن جنوده المهاجمين على

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق

أوقف الدعم السياسي والعسكري والمالي الليبي لعناصر البوليساريو. والإطار الذي تم الاتفاق عليه بين المغرب وليبيا سمي "الاتحاد العربي الإفريقي"، من أجل ترك الباب مفتوحا، لقد كانت أبرز مراحل الدفاء التي عاشتها علاقات البلدين، هي الفترة الممتدة بين 1984 و1986، حيث تم توقيع اتفاقية تعاون بين المغرب وليبيا، والقطع مع مرحلة كانت تدعم فيها هذه الأخيرة جبهة البوليساريو في حربها ضد المغرب في صحرائه، غير أن القشة التي قصمت ظهر هذا الاتفاق، كانت استقبال المغرب لرئيس حكومة الكيان الصهيوني "شمعون بيريز" في يوليو 1986 والذي اعتبره القذافي "خيانة عظمى للقضية العربية وتصرفا لا يطاق"، على حد تعبيره.

ظلت الأوضاع في المنطقة غير آمنة، فتحركت الآلة الدبلوماسية لإزالة الضباب من سماء المنطقة، فكان إنشاء "اتحاد المغرب العربي" ثمرة هذا التحرك، وهو اتحاد إقليمي تأسس بتاريخ 17 فبراير 1989 بمدينة مراكش بالمغرب، وتآلف من خمس دول تمثل في مجملها الجزء الغربي من العالم العربي وهي: موريتانيا، المغرب، الجزائر، تونس و ليبيا. وذلك من خلال إنشاء والتوقيع على ما سُمي بمعاهدة "اتحاد المغرب العربي".

فشل الاتحاد المغربي منذ تأسيسه في تحقيق الأهداف التي أنشئ لأجلها، حيث تسببت خلافات سياسية بالأساس في جعله كيانا إداريا ليس إلا، وفي مقدمة تلك العراقيل مشكل الصحراء المغربية المتنازع عليها مع الجزائر ومع أداتها جبهة البوليساريو التي تطالب بانفصال الصحراء، فالمغرب ما فتئ ينتقد جارتها الشرقية الجزائر ويتهمها بدعم البوليساريو سياسيا وماليا وعسكريا، فيما تؤكد الجزائر أنها تدعم الشعب الصحراوي في سعيه لإقرار حقه في تقرير مصيره بالصحراء بناء على أن القضية ما تزال تناقش بأروقة الأمم المتحدة للفصل فيها.



بالقرار عن هيمنة الجزائر، وهو ما عجل بتصفيته من طرف عسكر الجزائر وإحلال تابع للجزائر بتندوف : محمد عبد العزيز. وفي صيف 1979 خرجت وموريتانيا من الصراع بعد انقلاب عسكري يوم 10 يوليو أطاح بنظام الرئيس المختار ولد داداه، ووقعت مع جبهة البوليساريو اتفاق سلام بالجزائر يوم 5 غشت 1979 بعد مفاوضات مكثفة استضافتها فريتاون. ويوم 14 من نفس الشهر دخل الجيش المغربي إلى وادي الذهب بعد انسحاب الجيش الموريطاني وبذلك يكون المغرب قد استرد سيادته على كامل صحرائه الجنوبية.

طريق التسوية السلمية والمطبات الإفريقية والمغربية

في 26 يونيو 1981 أعلن ملك المغرب في مؤتمر قمة الوحدة الإفريقية بنبروي عن قبوله تنظيم

استفتاء تقرير المصير في الصحراء. القرار اتخذ بصفة انفرادية وبدون استشارة شعبية، لأن السيادة للشعب وهو الوحيد صاحب الحق الذي يخول له قبول أو رفض الاستفتاء على جزء من أراضيه، ومع ذلك وقبل نهاية هذه السنة شرع المغرب ببناء الأحزمة الدفاعية أو الجدار الأمني لحماية "المثلث النافع" من الصحراء والذي يضم العيون والسمارة وبوكرام، حيث يتركز معدن الفوسفات وغالبية السكان.

في 12 نوفمبر 1982 تم إقحام ما يسمى ب "الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية" في منظمة الوحدة الإفريقية، وكان رد الفعل المغربي هو الانسحاب من هذا

التنظيم القاري الذي ساهم في تأسيسه، لإغلاق قوس المناورة الجزائرية التي تشتري أصوات البلدان الإفريقية الفقيرة للاعتراف بمولودها اللقيط، ومن تم إغلاق طريق أي دور للمنظمة في ملف الصحراء.

وفي 27 شتنبر عام 1983 سيعلن المغرب رسميا قبول إجراء الاستفتاء مهما كانت نتائجه، هذه الخطوات والمسامحة ستدفع الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إصدار قرارها رقم 50 / 40 في 31 أكتوبر 1986 حول الصحراء المغربية المطالب بإجراء مفاوضات مباشرة بين طرفي النزاع في هذا الموضوع المتشابك، وتفرض منهجية التسلسل الزمني الوقوف عند حدثين هامين كادا يعتبران بشكل من الأشكال لبنتين في طريق التسوية السلمية، لولا تصميم النظام الجزائري على منازعة المغرب في وحدته الترابية، ويتعلق الأمر بالوحدة بين المغرب وليبيا تم الوحدة المغربية.

وللإشارة فقد سبق أن عرض الراحل معمر القذافي سنة 1986 الوحدة على المغرب، قبلها هذا الأخير فورا فلم يكن هذا الاستعداد اعتباريا، وإنما هو تصيد للفرصة السانحة، في سياق كانت فيه الجزائر قد أقنعت جارتها، تونس وموريتانيا بالتوقيع على اتفاقية ثلاثية للتعاون أقصي منها المغرب وليبيا، ومن ثم جاء المقترح الليبي في اللحظة المناسبة، فاقتنصه المغرب ليضرب عصفورين بحجر واحد، فمن جهة عطل الاتفاق الثلاثي في المهدي، لأنه أصبح غير عملي، ومن جهة أخرى

وقف إطلاق النار وخط التسوية الأهمية

في صيف سنة 1988 م سيوافق المغرب وجبهة البوليساريو على خطة السلام المقترحة من طرف الأمين العام للأمم المتحدة، وهو ما سيؤدي في 20 شتنبر إلى مصادقة مجلس الأمن على القرار رقم 621 بتعيين ممثل خاص للأمين العام المتحدة مكلف بقضية الصحراء. وكانت بداية عمله في يونيو 1990 م بالإشراف على أول اجتماع للشيوخ الصحراويين بجنيف، وفي 18 يونيو تقدم الأمين العام للأمم المتحدة لمجلس الأمن بتقريره الكامل وفيه مقترحاته الخاصة بحل مشكلة الصحراء المغربية، وقررت المصادقة عليه من قبل المجلس في نهاية الشهر.

وسعى المغرب لتكون له اليد العليا سياسيا وعسكريا خلال الفترة الممتدة بين سنة 1989 إلى سنة 1991. لقد أنهى اتفاق وقف إطلاق النار النزاع المسلح بين جبهة البوليساريو والجزائر من خلفها مع المغرب في شتنبر 1991. ولا يعرف بالضبط الخسائر البشرية والمادية بيد أن بعض المصادر تقول بأن العدد الإجمالي للضحايا يتراوح ما بين 10,000 و20,000 قتيلًا بين الطرفين، وبضعة آلاف من الأسرى وتأثير واضح على اقتصاد كل من المغرب والجزائر والمنطقة.



كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق

- إعطاء حكم ذاتي للصحراويين ضمن سيادة المغرب.

- تقسيم الصحراء بين المغرب والبوليساريو.

- سحب الأمم المتحدة للمراقبين الدوليين العاملين في الصحراء منذ 11 عاما وترك الأطراف المعنية وشأنها.

وكان رد الجزائر أرعن كالعادة بزيارة عبد العزيز بوتفليقة مخيمات الصحراويين بتندوف بمناسبة الذكرى الـ 26 لإعلان "الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية" الوهمية، وهو أول رئيس جزائري يزور المخيمات منذ إنشائها سنة 1976.

تجدد الإشارة إلى أن بعثة الأمم المتحدة كانت مؤلفة من 612 مراقبا عسكريا وجنديا و62 ضابط شرطة.

في عام 2003، تم اقتراح نسخة جديدة من الخطة الرسمية (خطة بيكر) مع بعض الإضافات والتعديلات؛ إلا أن السلطات المغربية رفضتها مجددا مؤكدة على أن التعديلات في مشروع القرار تقلص من صلاحياتها. وكانت الخطة المعدلة قد قدمت مزيدا من التفاصيل حول عملية الاستفتاء من أجل جعل الأمر أكثر صعوبة في حالة الرغبة في المماطلة أو المقاطعة، وقد عُرف المشروع الثاني باسم "بيكر الثاني" الذي وافقت عليه جبهة البوليساريو في لحظة شكّلت مفاجئة للعديد من الأطراف المفاوضة والمشاركة في النزاع.

خطة بيكر الثانية كانت

ملغومة إذ جمعت بين ما لا يجمع في القانون الدولي حول وحدة الدول وسيادة الشعوب وتأويل حق تقرير المصير بشكل تعسفي، والتي كان من شأنها حسب واضح الخطة، أن تُعطي للصحراء سلطة الحكم الذاتي باعتبارها سلطة مستقلة خاصة بعد القيام باستفتاء عام ثم المرور للفترة الانتقالية بعد مضي خمس سنوات. الخطة وضعت سكان الإقليم بين خيارين؛ إما التصويت لصالح الاستقلال أو البقاء تحت جناح الدولة المغربية ومن ثم الاندماج الكامل معها. بشكل عام قبلت جماعة البوليساريو الخطة إلا أن المغرب رفض ذلك. وكان بيكر من خلال خطته رقم واحد قد وضع معطيات حُدفت من الخطة الثانية إلا أن الجزائر وجبهة البوليساريو رفضتا ذلك واقترحتا تقسيم الإقليم وهذا ما لا يرغب فيه المغرب.

استقال بيكر من منصبه في الأمم المتحدة عام 2004؛ وقد

صرح عقب تقديم الاستقالة قائلا: «إنني لا أظن أن هناك حلا لهذه الأزمة»، وقد جاءت استقالته بعد عدة أشهر من المحاولات الفاشلة لاستمالة المغرب من أجل الدخول في مفاوضات رسمية بشأن خطته لكن السلطات المغربية قابلته بالرفض، خاصة بعدما عارض المغرب إجراء أي استفتاء على الاستقلال.

حاول المغرب والجزائر مرارا وتكرارا من خلال مفاوضات ثنائية الوصول لحل لكن هذا لم ينجح، خاصة وأن المغرب يتهم الجزائر بدعم جبهة البوليساريو ويعتبرها مخلب قط تابع للجيش الجزائري، في حين تنفي الجزائر في معظم الأحيان هذه التهم وتؤكد هي بدورها أن المغرب حصل على دعم صريح من قبل كل من فرنسا والولايات المتحدة قصد السيطرة على تلك الأقاليم. وكانت المفاوضات التي عقدها "الجارين" من شأنها أن تحدد بالضبط مسار الحل.

في شهر يناير 2005 عين الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان الدبلوماسي الهولندي بيتر فان

ففي 29 إبريل 1991 تمت مصادقة مجلس الأمن على القرار رقم 690 لتشكيل بعثة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء المغربية: المينورسو، لتتوج هذه الجهود في 6 شتنبر بالاتفاق على وقف إطلاق النار بين طرفي النزاع.

وظلت تتسارع الأحداث واللقاءات والقرارات بعد لقاء العيون تحت رعاية الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة المكلف بملف الصحراء، حيث تم تعيين لجنة تحديد الهوية التابعة للمينورسو، وبدأت الأعمال التحضيرية لتسجيل المصوتين الفعليين، وقد شرعت لجنة تحديد الهوية في عملية تسجيل الصحراويين المسموح لهم بالتصويت بفتح مكاتب في مدينة لعيون، بيد أنه في شهر دجنبر عام 1995 تم تجميد عملية تحديد الهوية بعد خلافات كبيرة بين الطرفين المتنازعين على تفسير الشروط المطلوب توفرها في الناخبين. وبعد وساطات متعددة تم في عام 1997 التوقيع على اتفاقية هيوست من طرف المغرب وجبهة البوليساريو، لتبدأ المرحلة الثانية من تحديد الهوية وتنتهي في شتنبر 1998م ليصبح مجموع من حُددت هويتهم في المرحلتين 147348 شخص. لكن عادت خطة الاستفتاء الأممية بالصحراء للتوقف بسبب الخلافات الحادة بين الطرفين حول من يحق له التصويت. وفي 17 يناير عام 2000م تم نشر لوائح المؤهلين للتصويت من القبائل التي هي محل الخلاف بين طرفي النزاع، لتأتي بعد ذلك المبادرة الفرنسية الأميركية المقدمة لمجلس الأمن لصياغة حل سياسي، وتنص أساسا على

إعطاء حكم ذاتي للصحراويين ضمن سيادة المغرب. فبدأت الجولة الأولى بلندن بين المغرب والبوليساريو بإشراف الأمم المتحدة في 28 يونيو، والجولة الثانية بجنيف بين 20 و21 يوليو، توجت بصور قرار مجلس الأمن رقم 1309 المبني على المبادرة الفرنسية الأميركية التي تقترح حلا سياسيا لمشكلة الصحراء، ودعوة جيمس بيكر ممثل الأمين العام للأمم المتحدة المكلف بنزاع الصحراء إلى حل تفاوضي بين الطرفين مما يعني تخلي الأمم المتحدة عن خطة الاستفتاء.

وبعد جولات بين المغرب والبوليساريو بإشراف الأمم المتحدة، أعلن المغرب في ختامها عن استعداده لحل سياسي تفاوضي. وفي بداية السنة 2001 قدم المبعوث الأممي جيمس بيكر الاتفاق الإطار لحل مشكلة الصحراء، وينص على استقلال موسع مع ارتباط بالمغرب في المجال الخارجي والعملة والعلم.

فرفض البوليساريو الاتفاق الإطار المقدم من طرف الأمم المتحدة، وأرسل رئيس الجزائر عبد العزيز بوتفليقة رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، تتناول موقف الجزائر الراض لاتفاق الإطار.

هدد جيمس بيكر بالاستقالة إن لم يؤيد مجلس الأمن خطته لحل النزاع في إقليم الصحراء، وتقترح تلك الخطة أن تكون الصحراء جزءا من المغرب ولكن مع التمتع بحكم ذاتي تحتفظ بموجبه بقدر كبير من السلطات، وقد حظيت هذه الخطة بتأييد المغرب، لكن كلا من جبهة البوليساريو والجزائر رفضاها.

في 20 فبراير 2002 قدم الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان تقريرا أمام مجلس الأمن الدولي من أربعة خيارات لحل مشكلة الصحراء:

- تنظيم استفتاء في المنطقة دون اشتراط اتفاق الطرفين.



السادس من شهر شتنبر اتفاق وقف إطلاق النار بين المغرب وجبهة البوليساريو سنة 1991

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق



فالسوم مبعوثا شخصيا جديدا للصحراء المغربية خلفا لجيمس بيكر.

وفي 26 مارس 2006 اقترح المغرب منح المنطقة حكما ذاتيا في إطار السيادة المغربية، وهو ما رفضته البوليساريو والجزائر.

في 11 أبريل 2007 قدم المغرب للأمين العام للأمم المتحدة المبادرة المغربية للتفاوض بشأن نظام للحكم الذاتي في الصحراء، وبالتحديد اقترح المغرب أن تصبح الصحراء المغربية كيانا يتمتع بالحكم الذاتي وذلك عن طريق المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية "الكوركاس"، الذي ينبغي أن يحكم الإقليم؛ وقد تم عرض المشروع على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في منتصف أبريل 2007.

وبالموازاة مع ذلك في 18 يونيو نجح المبعوث الأممي فالسوم بتنظيم جولات محادثات لأول مرة بين طرفي النزاع نظمت لاحقا في نيويورك تحت إشراف الأمم المتحدة، لكنها لم تفضي إلى نتائج واقعية، وفي أبريل 2008 أعلن المبعوث الأممي فالسوم بأن خيار الاستقلال الذي تطالب به جبهة البوليساريو "خيار غير واقعي"، بينما انتقدت الجبهة فالسوم واعتبرته "منحازا للمغرب". وفي شهر غشت صرح فالسوم بأن "الشرعية الدولية" في جانب جبهة البوليساريو، لكن الواقع على الأرض مع المغرب، موقعا على نهاية وساطته، مما اضطر معه الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون تعيين الدبلوماسي الأميركي كريستوفر روس في يناير 2009 مبعوثا خاصا له إلى الصحراء المغربية خلفا للهولندي فالسوم.

بعد أن فشلت عدة جولات من المفاوضات غير المباشرة بين المغرب وجبهة البوليساريو عقدت منذ 2007 برعاية الأمم المتحدة في الولايات المتحدة، واجتماعات رسمية بينهما في العاصمة النمساوية فيينا، في حلقة الملف، وفشل روس في إيجاد حل، أعلنت السلطات المغربية في مايو 2012 أنها فقدت ثقها في روس، الذي تعرض لانتقادات حادة من المغرب الذي اتهمه بالانحياز لصالح جبهة البوليساريو، أما هذه الأخيرة فقد أدانت موقف المغرب، وظلت الأوضاع على ما هي عليه إلى يوم

6 مارس 2017، حيث كشف مصدر في الأمم المتحدة أن روس قدم استقالته من منصبه في رسالة بعثها إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش.

قبل ذلك وفي 15 نوفمبر 2010، اتهم المغرب المخابرات الجزائرية بتدبير تمويل مخيم "إكديم يزيك" ضواحي مدينة العيون وذلك بهدف زعزعة الاستقرار في المنطقة. أما الصحافة الإسبانية فقد اتهمت السلطات في المغرب بشن حملة تضليل ضد الصحراويين وذلك بعدما قامت بمنع جميع الصحفيين الأجانب من دخول المنطقة، وطردت آخرين بينما منعت الباقي من السفر، وقد تزامنت الاحتجاجات مع جولة جديدة من المفاوضات تحت رعاية الأمم المتحدة.

كما رفض المغرب مطالبة الاتحاد الأفريقي بتوسيع مهام بعثة "المينورسو" لتشمل مراقبة حقوق الإنسان في الصحراء المغربية، معلنا رفضه القاطع لأي دور أو تدخل من الاتحاد الأفريقي في هذا الملف، ومتهما إياه بالانحياز.

في عام 2016، أعلن الاتحاد الأوروبي أن "الصحراء الغربية ليست جزءا من الأراضي المغربية." وفي مارس من نفس السنة طرد المغرب أكثر من 70 عاملا في الأمم المتحدة أو في بعثتها وذلك بسبب توتر العلاقات بعد أن صرح بان كي مون في مؤتمر مدعي أن ضم المغرب للصحراء المغربية هو بمثابة "احتلال لدولة ذات سيادة".

خلال كل مرحلة من هذه المراحل هددت جبهة البوليساريو بشكل متقطع باستئناف القتال،



كان الاستعمار الإسباني، يعتقد أن الصحراء المغربية إسبانية بوضعها في طوابعه

مشيرة إلى أن المغرب رفض الاستفتاء كما خرق وقف إطلاق النار، ولكن معظم المراقبين يرون أن احتمال اندلاع نزاع مسلح حول المنطقة غير وارد، خاصة وأن البوليساريو لا يمكنها التحرك إلا بالحصول على الضوء الأخضر من الجزائر التي لا ترغب على الأقل في الفترة الحالية في ترك الجبهة تفعل ما تشاء.

لقد طالب المغرب مرارا وتكرارا من المنتظم الأممي زيارة مخيمات تندوف وإحصاء ذوي الأصول الصحراوية، ووضع مخيمات الاحتجاز تحت وصاية القبعات الزرق، حتى يتسنى تحرير هؤلاء الرهائن، لأن كل الانتفاضات التي يقومون بها ضد المخابرات العسكرية الجزائرية يتم قطع أنفاسها في المهمل، باعتبار أن الجيش الجزائري صاحب الولاية والحل والعقد في شؤونهم، إن هدف هذه التمردات والاحتجاجات هو إطلاق سراحهم كي يعودوا إلى أوطانهم في المغرب وموريتانيا ومالي وغيرها من دول الساحل.

ولا بد من التذكير بأخر قرار لمجلس الأمن بهم قضية الصحراء تحت رقم 2494 صدر في 30 أكتوبر 2019 ويتعلق الأمر ب:

- تمديد ولاية بعثة الأمم المتحدة لتنظيم استفتاء في الصحراء الغربية حتى 31 أكتوبر 2020.

- رحب القرار بالتزام جبهة البوليساريو والمغرب والجزائر وموريتانيا.

- تشجيع الدول الأعضاء على تقديم التبرعات الجديدة لتمويل البرامج الغذائية لتلبية لاحتياجات اللاجئين الإنسانية.

- كما نص القرار على وجوب الاحترام التام بشأن وقف إطلاق النار، والامتناع عن أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى زيادة زعزعة استقرار الحالة في الصحراء المغربية.

تضحيات أبناء الشعب من جنود وضباط من أجل الوحدة الترابية

طيلة مراحل حرب الصحراء وقعت عدة معارك ضارية بين الجيش المغربي والبوليساريو ومن ورائهم الجيش الجزائري والسلاح الليبي. وهناك العديد من الجنود والضباط الذين بصموا بمداد الفخر والاعتزاز أسماءهم فوق الكتيبان الرملية وبين الشعاب، ومنهم على سبيل المثال العقيد محمد الغجدامي، ومن أحسن الخصال التي جعلت الرجل قريبا إلى الجنود المحاربين هو قربه إليهم في جميع اللحظات، في ساعة الراحة وهدوء الصحراء وفي ساعة النار والبارود والموت والمواجهة والقتال، كان مقاتلا من الطراز الرفيع، لذلك لقب ب"أسد الصحراء".

فقد كان أكبر عدو للبوليساريو في معارك الصحراء، لكن الخصم كان يهابه ويخافه ويحترمه، وحين يسأل أهل الصحراء عن أقرب وأعز الناس إليهم من الجنود والقادة العسكريين، فإنهم يجيبون بلا تردد: إنه الكولونيل محمد الغجدامي. أهل الصحراء يقولون إنه صحراوي من أبناء قبيلتهم، والريفيون من قبيلة تمسمان يقولون إنه أمازيغي ريفي عاش معهم، ولد الراحل بأصيلة عام 1936 ودرس بالعرائش، حيث كان والده ضابطا عسكريا، أكمل الغجدامي دراسته بإسبانيا بأكاديمية بورغوس العسكرية، ثم تلقى تكوينا عسكريا بسان سير بفرنسا، قبل أن يعود إلى المغرب ببلده الذي ربطه به حبل سرة لم ينقطع إلا بوفاته التي انتهت في صمت ودفن في صمت، ودفنت معه أسراره وإلى الأبد بعد إبعاده عن الجيش في ظروف غامضة على إثر وفاة الجنرال الديلمي قائد المنطقة الجنوبية، ودون رد الاعتبار لتضحياته.



كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية

بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق

وهذا الظلم والغبن يسري كذلك على أغلب الجنود وصغار الضباط الذين ترك لهم الفتات في صندوق التقاعد لا يكفي حتى لسد الرمق.

بعد خسارات البدايات الأولى للحرب التي لحقت بالقوات المغربية بسبب صعوبة الحصول على الأسلحة، تم تشكيل فيالق متنقلة للنجادات، كل فيلق يغطي مساحة عملياتية محددة. أصبح العقيد الغجدامي قائدا للفيلق المنتحرك السادس للمشاة الميكانيكية الذي يقاتل وينجد في نفس الوقت، حين اندلعت نار الحرب كان الضابط الغجدامي والطوبجي والعقيد بن عثمان قائد الفيلق الثاني وبعض الضباط المساعدين لهم، على رأس اللائحة التي وضعها الملك والد ليمي، والتي كانت حطب المعارك الأولى في الصحراء بدون تسليح مناسب للمعركة، ففقد الجيش المغربي الكثير من الضباط مثل عمر العيساوي الذي استشهد سنة 1977م في اشتباك حول مدينة السمارة، والعقيد أولسليم الذي استشهد في نفس السنة بمعارك بئر أنزران الشهيرة، والعقيد الخطابي الذي استشهد في توكات في نفس السنة، والعقيد عبد السلام العابدي قائد الفيلق الثالث الذي استشهد لاحقا في شتنبر 1988 وغيرهم..

إن تواجد الغجدامي في خطوط النار الحمراء كان يكلفه حياته في أكثر من مرة، بل إنه في بعض الأحيان كان يقع في الأسر، والوقوع في الأسر كان مخيفا بالنسبة للضباط المغاربة الكبار، خاصة بعدما شاهدوا صور الضابط النقيب الأسير الطاهيري الطاهر، أول أسير مغربي، على صفحات الجرائد وفي التلفزيون الجزائري وهو في حالة يرثى لها نتيجة التعذيب وعدم احترام الجزائر وأذناها لقوانين الحرب والأسرى،

"ثعلب الصحراء" هو اللقب الذي سيطلقه المراسل الحربي لمجلة "باري ماتش"، الفرنسية على الكولونيل محمد الغجدامي عقب الانتصار الباهر الذي حققه فيلقه العسكري على 3000 مقاتل من البوليساريو ومن معهم في معركة "بئر أنزران" الشهيرة التي وقعت فصولها خريف سنة 1979. ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى الفيلق الرابع للمشاة تحت إمرة العقيد فتحي الذي كان يحمي مدينة طانطان، وكانت هذه الفرقة مكلفة أيضا بحراسة قوافل الإمدادات ومكلفة بحراسة منشآت الفوسفات بضواحي مدينة العيون فوسبوكراغ، والتي كانت عرضة دائما لهجومات عناصر البوليساريو.

فرق تنقية وتمشيط جبال الواركيز أسند أمرها إلى العقيد المحجوب الطوبجي صاحب كتاب « ضباط صاحب الجلالة » الذي التحق بهم نهاية دجنبر 1980 وكانت تتكون من 6000 جندي وضابط أغلبهم حديث العهد بالجنديّة، كانت المهمة التي كلفت بها هذه الفرقة هي رفع الحصار الذي ضربته عناصر البوليساريو على مدينة الزك والذي دام زهاء 3 أشهر، وكان تسليح عناصر البوليساريو تسليحا جيدا مدججين بأسلحة متطورة، سقط عدد من الشهداء نظرا لظروف تضاريس هاته الجبال، لكن في النهاية تم دحر البوليساريو، وقتل وأسر عدد منهم. هناك معارك أخرى خاضها الجيش المغربي ببسالة وقدم أرواحه وحرية أبنائه في سبيل وحدة الوطن، كمعارك السمارة، وطانطان، والمحبس، والمسيد، وفوس بوكراغ، وتيفارقي، وكتلة زمور، واجديرية، وغيرها..

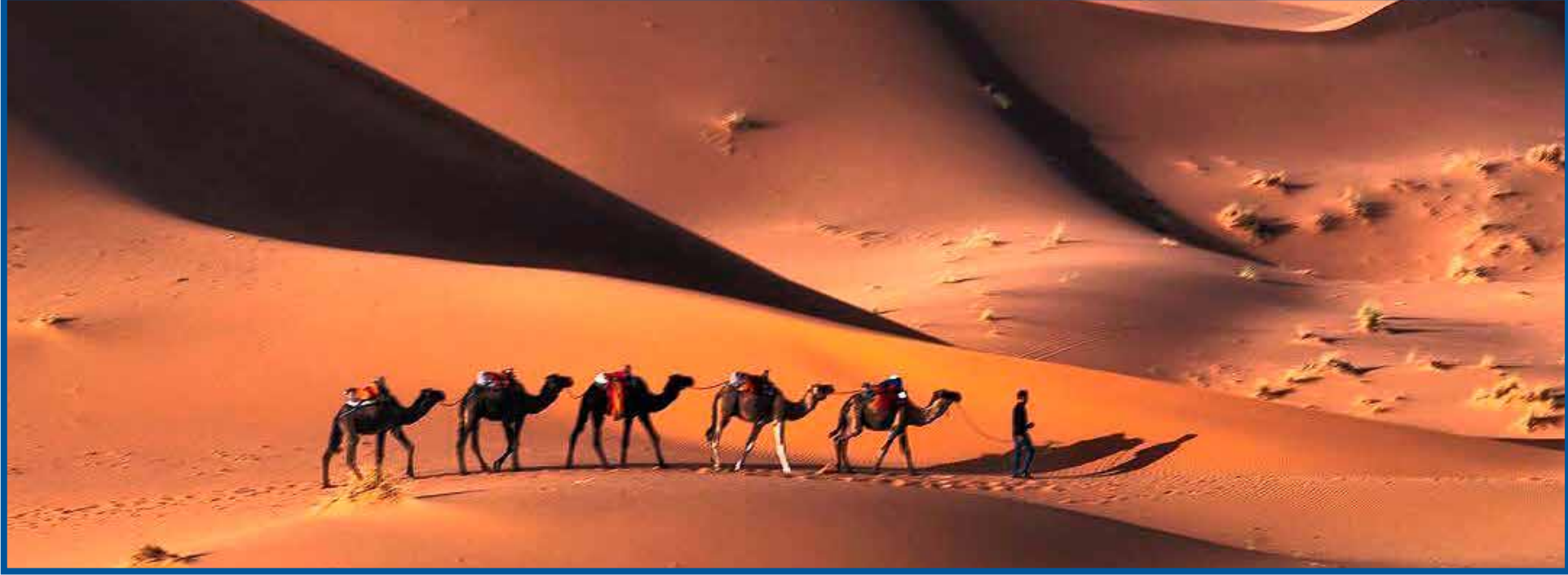
الجدار الأمني.. الدرع الواقي من حرب العصابات

تم الشروع في بناء الجدار الأمني الرمي على 7 مراحل زمنية ما بين غشت 1980 إلى ابريل 1987 بطول 2.360 كيلومتر وارتفاع 6 أمتار، يحمي 80 في المائة من أراضي الصحراء المغربية، وظلت 20 في المائة من الأرض عبارة عن منطقة عازلة مقسمة منطقة الصحراء المغربية تقسيما طويلا من الشمال إلى الجنوب إلى منطقتين منفصلتين. وعملية مراقبة الجدار وحرصته وصيانته تتم من طرف الجيش المغربي ولا زالت مستمرة إلى غاية يومنا هذا، وتتواصل على مدار الساعة من قبل آلاف الجنود والضباط الذين يشرفون عليها، بينما تمسح أجهزة الرادار وبعض وسائل المراقبة الإلكترونية المتقدمة المنطقة على مدار الساعة كذلك، بحثا عن أي مهاجمين أو دخلاء محتملين، ويمتد على طول هذا الجدار حزام من الألغام الأرضية الذي يعرف بكونه أطول حقل ألغام في العالم، حيث يوجد به حوالي 7 ملايين لغم تمتد كلها في المنطقة العازلة، أي في المنطقة الحرة، بالإضافة إلى أعداد كبيرة جدا من المتفجرات من مخلفات الحروب السابقة، التي كثيرا ما تتسبب في حدوث حالات إصابات بليغة، وبترا أعضاء، ووفيات بين المدنيين الذين يدوسون عليها خطأ.

لقد كان لبناء الجدار الأمني في بداية الثمانينات الأثر البالغ في تغيير مجرى الصراع استراتيجيا وجيوسياسيا، إذ صعب على التوابع الانفصالية للجزائر الهجوم على المدن والقرى وحزام فوسبوكراغ، وفسح المجال لتنقل الناس والسلع من شمال المغرب إلى جنوبه بأمان عوض التنقل عبر قوافل يحرسها الجيش من مدينة طانطان إلى مدن الساحل البحري، إذ لم يمكن بالإمكان سابقا المغامرة بالتنقل خارج هذا المجال العسكري الضيق، وبذلك يكون الجيش المغربي قد وضع الإطار العام الأمني على أرض الواقع لحماية مناطق ومدن وقرى الصحراء المغربية.

كرونولوجيا قضية الصحراء المغربية بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

♦ عبد المجيد مصدق



خاتمة

على التمرد المنطلق من الأراضي المغربية ولقادة مقاطعة الجزائر الفرنسية، وهكذا اقتطعت من المغرب مدن وقرى بأكملها كتلمسان و غورارة و سيدي كلت و كلوم بشار و تندوف، إضافة إلى منطقة توات التابعة آنذاك للمغرب، وكل هاته المناطق تعتبر في جميع الخرائط والمخطوطات التاريخية و الانثروبولوجية امتدادا جغرافيا و سياسيا و قبليا لمنطقة تافيلالت المغربية الشهيرة وقد تناولها العديد من المؤرخين..

ان الدفاع عن الحقائق التاريخية وعن الأحداث والوقائع الماثلة تؤكد بالملحوس أن المغرب على حق ويدافع عن أرضيه. لقد كانت قضية الصحراء المغربية ورقة صراع بين الشرق والغرب إبان الحرب الباردة ولا زالت تداعياتها مستمرة حتى الآن، كما أنه في كل لحظة انفراج بين المغرب والجزائر تتحرك المافيا العسكرية الجزائرية والقوى الدولية التي لها مصلحة في استمرار النزاع، لتعود العلاقة بين البلدين إلى نقطة الصفر.

إن سبب هذا الدعم الجزائري لا يتعلق بما تعلنه الجزائر من "عدالة القضية" فقط، بل لأن الجزائر وجدت فرصة لتصفية حسابات قديمة ومتجددة مع المغرب، حيث إن لهذا الأخير هدف معروف وهو استرجاع أقاليمه الشرقية التي اقتطعها الاحتلال الفرنسي وضمها إلى الجزائر الفرنسية، وأيضا توجد منافسة على الزعامة الوهيمية في المغرب العربي، إن العلاقة بين الجزائر والجهة باتت تاريخية بل عضوية، كما أن الجهة أصبحت جزءا من شبكة الحلول الأمنية الجزائرية، لقد لقيت الجهة دعما شاملا من الجزائر خاصة على المستوى العسكري والمالي وحتى الدبلوماسي، حيث سعت لدى عدد من دول العالم للاعتراف بما يسمى "الجمهورية الصحراوية" بشكل جعل منظمة الوحدة الأفريقية تعترف رسميا بحكومة "الجمهورية الصحراوية" عضوا فيها عام 1984، لدرجة لم تنل القضية الفلسطينية ولو نصف ما خصصته لبوليساريو، الدولة الجزائرية. التي تتبجح ليل نهار بدعمها ومساندتها للفلسطينيين، لكن فقط على أمواج الأثير وبلاغات المجاملة الفارغة.

إن معاكسة حق الشعب المغربي في وحدته الترابية بدعوى حق تقرير مصير الشعوب، كلام حق أريد به باطل، فتأويل المصطلحات القانونية وغموضها في القانون الدولي عمل جاري به العمل، فالذين شرعوا تلك المصطلحات لم يكن هدفهم توطيد حق الشعوب في تقرير مصيرها بقدر ما كانت الخلفيات هدفها خدمة مصلحة الاستعمار من خلال تفكيك الدول والشعوب ونسجها الاجتماعي وهدم ذاكرتها الجماعية، وإيقاظ النعرات الإثنية والطائفية والقبلية والمذهبية والعقائدية، لتسهيل مأمورية الاستعمار بكل أصنافه في أي مكان وفي القادم من الزمان، وفقا لقاعدة المركز يظل مركزا أقوى بفضل ضعف المحيط/الهامش، وهو الترجمة الفعلية لقانون الأقوى السائد في العلاقات الدولية، وكذلك لمحو آثار الشعوب الأصلية وحضارتها لسيادة الحضارة الغربية الكولونيالية ذات النزعة الإقصائية والاستغلالية والعنصرية، فالأساس الشرعي هو وحدة الشعوب والدول لمواجهة قساوة الطبيعة والفقر والجهل، واستمرار نزاع الصحراء المغربية ينم عن حقد أولا وجهل حكام الجزائر بأنهم ينفذون بوعي أو بدون وعي أجندة تخدم مصالح الدول الكبرى وشركاتها الصناعية والتجارية العبر وطنية، والضحية شعوب المنطقة.

في أكتوبر 1974م أعلن الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين في مؤتمر القمة العربي بالرباط أن مشكلة الصحراء لا تهم سوى المغرب وموريطانيا، وأن الجزائر مع الدولتين وتؤيد تحرير كل شبر من الأرض لا فقط في الصحراء الغربية، بل أيضا في سبتة ومليلية وكل الجزر التي لا تزال تحت الاحتلال الإسباني. خطاب يخفي حقيقة ما يضمرة من عداوة اتجاه المغرب، وما يخفيه من نفاق اتجاه شعوب المنطقة. ومنذ ذلك الوقت والطغمة العسكرية الحاكمة بالجزائر تناور وتعاكس وتعارض استرجاع المغرب لأقاليمه الجنوبية.

لقد بددت وبدرت الثروة والمال العام للشعب الجزائري من أجل تسليح انفصاليين ينازعون في الوحدة الترابية للمغرب، نهبت وخسرت أموال طائلة ما أحوج الجزائريين إليها لإنجاز البنيات التحتية والرفع من قدرات القطاعات الاجتماعية وتحسين المعيشة للطبقات الشعبية، فالشعب الجزائري نفذ صبره وخرج منذ أكثر من سنة نائرا عبر مسيرات سلمية ضد الطغمة العسكرية الجائمة على أنفاسه، يطالب بالتغيير وبالمحاسبة ويؤيد الوحدة الترابية للمغرب.

فالجزائر حتى تضمن تماسكها الداخلي، وتقوم بتهديب مشاكلها المحلية، تحاول مرارا وتكرارا افتعال مشاكل أخرى جانبية وثانوية مع المغرب، وجعل العصا في عجلته والحجر في حذائه كما أراد الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، ومن أتى من بعده وسار على ركبته، للتغطية على المشكل الأساس ألا وهو مشكل الصحراء الشرقية المغربية، المنطقة الممتدة من ولاية بشار أو ما يعرف بولاية الساورا إلى عين صالح والهكار وبشار وتندوف، بأقصى الجنوب الجزائري.

إنه السبب الحقيقي لعرقلة الجزائر لمشكل الصحراء المغربية الذي افتعلته مستغلة ضعف النظام الذي نجا من محاولتي انقلاب عسكري، وكان غارقا في مستنقع حربه مع المعارضة اليسارية، فيما بات يعرف في الأدبيات السياسية بسنوات الجمر والرصاص. إن الحركة الوطنية والقوى الحية للتحرر فرضت على الدولة المغربية فتح ملف استرجاع الأراضي المسلوقة، ولم يكن له خيار غير الدخول في المعارك السياسية والعسكرية لتحقيق ذلك، رغم بعض الأخطاء الاستراتيجية التي أدى الشعب المغربي ثمنها.

إن المتمعن في خريطة الجزائر المستقلة سنة 1962، سيرى كيف أن بطنها منتفخ وغير طبيعي وممتلئ بأراضي وقبائل وشعوب الجيران التي اقتطعت و انتزعت بالقوة من طرف الاستعمار الفرنسي الذي كان متواجدا في منطقة شمال إفريقيا وبالجزائر تحديدا منذ سنة 1830م، فهذه الأراضي وهذه القبائل هي عبارة عن ألغام موقوتة خلفها المستعمر الفرنسي كي تنفجر تباعا متى شاء ووقت ما أراد سواء في شرق أو غرب أو جنوب الصحراء الكبرى.

لقد كان الحكام الجزائريون ولا زالوا يهربون من استرجاع المغرب لصحرائه لأنه حتما سيتفرغ للمطالبة بصحرائه الشرقية، التي هي الأخرى تعتبر دائما امتدادا تاريخيا وجغرافيا طبيعيا للمغرب، ففرنسا التي استعمرت الجزائر منذ 1830م واعتبرتها مقاطعة فرنسية، سلبت أراضي الجيران ومنها الأراضي المغربية قبل أن تنشأ نظام الحماية على المغرب سنة 1912م بعد سنوات من انتصارها في معركة إيسلي سنة 1844م، فنتائج تلك الحرب كانت كارثية على وحدة المغرب و مناسبة لفرنسا المنتصرة لاتخاذ إجراءات عسكرية لتغيير معالم الحدود المغربية بدعوى محاربة التهريب و القضاء

من المقاربة القانونية إلى المقاربة السياسية

نحو حل سلمي ونهائي وقابل للتطبيق لنزاع الصحراء

نزاع الصحراء هو امتداد لنضال المغرب في سبيل استكمال وحدته الترابية، وهو أيضا تجل من تجليات السياسة الاستعمارية الأوروبية التي استهدفت شمال إفريقيا، وقلصت حدود المغرب الطبيعية والتاريخية إلى حدوده الحالية. وبالإضافة إلى كونه نتيجة مباشرة من نتائج السياسة الاستعمارية التجزئية على المغرب وعلى وحدته الترابية، فإن نزاع الصحراء عرف تطورات مستمرة غذتها الطموحات التوسعية ورغبات الهيمنة على المستوى الإقليمي، خصوصا من طرف الجزائر، هذه الطموحات والرغبات التي غذتها بدورها ظروف دولية دائمة التبدل والتغير، في فترة الحرب الباردة وصراع المعسكرين الليبرالي والاشتراكي.

كريمة خورشيا بنعثمان، دكتورة في التاريخ المعاصر، تحضر لدكتوراه في العلوم الاجتماعية، حاصلة على ماستر في تدبير تواصل المنظمات، وإجازتين في القانون العام والأدب الفرنسي، مسؤولة تواصل وإعلامية، رئيسة مركز تواصل للإعلام والدراسات والاستشارات، قامت بإنجاز : كتاب تحت عنوان " نزاع الصحراء في إطار الأمم المتحدة / حديث التاريخ .. ومغزل السياسة"، وأطروحة الدكتوراه حول تدبير نزاع الصحراء الغربية في إطار الأمم المتحدة (باللغة العربية)، وبحث حول التواصل الداخلي حول قضية الصحراء (باللغة الفرنسية)، ودراسة واقتراح آليات التواصل لمؤسسات جهة العيون بوجردور الساقية الحمراء (باللغة الفرنسية)، واقتراح استراتيجية للتواصل المؤسسي لولاية العيون بوجردور الساقية الحمراء (باللغة الفرنسية)، لها كتابات حول الصحراء في بعض الجرائد الوطنية والمواقع الإلكترونية، لها قيد الطبع رواية تاريخية حول الصحراء.



د. كريمة خورشيا بنعثمان

إن تدبير ملف استكمال الوحدة الترابية ونزاع الصحراء شابهته تعثرات كثيرة منذ بدايته، أهمها سياسة استرجاع المناطق المحتلة بالتدريج وبطرق "مهادنة"، وفقا للسياسة التي نهجها القصر والقيادة السياسية الأولى لمغرب ما بعد الاستقلال، حيث يعتبر العديد من الباحثين والمهتمين بتاريخ المغرب المعاصر أن خير مثال لهذه السياسة الضيقة الأفق هو الإجهاز على جيش التحرير في الشمال والجنوب، في إطار تفادي خطر داخلي محتمل، لكن أيضا في إطار تقديم تنازل من التنازلات التي عرفها تاريخ تدبير استكمال الوحدة الترابية لفائدة فرنسا وإسبانيا.

من ناحية أخرى، يمكن اعتبار أن استقرار ملف الصحراء بين أيدي منظمة الأمم المتحدة هو ضمان لعدم انزلاق هذا الملف في ممرات خطيرة أو مفاجأة، باعتبار أن المنظمة الأممية أخذت تنحو، خصوصا بعد اقتناع الجميع باستحالة إجراء الاستفتاء، نحو البحث عن حلول سياسية متفق عليها بين الأطراف المتنازعة، والتي أكد الواقع المؤسف ضلوع أحدها وهو الجزائر كطرف رئيسي مناوئ للمغرب ولمصالحه في هذا النزاع. إن هذه المقاربة السياسية للنزاع في إطار المنظومة الدولية، وبعد تأكيد فشل المقاربة القانونية التي لم يكن المغرب يتوفر

من ناحية أخرى، وفي إطار الحديث عن ما أسماه العديدون بالأخطاء التدييرية في نزاع الصحراء، فإن ظهور جبهة البوليساريو نفسها هو ترجمة واضحة لعدم اشتراط المسؤولين السياسيين لمغرب السبعينات للمستقبل القريب للبلاد، حيث سيؤكد تطور الجبهة التي ستعلن "جمهوريةها" فيما بعد، تراكم الأخطاء التدييرية لهذا الملف خصوصا على المستوى الداخلي.

أما على المستوى الخارجي، فرغم العديد من الانتقادات التي وجهت إلى سياسة المغرب التدييرية (سواء من الداخل أو من الخارج)، وخصوصا بعد توالي موجات الاعتراف ب"الجمهورية الصحراوية" وتعدد النكسات الدبلوماسية المغربية، وأيضا بعد انسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية، رغم هذه الانتقادات وغيرها، فإن المغرب استطاع أن يساير وبحكمة تغيرات المنظومة الدولية وتغيرات إكراهاتها ومصالحها، حيث استطاع المغرب ومنذ لجوئه إلى محكمة العدل الدولية وإقدامه

على تفعيل المسيرة الخضراء وبعدها التوقيع على اتفاقية مدريد... أن يؤمن خطاه داخل أغمام القانون الدولي والعلاقات الدولية المتغيرة باستمرار عن طريق نهجه لمقاربة قانونية في إطار منظمة الأمم المتحدة استطاعت الصمود لعقود.

إن أطراف النزاع، أي المغرب وجبهة "البوليساريو" أساسا وراعيها الجزائر، تدرك أن الوضع على الأرض والموقف الدولي والإقليمي، لا يحتملان تغييرا جذريا في تعاطي المنظمة الدولية مع النزاع، وبالتالي تكتفي جميع الأطراف المتنازعة الإقليمية والدولية المعنية، بتدبير النزاع لآله، وهذه الأطراف تدرك في الوقت نفسه، أن الوضع القائم لا يسمح لأي منها بالخروج عن الحدود التي رُسمت دوليا لتدبير النزاع.



على ميكانيزماتها في نظر القانون الدولي، والتي تجعله يربح النزاع بصفة قطعية ونهائية مع إسبانيا وبعد ذلك مع جبهة البوليساريو، هذه المقاربة السياسية هي في صالح المغرب إذا استطاع إنجاح رهانات التنمية والدمقرطة والمصالحة مع الخصوصيات المحلية والثقافية لمنطقة الصحراء، وأيضا إذا استطاع استثمار المتغيرات الدولية والرهانات الإقليمية والجهوية لصالحه.

إن حل الحكم الذاتي كميكانيزم سياسي وإداري واقتصادي وثقافي واجتماعي كان أصلح سياسة متبعة في أوروبا لمنع كل تفكك وإخماد للصراعات الداخلية، مانعا بفضل هذا المنهج كل انفجار أو بلقنة، كما حدث في جمهورية يوغوسلافيا الفدرالية.

أما على صعيد الأمم المتحدة، نلاحظ أن مجموعة العمل الخاصة بالأقليات ولجنة حقوق الإنسان التابعة لها وصلت سنة 1995 إلى نتيجة واحدة فكت أغاز فشل الأمم المتحدة في تطبيق مبدأ تقرير المصير في عدة نزاعات إقليمية خاصة نزاع إقليم الصحراء، ولمحت إلى أن الحل يكمن في ضرورة تعويض مبدأ تقرير المصير الذي يؤدي إلى "الاستقلال" أو الانفصال، مبدأ تقرير المصير الذي يؤدي إلى الديمقراطية التشاركية أو المحلية كحل للمحافظة على خصوصيات الكيانات الصغيرة وضمان استقرار الدول والشعوب. وهكذا نرى أن الأقليات في العالم اليوم لم تعد تنازل من أجل تحريرها واستقلالها، بل من أجل الديمقراطية ودولة الحق والقانون والمشاركة في الحكم والثروة والسيادة خاصة تلك الكيانات الصغيرة التي لا تتوفر فيها عناصر الدولة الوطنية.

إن الأمم المتحدة فشلت ولمدة أزيد من خمسة عقود في إيجاد حل مقبول لنزاع الصحراء، هذا الانسداد الدبلوماسي والاحتقان السياسي الذي عرفته كواليس المنظمة الدولية في هذا الموضوع، أدى بها إلى التفكير في اقتراح مقارنة قديمة في القانون الدولي لكنها متماشية مع الدعوات العالمية بتفادي بلقنة العالم بكيانات صغيرة وبتمتع الأقليات بالديمقراطية وبالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهو ما سيدفع الأطراف المعنية والمهتمة بنزاع الصحراء إلى ضرورة إيجاد حل عملي، واقعي ومقبول من الجميع.

بمعنى آخر، فإن الهيئة الدولية فعلت تطبيق عنصر آخر من ترسانة مبدأ تقرير المصير الذي طرحته في مخططاتها السابقة، أي حكم ذاتي موسع لإقليم الصحراء كما جاء في الاتفاق الإطار المقترح من طرف المنظمة الأممية، بناء على ظهور تفسير جديد لمبدأ تقرير المصير، الذي أصبح يعني الديمقراطية المحلية الواسعة. وهذه العودة من طرف المجموعة الدولية إلى الاجتهادات الفقهية القديمة، هي رجوع إلى المعنى الحقيقي لمبدأ تقرير المصير، كما جاء في المبادئ المعلنة في الثورات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية، والذي كان يعني عند منظره مبادئ السيادة الوطنية والحكومة الديمقراطية المنبثقة من التعبير الإرادي الحر للشعب.

لقد اقتنع مجلس الأمن والرأي العام الدولي باستحالة تنظيم الاستفتاء لاعتبارات تتعلق أساسا بصعوبات تحديد الهوية،

من المقاربة القانونية إلى المقاربة السياسية

نحو حل سلمي ونهائي وقابل للتطبيق لنزاع الصحراء



غوتيريش يجدد تأكيد الأمم المتحدة على مرتكزات الحل السياسي لقضية الصحراء المغربية

الصحراوي " في تقرير مصيره، وهذا ما أدى إلى وضوح الطابع الجيوسياسي للموقف الجزائري. ومع تصاعد الاتهامات الدولية بفساد قيادات البوليساريو وتصاعد وتيرة الاحتجاجات الداخلية بسبب تحويل مسؤولي البوليساريو للمساعدات الموجهة لسكانه مخيمات الجبهة لصالحهم، بالإضافة لتصاعد وتيرة الاعتقالات، تعيش الغالبية العظمى ظروف الفقر والعوز والتضييق داخل المخيمات.

بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الاستنزاف الداخلي للبوليساريو بعودة آلاف الصحراويين خصوصا القيادات منهم، جعل أطروحة البوليساريو تزيد اهتزازا سواء على المستوى الداخلي للجبهة وأنصارها أو على المستوى الخارجي أمام الدول التي ساندتها لوقت طويل، وكذا بتوالي الحركات التصحيحية من داخل المخيمات كحركة خط الشهيد وحركة 5 مارس وحركة شباب التغيير والمبادرة الصحراوية من أجل التغيير، وأيضا حركة صحراويون من أجل السلام التي استطاعت أن تجمع حولها الصحراويين من المخيمات ومن خارجها والتي قد تدفع بالمياه الراكدة لملف الصحراء للتحرك وإيجاد حل توافقي ينهي مأساة المخيمات.

وللمغرب فرصة تاريخية تتعلق بتحقيق العدالة الاجتماعية في الأقاليم الصحراوية لاحتواء تحركات نشطاء البوليساريو، خاصة وأن هناك قاعدة عريضة غايتها الأساسية هي توفير ضمانات العيش الكريم فقط، بعيدا عن تجاذبات النزاع السياسي.

من جهة أخرى، فإن حالة التدبير المحلي الفاشل المتواصلة في الإقليم الصحراوي، تزيد من شدة الاحتقان الاجتماعي الذي تصيده البوليساريو لتبرير تحويل كل تظاهرات المطالب الاجتماعية والاقتصادية إلى مظاهرات سياسية تطالب بالانفصال عن المغرب، وهو ما يفوت الفرصة على المغرب في تسريع وتيرة الدخول في حل نهائي لنزاع الصحراء، والتوجه نحو انطلاق تنمية مدمجة لمجموع ترابه الوطني وفي الدخول في أحلاف اقتصادية إقليمية (داخل المنطقة المغربية) أو جهوية (في إطار الإتحاد الأوروبي أو اتحادات عربية) أو عالمية.

♦ د. كريمة خورشنا بنعثمان

والمؤكد في هذا المجال أن تمكين الصحراء من اقتصاد محلي مستقل يساهم في خلق الثروات مميّزانية مستقلة، يبدأ العمل على تدبيرها عبر مقاربة الحكامة الجيدة، التي تحترم الحقوق الأساسية للسكان وتضمن حرياتهم الفردية والجماعية، حيث يتوافق هذا التصور مع البعد السياسي حين تفعيل مقترح الحكم الذاتي، الأخ الأكبر لجهوية موسعة أو متقدمة.

واستيعابا لكل هذه الحثيات السياسية، يجب أن يستحضر كل نموذج تنموي قضية تهئية المجال عبر إعادة هيكلة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتنمية البشرية وتهئية المجال والبيئة والحكامة، وذلك لضمان سلاسة التحول الكبير الذي يمكن أن يطال الأبعاد السياسية لتدبير قضية الصحراء جيوساسيا على المستوى الإقليمي والدولي.

من ناحية أخرى، يستدعي الحديث عن المقترح المغربي بإقامة حكم ذاتي في الصحراء الحديث عن المطالب الداخلية والخارجية بدمقرطة البلاد ودفع عجلة التنمية بها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

وتضمن العديد من الدول ومنها الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية مسار التدبير الداخلي للبلاد، خصوصا في العشرينيتين الأخيرتين، لكنها تطالب المغرب باتخاذ تدابير وخطوات أسرع وأوضح في مجالات الحكامة الجيدة والتنسيير الشفاف والتنمية البشرية والاقتصادية وفي مجال حقوق الإنسان. إن مجال حقوق الإنسان أصبح الملعب الذي يحتضن مناورات جميع أطراف نزاع الصحراء، حيث يتبادل المغرب والجزائر وجهة البوليساريو الاتهامات في مجال حقوق الإنسان، وتنشط العديد من المنظمات والهيئات الحقوقية داخليا وخارجيا بهدف تثمين أو انتقاد الوضع الحقوقي في هذه المنطقة أو تلك، فبعدما كان نزاع الصحراء يخضع للمنطق الجيوسياسي والإيديولوجي، وبعدما دخل مرحلة النزاع المسلح وخرج منها، انتقل هذا النزاع إلى الحروب الإعلامية قبل أن يضاف فرع آخر لهذه الحروب التواصلية الأخيرة وهو الميدان الحقوقي، بحيث يسوق كل طرف الطرف الآخر بصورة المنتهك للمجال. لقد سقط الغطاء الإيديولوجي الأخلاقي للجزائر التي سوقت "البوليساريو" كحركة ثورية هدفها تطبيق حق "الشعب

وتفسير معايير الذين تتوفر فيهم الأهلية للمشاركة في التصويت، وهو ما دفع مجلس الأمن للتأكيد على الحاجة الماسة للبحث عن حل سياسي، بعد أن تعذر إحراز تقدم في تسوية النزاع المتعلق بالصحراء.

والمغرب باقتراحه لحكم ذاتي في المنطقة المتنازع عليها ليؤكد على انخراطه في هذه الديناميكية الجديدة للبحث عن حل متوافق حوله لإخراج الصحراء وبالتالي المغرب والمنطقة المغربية من مرحلة الركود الاقتصادي والنزاع داخليا وإقليميا، إلى مرحلة تلاق سياسي وإستراتيجي وإقلاع اقتصادي واجتماعي وثقافي وتنموي مدمج، بغض النظر عن الكثير من التحليلات والاعتقادات التي تدق ناقوس الخطر الآتي من إمكانية تعالي أصوات داخلية منادية بتعميم النموذج على مناطق أخرى من التراب الوطني، أو بإمكانية فشل التدبير المحلي في منطقة النزاع لأسباب متعددة.

المغرب كما يقول الخطاب الرسمي، "في صحرائه" ومُنشغل في تنمية المُدن الصحراوية، إن كانت العمرانية أو البشرية، بعد أن توقفت الهجمات المسلحة منذ 1991، حيث يسعى المغرب لإخراج النزاع الصحراوي من مأزقه، عبر اقتراح منح الصحراويين حُكما ذاتيا في إطار السيادة المغربية.

من جهتها، لا زالت جبهة البوليساريو متمسكة بالقرارات الدولية ذات الصلة المعنية بتقرير المصير وتطالب باستمرار مجلس الأمن بتطبيق هذه القرارات، ولم تُعد تملك - بعد التطورات التي عرفها العالم والإقليم - من أوراق ضغط على المغرب أو مجلس الأمن، إلا ورقة واحدة : حقوق الإنسان "تخرج" بها المجتمع الدولي وتضمن لها "تعاطف المجتمع المدني" في الدول الكبرى المعنية بالنزاع، خاصة إسبانيا.

فعلى مدى السنوات العشر الأخيرة، كانت حقوق الإنسان ميدان النزاع الصحراوي. المغرب، كما في بقية أراضيه، دفع باتجاه الانفتاح وتوسيع الهامش الديمقراطي، ودبّر تحرك الناشطين الصحراويين بالكثير من المرونة وقلّصت أجهزته الأمنية الكثير من انتهاكات حقوق الإنسان، ويُمحور تحركاته على أوضاع الأجناس الصحراويين في مخيمات تندوف، حيث قيادة جبهة "البوليساريو" وقواتها العسكرية.

الصحراء الأطلسية

بين عدالة القضية ومنزلقات التدبير المخزني



ونحن نحیی ذكری أخرى لاغتيالهما، يعرف ملف الصحراء المغربية هذه الأيام عدة تطورات سياسية وحقوقية ودبلوماسية من جهة وتحدي الانفصاليين بالداخل للمؤسسات الدستورية المغربية وللقوانين التنظيمية منها قانون الحريات العامة وتأسيس الجمعيات وقانون الأحزاب من جهة ثانية، وأمام سكوت الدولة المخزنية اتجاه هذا التحدي الذي تجلى مؤخرا في تأسيس جمعية تقودها أمينة حيدر تحت اسم << جمعية مناهضة الاستعمار المغربي >>، وبالمقابل يتم قمع الجمعيات الوطنية والحريات العامة والصحافة الجادة في باقي البلاد في سياق معادلة غير متكافئة من جهة ثالثة.

بين أكتوبر 1965 و دجنبر 1975 تم اغتيال قضية الوحدة الترابية لما اغتيل الشهيد المهدي بنبركة في 29 أكتوبر من 1965، وكذا لما اغتيل الشهيد عمر بنجلون في 18 دجنبر من 1975، وهما الرمزان الوطنيان اللذان كانا يدعو إلى استكمال الوحدة الترابية بتحرير الصحراء المغربية ومدينتي سبتة و مليلية والجزر التابعة لهما. فالشاهد المهدي اقترح على اللجنة التحضيرية لمؤتمر القارات الثلاثة إحصار وفد من الصحراويين ليسمعوا صوتهم و ذلك بعد أن تم الاتفاق مع مكتب التضامن الإفريقي الآسيوي بالقاهرة، وكان



♦ صافي الدين البدالي

الشهيد يهدف من وراء ذلك كسب تعاطف الأطراف المشاركة في مؤتمر هافانا بكوبا الذي كان من المقرر أن يعقد في الفترة بين 3 و15 يناير عام 1966 في العاصمة الكوبية هافانا، قمة كانت الأولى من نوعها جمعت حركات التحرر الوطني فيما كان يعرف بـ"العالم الثالث" ويشتمل على قارات آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وقد كان الشهيد المهدي رئيسا للجنة التحضيرية. لكن باغتيال المهدي تم اغتيال الوحدة الترابية وهو فعل مخزني وجريمة يشهد عليهما التاريخ، والشهيد عمر ربط التحرير بالديمقراطية وسارع إلى فتح حوار مع أعضاء من جبهة البوليساريو بفرنسا في إطار دبلوماسية الحوار والهجوم من أجل حق الشعب المغربي في صحراءه .

صعبة منذ القرن التاسع عشر لما أصبحت دول أوروبية تسعى إلى السيطرة على منافذه البحرية شمالا وجنوبا وعلى السواحل الشمالية والجنوبية، مستغلة بذلك الوضع الداخلي المتأزم على جميع المستويات اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وخاصة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 م)، حيث أصبح المغرب أنداك يعيش صعوبات مالية بفعل تدهور مداخيل التجارة الخارجية بسبب انعكاسات المعاهدة المغربية البريطانية سنة 1856، وتراجع الدول الإسكندنافية عن الأناوى للإمبراطورية (فاس - ومراكش)، وفرض اسبانيا غرامة مالية على المغرب بلغت 100 مليون بسيطة إثر انهزامه في حرب تطوان (تطاوين) التي امتدت من 1859 إلى 1860، وانتهت بتوقيع معاهدة واد راس، واضطر المخزن إلى إفراغ بيت المال من كل القطع الذهبية، كما أخذ قرضا من بريطانيا لتسديد جزء من هذه الغرامة، مما دفع المخزن إلى اتخاذ إجراءات جباية خطيرة أذكت نار التمرد والعصيان على السلطة المركزية. في هذه المرحلة ازدادت أطماع الدول الأوروبية من أجل احتلال المغرب. و سيرت هذا الوضع الحسن الأول الذي سيستمر في سياسة القمع والقتل

ظل هذه التناقضات. أمام التعقيدات التي صاحبت ملف الصحراء منذ بداية السبعينات أي منذ 1975 وما واكب ذلك من حرب قاسية بين المغرب وجبهة البوليساريو المدعومة من طرف الجزائر، في ظل انفراد الدولة المركزية بملف الصحراء حتى أصبح من الطابوهات، لدرجة يجد فيها المواطن المغربي نفسه أمام إشكالية كبرى <<هل الصحراء مغربية أم هي غير ذلك>>؟

التفاعلات التاريخية التي عرفتها المنطقة الصحراوية

ظل المغرب ومنذ ما قبل التاريخ من حيث موقعه الجغرافي المتميز، معبرا للمرور من شمال البحر الأبيض المتوسط إلى إفريقيا وشمالها هدفا استراتيجيا، اقتصاديا وسياسيا لدول شمال وشرق ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وأيضا بوابة لجنوب غرب إفريقيا عبر البر والبحر. و بفعل التحولات التي عرفتها أوروبا اقتصاديا وعسكريا بعد الثورة الصناعية، سيعرف المغرب وضعية جد

إن السياق العالمي الآن يعرف تجاذبات استراتيجية بين القوى العظمى، أمريكا والصين وروسيا، لرسم خريطة عالم جديد في إطار تقاسم المصالح والسيطرة المطلقة على الثروات المعدنية والبتروال والغاز الطبيعي، بل حتى المياه والسواحل. في هذا السياق يعرف ملف الصحراء تطورات على المستوى السياسي، إذ أن هناك مبادرات لحل المشكل منها مقترح الحكم الذاتي الموسع الذي تقدم به المغرب بعد فشل عملية الاستفتاء الذي تم اقتراحه سنة 1981 في مؤتمر نيروبي. وهناك مواقف متضاربة حول هذا المقترح حيث تم رفضه من جانب جبهة البوليساريو والجزائر ومن في صفهما والذين يقترحون تقرير المصير للشعب الصحراوي، وهناك مواقف أخرى ضد كل المبادرات و تدعو إلى استقلال الصحراء من "الاستعمار المغربي"، وهو ما تروج له بعض الأطراف في كواليس اللجنة الرابعة للأمم المتحدة. وعلى المستوى الحقوقي هناك من يطرح حق الشعب المغربي في استكمال وحدته الترابية طبقا للعهد الدولي المتعلق بحق الشعوب في استقلالها. وهناك من يطرح تقرير المصير للشعب الصحراوي، أما على المستوى الدبلوماسي نجد دولا تؤيد المقترح المغربي وأخرى محايدة، وأخرى تساند الطرح الجزائري. وتبقى المفاوضات المباشرة غير ذات جدوى في



الصحراء الأطلسية

بين عدالة القضية ومنزلقات التدبير المخزني



المسيرة الخضراء 1975

الشعبية في الصحراء.

إن انفراد النظام بتدبير بالملف دون إشراك الأحزاب السياسية التقدمية وكل القوى الحية في البلاد، فتح الباب أمام أطماع خصوم الوحدة الترابية. وما مقترح الحكم الذاتي من جانب واحد إلا خطوة تؤكد مرة أخرى الاستمرار في المنزلقات التي ستكون لها عواقب وخيمة على وحدة الشعب المغربي وعلى حقه في استكمال وحدته الترابية. ولذلك فإن أي حل سياسي مرتكز على الحكم الذاتي بالصحراء المغربية يجب أن تتوفر له الشروط التالية :

- 1- ضرورة نظام ديمقراطي قائم على مبدأ الشعب كمصدر لكل السلط من خلال دستور ديمقراطي يضمن فصل السلط وقضاء مستقل ونزيه.
- 2 - مساءلة ناهبي المال العام في المنطقة و المسؤولين على تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمناطق الصحراوية المسترجعة وغيرها على المستوى العام .
- 3 - فتح حوار وطني واسع، من طنجة إلى الكويرة، يكون هادفا وجادا حول الحل المناسب في الصحراء المغربية.
- 4 - اعتماد المقاربة التشاركية في تدبير الملف وليس سياسة الإقصاء والتحفظ، فعلى الشعب المغربي أن يتعرف على كل الملبسات التي تحيط بالملف.
- 5 - اعتماد دبلوماسية نشطة ومبادرة ذات دينامية للتعريف بحق الشعب المغربي في الصحراء المسترجعة وبالمقترح المغربي لحل النزاع.
- 6- يجب أن يكون الحكم الذاتي ترايبيا وليس إثنيا أو قريبا في إطار الجهوية الموسعة، مما يضمن للمغاربة جميعا، حق التنقل والعمل والاستقرار دون حدود أو حواجز أمنية أو جمركية .

♦ صافي الدين البدالي

التي كانت مع مطالب الشعب المغربي لتحرير الصحراء، ومنها "الجهة المغربية لمناهضة الاحتلال الفرنسي"، والتي كانت بمبادرة من جزائريين وتونسيين وموريطانيين ومغاربة. وقد ورد تأسيس هذه الجهة في قصاصات الأخبار الأوروبية والسويسرية، كما أن النظام المغربي لم يستثمر إيجابيا "الحركة الجزائرية للقوات الشعبية والجيش من أجل الديمقراطية والاتحاد المغربي" التي تأسست سنة 1976، وقد تلا تأسيس هذه الحركة اعتقالات في صفوفها عندما ناهضت الحرب ضد المغرب. لقد كان القبول بالاستفتاء خارج أية استشارة شعبية نتيجة للدبلوماسية الفاشلة، وسوء تدبير الملف، وهي مغامرة ستزيد الملف تعقيدا، وهو ما تم رفضه في حينه من طرف الاتحاد الاشتراكي آنذاك في سنة 1981، وما ترتب ذلك من نفي معتقل ميسور، وهو الموقف الذي ظل يتشبث به حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي كاستمرار للحركة الاتحادية الأصيلة حتى الآن، على اعتبار أنه لا يجب استفتاء شعب على أراضيه، ومؤكدا بأن أي استفتاء من هذا النوع يجب أن يشارك فيه الشعب المغربي كله من طنجة إلى الكويرة.

الحكم الذاتي أم الجهوية الموسعة

لقد اعتمد النظام المقاربة الأمنية وغياب حقوق الإنسان لتدبير شؤون الأقاليم الصحراوية، الشيء الذي لم ينتج ذاك الاندماج الحقيقي المطلوب. ومن أجل دعم موقفه لجأ إلى الأعيان الذين كانت لهم مصالح مع إسبانيا والذين أغرقهم بالامتيازات والمناصب حتى أصبحوا يشكلون قوة ضاغطة من أجل مصالحها ضدًا على مصالح الوطن ومصالح الطبقات

خلق كيان الجمهورية الصحراوية و جبهة البوليساريو التي ستحتضنها الجزائر، في ظل غياب دبلوماسية موازية لمواجهة المخطط الإسباني الجزائري. وأمام الضغط الشعبي وتسارع الأحداث في الصحراء قرر النظام تنظيم المسيرة سنة 1975. لكنه بعدها أقدم على اغتيال الشهيد عمر بنجلون على يدي الشبيبة الإسلامية التي تولدت عنها حكومة العثماني. و كان عمر قد بادر إلى لقاء بعض الأعضاء من جبهة البوليساريو في فرنسا لتهيئهم عن التماهي في تأسيس كيان على أرض الأقاليم الصحراوية، وذلك في إطار الدينامية السياسية التي بدأها الشهيد المهدي في موضوع الصحراء المغربية. وبدل خلق دينامية تواصلية مع الشعب الصحراوي عمد النظام إلى إرشاء شيوخ القبائل ليقدموا له البيعة باسم الشعب الصحراوي، وهو منزلق لازالت تداعياته حتى الآن.

أمام ضغط المطالب الشعبية من خلال المظاهرات والاحتجاجات وتحركات المعارضة في الداخل وفي الخارج، طالب النظام المخزني بالصحراء وكان يريد من خلال المطالبة بها امتصاص غضب الشارع والحصول على إجماع وطني دون ديمقراطية حقة يكون فيها الشعب مصدر القرارات. وفي نفس الوقت خطط النظام الفرنسي والنظام البومدياني لخلق كيان في الصحراء يضمن المصالح الإسبانية والجزائرية، تتولى الجزائر تدبير نشأته، مقابل تصفية المعارضة الجزائرية التي اتخذت من إسبانيا مقر لوجوهها. لم يدرك النظام المغربي بأن استمراره في الاستبداد وفي قمع المعارضة ودخوله في حرب مباشرة مع المعسكر الشرقي سيجعله في مأزق سياسي ودبلوماسي من جهة، وأمام وضع داخلي متأزم كان من سماته الأحداث الدامية سنة 1981م، وتقديم مقترح الاستفتاء في مؤتمر نيروبي. و لم يعمل النظام على التقاط التناقضات التي كان يعرفها النظام الجزائري والأصوات

الأبعاد الاقتصادية والاستراتيجية للصراع حول الصحراء المغربية

حين سأل أحد الصحفيين الغربيين في منتصف السبعينات من القرن الماضي الرئيس الجزائري المرحوم هواري بومدين عن الأفق الزمني للصراع، أجابه فوراً ويحسم قائلاً: "حتى ولو أستمر 100 سنة!" وقد صدم ذلك التصريح الذي نقلته مجلة "جون أفريك" المغربية والمتتبعين. وهو ما يكشف أن الصراع حول الصحراء المغربية له بالإضافة للأبعاد السياسية والتاريخية، أبعاداً استراتيجية واقتصادية، مما جعل المرحوم محمد الباهي يكتب مقالا مطولا بجريدة المحرر حول "البؤر الثورية" نقداً وتفنيداً للأطروحة التي كانت رائجة آنذاك في صفوف اليساريين العرب حول "البؤرة الثورية" والتي كانت تقدم غطاءً إيديولوجياً للخلفيات الحقيقية للصراع.



♦ علي بوطوال

والذي تم توقيع اتفاقية تأسيسه بمراكش في 17 فبراير 1989. هكذا، وبعد الانتفاضة التاريخية للشعب الجزائري سنة 1988، بسبب تدهور الأوضاع المعيشية، وارتفاع نسبة البطالة بشكل غير مسبوق، وانخفاض أسعار البترول التي أثرت بشكل قوي على المالية العمومية، لم تعد الجزائر قادرة على الاستمرار في النهج السابق، وبالتالي بدأت نخبها السياسية آنذاك تفكر جدياً في الانفكاك من النظام العسكري، وتحقيق انتقال ديمقراطي، خاصة بعد التطورات الكبرى التي حققتها إسبانيا بعد تخلصها من ديكتاتورية فرانكو

من المعروف أن جيش التحرير المغربي، كان على وشك تحرير الصحراء الغربية لولا تحالف الجيشين الإسباني والفرنسي في إطار ما عرف بعملية إكوفيون، والتي ألحقت هزيمة قاسية بجيش التحرير المغربي، دون أن تحرك الدولة المغربية "المستقلة" أي ساكن، بل وأخطر من ذلك ستسارع لحل هذا الجيش، معتبرة أنه لم تعد له أية مهمة، وهكذا وبعدما نجحت فرنسا في فصل موريطانيا عن المغرب، وتأكد لإسبانيا بأن الصحراء المغربية غنية بالثروات الطبيعية، من فوسفات وحديد واحتمال اختزانها لحقول من البترول والغاز، بدأت تحضر لفصل الصحراء عن وطنها الأم، وإقامة دولة بها تابعة لها تماماً، مثلما فعلت فرنسا بموريطانيا. أما النظام المغربي فقد أعطى الأسبقية لتصفية تنظيمات المقاومة، وبقياً جيش التحرير، ومزيق الحركة الوطنية وضرب أجنحتها بعضها ببعض، وكل ذلك بهدف إرساء دعائم حكم ملكي مطلق، ولم يعد من أولوياته تحرير أجزاء التراب الوطني التي لازالت تحت الاحتلال الإسباني في شمال المغرب وجنوبه وسبتة ومليلية والجزر الجعفرية والصحراء الغربية.

من خلال ما تقدم، يتبين أن الصراع حول الصحراء المغربية، الذي عمر حتى الآن أربعة عقود ونصف، سيظل قائماً بسبب أبعاده الاستراتيجية والاقتصادية، ما دامت المنطقة المغربية تترشح تحت أنظمة سياسية فاسدة ولا ديمقراطية، وخاضعة لتوجيهات المراكز الإمبريالية، ولا تهمها لا مصالح شعوبها ولا نهضة المنطقة بأسرها رغم التحديات المستقبلية والتنمية التي تواجهها، بدليل إهدار دولها من نقطتين إلى ثلاث نقط من نسبة نمو الناتج الداخلي الخام، مما يعني ذلك من تضييع لخلق مناصب الشغل وتحسين المستوى المعيشي للسكان المغربية في إطار الوحدة المغربية.

المخطط الانفصالي المدعوم من إسبانيا وليبيا والجزائر برهانات ومبررات مختلفة، بالنسبة لكل طرف، فخلال منتصف السبعينات وبفضل الرمزية التاريخية للثورة الجزائرية، ومكانة الجزائر الاعتبارية في إفريقيا ودخل حركة عدم الانحياز، وسقوط منظمة البوليساريو الحديثة التكوين والمنعدمة الخبرة تحت هيمنة الجزائر، ستعتقد هذه الأخيرة أن ميزان القوى لصالحها وأن كل الشروط متوفرة لإلحاق الهزيمة بالمغرب، وبالتالي حرمانه من استرجاع الصحراء، واستعمالها مستقبلاً للوصول للمحيط الأطلسي، وعزل المغرب عن عمقه الاستراتيجي في غرب أفريقيا. هذا

والذي تم توقيع اتفاقية تأسيسه بمراكش في 17 فبراير 1989. هكذا، وبعد الانتفاضة التاريخية للشعب الجزائري سنة 1988، بسبب تدهور الأوضاع المعيشية، وارتفاع نسبة البطالة بشكل غير مسبوق، وانخفاض أسعار البترول التي أثرت بشكل قوي على المالية العمومية، لم تعد الجزائر قادرة على الاستمرار في النهج السابق، وبالتالي بدأت نخبها السياسية آنذاك تفكر جدياً في الانفكاك من النظام العسكري، وتحقيق انتقال ديمقراطي، خاصة بعد التطورات الكبرى التي حققتها إسبانيا بعد تخلصها من ديكتاتورية فرانكو



وترسيخها للنظام الديمقراطي بدعم قوي من المجموعة الأوربية، في هذا السياق يمكن فهم اتفاق وقف إطلاق النار الذي وقعه المغرب وجبهة البوليساريو بتأطير وإشراف الأمم المتحدة، هذا المسار الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى إنهاء مشكل الصحراء المغربية بصيغة لا غالب ولا مغلوب، إلا أن هذا القطر سيتوقف بعد فشل الانتقال الديمقراطي في الجزائر، ودخول هذه الأخيرة فيما عرف بالعشرية السوداء، التي انتهت بقضاء الجيش الجزائري على الجماعات الإسلامية المسلحة.

في نهاية التسعينات، وبتزامن مع ما سمي بالتناوب التوافقي بالمغرب، ووصول "عراب"

الرهان سيتعزز برواج الحديث حول وجود حقول كبيرة للمحروقات على طول الشواطئ الصحراوية المحاذية لجزر الكناري، وهذا ما يفسر أيضاً دعم كل القوى السياسية الإسبانية بدون استثناء تقريباً للمخطط الانفصالي رغم ما يجمع المغرب وإسبانيا من روابط تاريخية واقتصادية وثقافية واستراتيجية.

ولأن عامل القوة هو الحاسم في نهاية المطاف في أي صراع، فقد تمكن المغرب بعد بناء الجدار العازل في الصحراء والذي وفر الأمن والاستقرار للسكان بالمنطقة، وبعد سقوط أنظمة أوروبا الشرقية سنة 1989، من إقناع الجزائر بتطبيع العلاقات أولاً ثم المساهمة معاً في بناء اتحاد المغرب العربي،

قبل ذلك التاريخ بعقدتين، وفي أوج الصراع بين حركات التحرر الوطني في المنطقة المغربية وفرنسا الاستعمارية، اكتشفت هذه الأخيرة احتياطات كبيرة للبترول في الصحراء الشرقية بمنطقة حاسي مسعود، وكان ذلك الاكتشاف وراء سعي فرنسا للانفراد بالجزائر والاحتفاظ بها في إطار ما سمته "الإتحاد الفرنسي" ومنح الاستقلال الشكلي لتونس والمغرب. ونحن نعرف الآن المضاعفات الكارثية التي ترتبت عن تجزئة المعركة التحررية ضد الاستعمار الفرنسي، خاصة بالنسبة للمغرب الذي ظل استقلاله منقوصاً سواء في شماله أو جنوبه، وتعثر صيرورة توحيد البلدان المغربية.

من المعروف أن جيش التحرير المغربي، كان على وشك تحرير الصحراء الغربية لولا تحالف الجيشين الإسباني والفرنسي في إطار ما عرف بعملية إكوفيون، والتي ألحقت هزيمة قاسية بجيش التحرير المغربي، دون أن تحرك الدولة المغربية "المستقلة" أي ساكن، بل وأخطر من ذلك ستسارع لحل هذا الجيش، معتبرة أنه لم تعد له أية مهمة، وهكذا وبعدما نجحت فرنسا في فصل موريطانيا عن المغرب، وتأكد لإسبانيا بأن الصحراء المغربية غنية بالثروات الطبيعية، من فوسفات وحديد واحتمال اختزانها لحقول من البترول والغاز، بدأت تحضر لفصل الصحراء عن وطنها الأم، وإقامة دولة بها تابعة لها تماماً، مثلما فعلت فرنسا بموريطانيا. أما النظام المغربي فقد أعطى الأسبقية لتصفية تنظيمات المقاومة، وبقياً جيش التحرير، ومزيق الحركة الوطنية وضرب أجنحتها بعضها ببعض، وكل ذلك بهدف إرساء دعائم حكم ملكي مطلق، ولم يعد من أولوياته تحرير أجزاء التراب الوطني التي لازالت تحت الاحتلال الإسباني في شمال المغرب وجنوبه وسبتة ومليلية والجزر الجعفرية والصحراء الغربية.

بعد مرور عقد من الزمن على استقلال الجزائر وما عاشته العلاقات المغربية الجزائرية من توتر ومن مد وجزر، وخاصة بعد الأحداث الكبرى التي هزت المغرب في 1971 و1972 و1973، ستقف قضية الصحراء المغربية إلى الواجهة بعد انكشاف مخاطر

موقف حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي

من قضية الصحراء المغربية

انطلاقاً من شعاره المركزي: تحرير- ديمقراطية – اشتراكية، وانطلاقاً من خطه السياسي المرهلي خط النضال الديمقراطي، حدد حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي موقفه من القضية الوطنية للصحراء المغربية وربطها بهام التحرير والبناء الديمقراطي.

فبرنامج السياسي المرهلي يتمحور حول قضيتين جوهريتين مرتبطين بشكل عضوي : قضية السيادة الوطنية وقضية السيادة الشعبية.



هذا باسم القضية الوطنية وتحت غطائها،

فإن حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي المجسد لاستمرار حركة التحرير الشعبية وانطلاقاً من أهدافه الوطنية التحررية، يطرح القضية الوطنية بمضمونها الشعبي أي المضمون الطبقي موقع الطبقة العاملة، الذي يعبر عن المصالح السياسية والاقتصادية للشغيلة والكادحين وعلى رأسها مسألة الديمقراطية.

إنها بعض المعطيات والمنطقات التي تؤطر طرحنا وتصورنا للحل السياسي لقضية الصحراء المغربية، الذي يبنى على الشروط التالية :

- إقامة نظام ديمقراطي قائم على مبدأ الشعب كمصدر لكل السلط من خلال دستور ديمقراطي يضمن فصل السلط وقضاء مستقلاً ونزيهاً.

- مساءلة ناهبي المال العام في المنطقة و المسؤولين على تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمناطق الصحراوية المسترجعة.

- فتح حوار وطني واسع، من طنجة إلى الكويرة، يكون هادفاً وجاداً حول الحل المناسب في الصحراء المغربية.

- اعتماد المقاربة التشاركية في تدبير الملف.

- اعتماد دبلوماسية نشطة ومبادرة ذات دينامية للتعريف بحق الشعب المغربي في الصحراء المسترجعة وبالملقح المغربي لحل النزاع.

- يجب أن يكون الحكم الذاتي ترايبا وليس إثنياً أو قبلياً في إطار الجهوية الموسعة، مما يضمن للمغاربة جميعاً، حق التنقل والعمل و الاستقرار دون حدود أو حواجز أمنية أو جمركية.

هذه بعض المعطيات التي ينطلق منها حزب الطليعة فيما يتعلق بوحدتنا الترابية، والتي يدعو من خلالها إلى ضرورة فتح حوار وطني، باعتبار قضية الصحراء المغربية هي قضية الشعب المغربي بأكمله، وباعتبار النضال الطبقي التي تخوضه الجماهير الصحراوية، باعتبارها جماهير مغربية جزء لا يتجزأ من نضال الشعب المغربي، ضد كل مظاهر الإقصاء والتهميش والظلم الطبقي، وباعتبار الكفاح الذي يخوضه الشعب المغربي بواسطة قواه الحية والديمقراطية، جزء لا يتجزأ من الكفاح الأممي من أجل الانعتاق والتحرر.

فقضية السيادة الوطنية تعني بالنسبة لحزب

الطليعة تحرير وتوحيد كامل التراب الوطني

من الشمال إلى الجنوب، وهي أيضاً ومبدئياً

قضية تحرير التراب والإنسان المغربي، وإذا

كانت كل الطبقات بدون استثناء تلتقي حول

شعار السيادة الوطنية على كامل التراب،

فإنها تختلف جوهرياً حول مفهوم التحرير

ومضمونه الطبقي وأهدافه القريبة والبعيدة.

فالطبقة الحاكمة استغلت وتستغل القضية

الوطنية لخدمة مصالحها الخاصة اقتصادياً

وسياسياً، داخلياً وخارجياً أي أن مواقفها

وممارستها تجاه القضية الوطنية مواقف

وممارسة طبقية استهدفت من خلالها، انفرادها

بتدبير ملف الصحراء دون إشراك بقية الأحزاب التقدمية المغربية وكل القوى الحية في البلاد،

مما جعلها تسقط في سلسلة من الأخطاء :

- تصفية المعارضة وجيش التحرير نظراً لمواقفهما الوطنية التحررية.

- اعتماد المقاربة الأمنية وغياب حقوق الإنسان في تدبير شؤون أقاليمنا الصحراوية الشيء

الذي لم ينتج ذلك الاندماج الحقيقي مما يخدم ويعزز مصالح و مواقف الأطروحة

الانفصالية.

- لجوء الطبقة الحاكمة وتعاقدها المكشوف مع شرائح وخب من البورجوازية المتوسطة

والصغيرة والأعيان والذين أغرقتهم بالامتيازات و المناصب ضدنا على مصالح الوطن ومصالح

الطبقات الشعبية في الصحراء.

وإذا كانت الطبقة الحاكمة تتعامل مع القضية الوطنية انطلاقاً من موقعها الطبقي،

من خلال إقامة ديمقراطية شكلية، ومن خلال التعاقد والتواطؤ مع النخب السياسية

والانتهازية والارتباط العضوي بالدوائر الأجنبية، دوائر الرأسمال العالمي والإمبريالية كل



♦ عبد الرحيم أزبيدة

قضية الصحراء في مفكرة اليسار الجديد



♦ أحمد حبشي

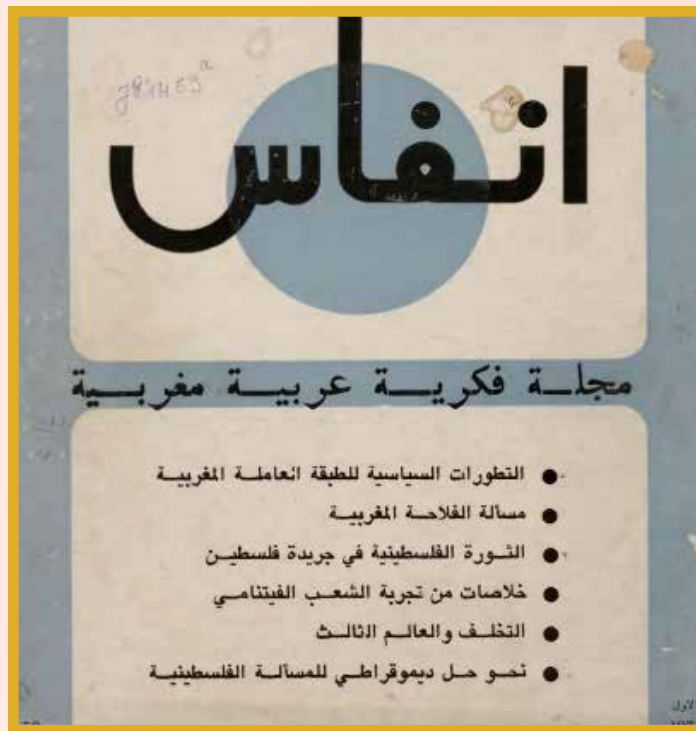
كانت مسألة الصحراء أول قضية خلافية في صفوف اليسار الجديد، اتضح خلالها الصراع حولها التمايز القائم بين رؤيتين سياسيتين تعتمدان نفس المرجعية الفكرية، وتسمى كل منهما إلى فرز خط سياسي يدعو إلى الكفاحية من أجل تغيير موازين القوى لصالح الكادحين وفي طليعتهم الطبقة العاملة.

فمنذ انطلاق أنوبيته الأولى لتأسيس تيار جذري مناضل، مباشرة بعد أحداث 23 مارس سنة 1965، التي سجلت أول انتفاضة شعبية بقيادة شبابية في مرحلة ما بعد الوجود الاستعماري، انطلقت حلقات النقاش الأولى في الجامعة وبين شبكات الأحزاب اليسارية القائمة آنذاك، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب التحرر والاشتراكية، الراضة لما اعتبرته مساومة ومهادنة للسلطة الحاكمة التي في تقديرهم أداة في يد الاستعمار الجديد.

بعد تحديد الاتفاقات الإيديولوجية بين أنوية متعددة المشارب، وفتح النقاش العميق، حول الخط السياسي والقضايا الجوهرية المرتبطة بخط النضال الوجودي، تم إنجاز الخطوات التنظيمية في القطاعات المجتمعية الأكثر حيوية وفعالية، فتم توحيد الإعلام والزحف لاكتساح بعض المواقع في الواجهة النضالية، وما لبثت أن بدأت تظهر بعض التفاوتات في التقدير السياسي بين تيارين، مباشرة بعد أحداث مولاي بوعزة في مارس 1973، وما تلاها من هجوم قمعي استهدف المناضلين على نطاق واسع، شمل مختلف الفصائل اليسارية، كما شل الحركة النضالية لقطاعات وازنة على الساحة النقابية والسياسية. فكانت الدعوة في تقدير البعض إلى ضرورة التراجع المنظم، من أجل بناء الذات وتقييم المرحلة بلورة خطة عمل تمكن من تجاوز مخلفات القمع وتصحيح المسار. بينما اقتضى نظر التيار الآخر ضرورة مواصلة النضال في خضم المد الجماهيري الذي عكسته الأحداث والرد الهستيري للنظام لإيقاف وتيرته، بتقدير البعض أن شنه لحملة القمعية اليائسة يعكس بداية نهايته، فكان شعار وجهة نظر هذه هو "لبنني الحزب الثوري تحت نيران العدو"، وأصدر وثيقة يفصل فيها قراءته للوضع السياسي وما تتطلبه المرحلة.

تشعب النقاش بين التيارين وأصبح الإعلام المشترك لا يعكس وجهة نظر الطرفين، فكان أن أصدر كل تيار جريدته الخاصة بعد أن تعذر التوصل إلى صيغة تقلص مسافة الخلاف الذي أصبح جليا بين أطروحتين، على الرغم من تأكيد انطلاقهما من نفس المرجعية الفكرية. هكذا واصل تيار إصدار الجريدة التي كانت لسان حالهما تحت عنوان "إلى الأمام"، ورد التيار الآخر

بان أصدر منبره الإعلامي الخاص "2 مارس". في سعي منه لتوسيع دائرة الاستقطاب وشحن وعي المناضلين. بالطبع كان لكل ذلك انعكاس على الساحة النضالية، وتوسعت دائرة التباين وحدة النقاش. في هذه الأجواء الخلافية سيطر مشكل الموقف من استرجاع الصحراء ومن جهة البوليساريو كفاعل سياسي جديد. فبينما اعتبر تيار "إلى الأمام" أن الوضع أصبح في صالح الثورة وأن عزلة النظام الحاكم ازدادت تفاقما، وأن الجنوب سيصبح بؤرة ثورية ستشكل قاعدة للرفع من إيقاع النضال للقضاء النهائي على السلطة الحاكمة، وحسم الأمر لفائدة مساندة الجبهة والدعوة لمناصرتها، بل أن موقفه سيمتد إلى الاعتراف ب"الجمهورية الصحراوية" كممثل شرعي ووحيد للشعب الصحراوي. هذا الموقف وجد صده وسط تيار 23 مارس، وفجر نقاشا داخليا وسط أطر ومناضلي التنظيم، فكان أن نظمت ندوة داخلية بالدار البيضاء، حضرها أغلب العناصر القيادية التي لم يطلها الاعتقال ولم تتمكن من مغادرة البلاد بحكم كونها كانت موضوع متابعات قضائية. لم يحسم النقاش الخلافات داخل فصيل 23 مارس، ولكنه انتهى إلى اتفاق اعتبر



موقفا مؤقتا، لخص في اعتبار أن الصحراء مغربية تاريخيا، وأن المواطنين في الأقاليم الصحراوية لهم حق الاختيار، وأنه يجب إعادة بناء الوحدة على أسس وطنية ديمقراطية. واعتبرت هذه الخلاصات أولية في انتظار تعميق النقاش وبلورة الموقف النهائي. اعترضت على ما خلصت إليه الندوة الوطنية عناصر من قيادة التنظيم لم تحضر أشغال الندوة، بحكم تمكنها من مغادرة

المغرب واللجوء إلى الجزائر ثم فرنسا. على إثر الندوة تشكلت لجنة وطنية لقيادة المنظمة مؤقتا في انتظار استكمال الإعداد للمؤتمر الوطني للحسم في الخط السياسي وتحديد الموقف النهائي من مسألة النزاع حول استرجاع الصحراء. لم يتسع الوقت لأي نقاش أو جدال في القضايا التي أصبحت خلافية بشكل كبير، والتي سيتحول النقاش حولها إلى صراع حاد لفته اتهامات متبادلة بخصوص الموقف من النظام وخط النضال المرهلي، صراع عمقته الاعتقالات الواسعة التي ضربت التنظيميين معا، وزجت بأغلب العناصر القيادية في السجون وخاصة أطر منظمة "إلى الأمام".

في السجن سيعرف الصراع منعطفا جديدا بعد أن قرر مناضلو منظمة "إلى الأمام" الاعتراف بجبهة البوليساريو، واختيار لحظة المحاكمة للإعلان عن ذلك، وهو ما اعتبره التيار الآخر استفزازا مباشرا، فكان أن رد بإعلانه الدعم للوحدة الترابية والتأكيد على مغربية الصحراء، على الرغم من قرار المعتقلين بمقاطعة المحاكمة كرد فعل على استفزازات الرئيس، هذا الأمر زاد من حدة التوتر وسط المعتقلين، وجوبه المؤيدون لمغربية الصحراء بمحاصرة شبه تامة، وخاصة الرفاق الثلاثة الذين عبروا عن الموقف في قاعة المحكمة، فكانت الدعوة لعزلهم وقطع أية معاملة معهم، وساد وسط المعتقل موقف تقرير المصير للشعب الصحراوي، وتم استغل إضراب عن الطعام بشكل فج، خاضه أغلب المعتقلين لتحسين أوضاعهم ورفع كل أشكال التضييق والدفاع عن حقهم في مواصلة الدراسة والتوصل بالمقررات، في الترويج للموقف بإصدار بيان اعتبر فيه الإضراب دعما لحق الشعب الصحراوي في تقرير المصير. تم شجب البيان الذي لم يستشر فيه المضربون، وأعلن الراضون لصيغته المجحفة الإضراب هو فقط تضامنا مع حركة الإضراب، حتى لا يتهموا بإفشال المعركة التي كانوا يرون أهميتها في التعريف بواقع المعتقلين ومعاناتهم.

مع الأسف الشديد كان من نتائج الإضراب استشهاد الرفيقة سعيدة المنهبي، بعد تسعة وثلاثين يوما من الأمعاء الفارغة، وعزلة داخلية على الصعيد الوطني كرد فعل للقوى الوطنية، ثم تشتت المعتقلين وتوزيعهم على ثلاثة سجون مما يعني مضاعفة معاناتهم. لمدة ظل المعتقلون يساندون أطروحة تقرير المصير، في حين عقدت قيادة منظمة 23 مارس ندوتها الوطنية في باريس وحسم الموقف لصالح الدفاع عن الوحدة الترابية، وتشكيل قيادة تضمنت عناصر من قادة جيش التحرير المغربي بالجنوب، وقد ساهم ذلك في توسيع دائرة الواثقين من حق الشعب المغربي في استعادة وحدته واسترجاع جزء من أراضيه كانت خاضعة لنفوذ الاستعمار الإسباني جنوب البلاد.

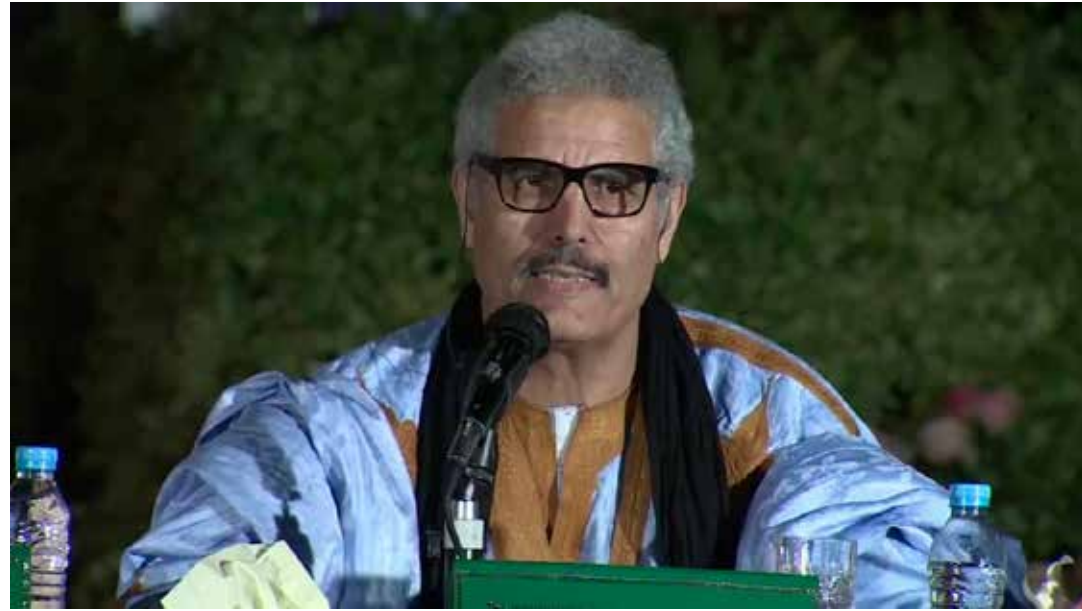
مع تطور الأوضاع داخل المعتقل استعاد الرفاق علاقاتهم الإنسانية البعيدة عن كل حسابات سياسية، وأصبح الموقف من الصحراء شأنا خاصا بكل تنظيم، خصوصا وأن العديد من المناضلين قطعوا كل صلة لهم بالتنظيمات السياسية التي كانوا ينتمون إليها، وأصبح كل واحد يعبر عن قناعاته باستقلالية وتجرد، كما أصبحت البيانات التي تصدر باسم المعتقلين محصورة فيما هو مشترك من المواقف السياسية وما يتعلق بتحسين أوضاعهم داخل السجن، أو التعبير عن التضامن مع الحركة الجماهيرية والقضايا الإنسانية العادلة. كما ظل الصراع حول الموقف مستمرا بين التنظيمات على مختلف المنابر الإعلامية الخارجية أساسا.

سيتضح فيما بعد أن العديد من الرفاق أعادوا النظر في موقفهم من النزاع في الصحراء، وانتهى الأمر بالبعض منهم إلى الوقوف بجانب الشعب المغربي في نضاله من أجل استرجاع حقه في وحدته الترابية.

حوار مع القيادي المحجوب السالك

حركة خط الشهيد

هو داود السالك محمد عياد المعروف باسمه الحركي المحجوب السالك، والجفاف، من قبيلة الشرفاء توبالت، عضو سابق للمكتب السياسي لجهة البوليساريو بعد أول مؤتمر لها، وأحد شيوخ تحديد الهوية باسم البوليساريو، حمل السلاح ضد إسبانيا وعملا مكلفا بإعلام الجبهة انطلاقا من الجزائر قبل اعتقاله الأول وبعد إطلاق سراحه، ثم تعرض للاختطاف والتعذيب ست سنوات ونصف في سجون البوليساريو، قبل أن يعيش حياة العنق بعد المؤتمر الحادي عشر للجبهة، والذي شكلا بداية القطيعة مع نهج قيادة البوليساريو، وبالتالي الإعلان مع رفاقه على تأسيس حركة خط الشهيد.



من هي حركة خط الشهيد؟



وليس بناء دولة في لحماة، والبحث لها عن هيكلة مناسبة. إذن فالواجب والضرورة تحتم علينا إنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان... لهذا قررت مجموعة من الوطنيين الصحراويين، وإطارات الجبهة الشعبية، وخوفا على مصير هذا الشعب المكافح، وحرصا منا على الحفاظ على مكاسبه، تأسيس تنظيم وطني سياسي لكل الصحراويين الوطنيين الذين لا يسامون، أطلقنا عليه اسم: "الجبهة الشعبية خط الشهيد الولي". نعلنه كبديل لانحراف القيادة، وتخليها عن المبادئ الأساسية للجبهة، والخط الصحيح الذي رسمه شهداؤنا وعلى رأسهم مفجرها وشهيدها: الولي مصطفى السيد. ونبني الديمقراطية والحوار والتناوب على السلطة كمنهج حضاري للتسيير.."

ما يلي : "لقد أثبتت لنا الأيام، وبعد أحداث الصراع على السلطة (1988) أن هذه القيادة عاجزة، وفاشلة في التسيير، وفي بعد النظر، وأن كل ما يهمها هو البقاء في السلطة مهما كان الثمن. وكل من قل نصيبه من الغنيمة من أعضاء القيادة، يتاجر بنا وبيعنا في المزداد العلني. فكيف تريدون من جسم لم يتجدد الدم في دماغه منذ أكثر من ربع قرن، أن لا يصاب بالشلل.

إن تدمير المؤسسات الوطنية، المتعمد، وتحويلها إلى هياكل شكلية، عملية الهدف منها أن تصبح مجرد لاجئين تتاجر بنا هذه القيادة العاجزة والمنحرفة: لم نعد قضية وطنية، لم نعد دولة معترفا بها من طرف الوحدة الإفريقية، لم نعد شعبا سبب وجوده في لحماة هو الكفاح من أجل العودة

حركة خط الشهيد تيار منشق عن جبهة البوليساريو، تأسس في منتصف سنة 2004، يتهم قيادة الجبهة بمصادرة رأي الصحراويين وقمعهم والفساد السياسي والمالي واستغلال معاناة الصحراويين لصالح قيادي الجبهة ولصالح الجزائر، أي قيادة عاجزة وفاشلة وفاسدة ومرتشية ويعتبر المحجوب السالك أحد أبرز قيادي الحركة أن "خط الشهيد" حركة إصلاحية داخل "البوليساريو" تهدف إلى تحقيق العدالة والديمقراطية وفرض عملية التناوب داخل الجبهة بعد احتكار القيادة لأكثر من أربعة عقود من طرف طغمة فاسدة، وذلك بفضح تسلط القيادة وتسليط الضوء على عجزها عن إخراج الصحراويين بالمخيمات من جحيم العيش خارج أراضيهم وأراضي أجدادهم. وقد جاء في النداء الذي سبق الإعلان عن تأسيس الحركة

حوار مع القيادي المحجوب السالك

حركة خط الشهيد

نص الحوار الذي أجرته جريدة الطريق:



شاهد الاختلاسات الكبيرة من طرف قيادة البوليساريو قدم استقالته، ووجه رسالة مفتوحة للمؤتمر الرابع عشر، أكد فيها أن القبلية لا تبني دولة وأنه يرفض هذه السياسة الفاشلة لقيادة البوليساريو، مما دفعهم لتهميشه وإقصائه، فكان رده تأسيس هذه الحركة "صحراويون من أجل السلام"، لسحب البساط من تحت القيادة الفاسدة وتمثيليتها، فلم تعد البوليساريو تمثل ما عدا الصحراويين من أصول جزائرية، أما الصحراويون الحقيقيون أبناء الإقليم فهم يريدون البحث عن حل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان، وقد أزججت هذه الحركة قيادة بوليساريو وعسكر الجزائر، وهذا ما دفعهم لشن حملة تشويهات رهيبه ضده وضد الحركة ومناضليها.. ولكن في نهاية الأمر لا يصح إلا الصحيح. والمسؤول عن كل هاته التمزيقات هو قيادة البوليساريو وفسادها، خصوصا وأن الحركة فضحت جرائم القيادة المتعلقة بالانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان بالمخيمات والتي ذهب ضحيتها 650 مفقود صحراوي، والعشرات من الناجين من هؤلاء الضحايا.

الطريق: أعضاء في هذه الحركة الجديدة "صحراويون من أجل السلام"، فضحوا جرائم قيادة البوليساريو وجلاذيتها، وأثبتوا انتهاكاتهم المتعلقة بالاختطافات والاعتقالات وتصفيات وموت تحت التعذيب، وهي من الأمور التي كان يجهلها الكثيرون.. إلى أين يتجه النزاع حاليا وهل هناك أفق للحل؟

السيد المحجوب السالك: النزاع يتجه إلى أن يبقى كما هو الحال عليه إلى ما لا نهاية له، أي الجمود في الوضع الحالي، فالمغرب في الصحراء يسيروها وبينني ويشيد المشاريع ويدير ما بها من الخيرات، وقيادة البوليساريو لديها دولة في الربوني تحت حماية عسكر الجزائر، وتعيش على المساعدات

الدولية، والمينورسو للإشراف على عملية وقف إطلاق النار.. وهذا ما أكده الأمين العام الأممي في تقريره الأخير لمجلس الأمن الذي يناقش القضية هذه الأيام، وكل ما سيأتي به مجلس الأمن هو فقط تقرير لن يخرج عن تمديد مهمة بعثة المينورسو سنة أخرى. وتبقى دار لقمان على حالها.. إلا إذا حاول المغرب، ونحن في الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة وبداية هذا الصراع، أن يكون شجاعا ويبادر لفتح الحوار مع المعارضة الحالية لقيادة البوليساريو الفاسدة، من أجل إيجاد حل نهائي يخدم الصحراويين ومصالحهم ودخولهم لوطنهم مع ضمانات لهم بالحياة الحرة والكرامة، وساعتها لن يبقى في المخيمات ما عدا القيادة التابعة لجنرالات الجزائر، أو سكان تحذوف ولخبي وأم لعسل ولعبادلا وبرج المخطر وازواد، من الجزائريين ذوي الأصول الصحراوية، وسينتهي النزاع أوتوماتيكيا رغم أنف العسكر الجزائري وبيادقه من قيادة البوليساريو.. أما إذا فرط المغرب في هذه الفرصة التاريخية، فستظل الأمور تراوح مكانها وسيبقى النزاع مستمرا لسنوات وسنوات طوال أخرى.. الصحراويون مشتتون شرق الجدار وغربه، والانتهازيون من المختصين في الاصطياد في الماء العكر، يتاجرون بمعاماته شرق الجدار وغربه، ودار لقمان على حالها كما قلنا سابقا..

الطريق: السيد المحجوب السالك، بصفتك زعيما لخط الشهيد، أين وصلت حركة خط الشهيد بعد هذه السنوات من المعارضة لقيادة البوليساريو؟

السيد المحجوب السالك: حقيقة كان لدينا أمل في أن تتفهم هذه القيادة مطالبنا وتفتح الحوار الوطني لنصل إلى وحدة وطنية تدفعنا للبحث عن حل مع المغرب عبر الأمم المتحدة، بشكل ينهي هذا النزاع الذي طال أكثر من اللازم، ولكن خاب أملنا لأننا تأكدنا من أن هذه القيادة قرارها ليس بأيديها، بل تحولت نتيجة لضعفها وفسادها إلى بيادق في يد عسكر الجزائر تأتمر بأمرهم، والسلطات الجزائرية يخدمها الوضع الحالي ليجعلوا من البوليساريو شوكة وخز في أضلاع النظام المغربي، يركونها وقت ما شاءوا، وقد ازداد فقداننا للثقة في قيادة البوليساريو بعد وفاة إطارات كان لنا فيهم السند باعتبارهم من الوطنيين الذين يبحثون عن فتح الحوار الوطني، والتنازل عن عنجهية وسلطة القيادة التي لا تريد أن تحرك ساكنا نحو المصالحة والحوار الوطني، ونذكر منهم: امحمد الخداد والبشير ولد اصغير والبوخاري بارك الله، وأحد إطارات خط الشهيد السريين المناضل محمد ولد محمد يحظيه

المعروف بالمخيمات بدموز رحمة الله على الجميع... إذن فقدنا الأمل في أي إصلاح أو تغيير مع هذه القيادة العاجزة، لهذا أصبح هدفنا هو توحيد كل القوى المعارضة للدخول في مفاوضات مباشرة مع الدولة المغربية، تضمن للصحراويين حقهم في الحياة الحرة الكريمة وتسيير شؤونهم السياسية والاقتصادية فوق أرض وطنهم تحت ضمانات أممية..

الطريق: ماذا عن المعارضة الجديدة: صحراويون من أجل السلام؟

السيد المحجوب السالك: لقد قلنا أكثر من مرة أن هذه قيادة البوليساريو إذا

لم تتنازل عن ديكتاتوريتها وعنجهيتها وتبعيتها لوزارة الدفاع الجزائرية، ولم تفتح الحوار الوطني، فإن السخط والأفك المظلم والبقاء في مخيم لحماة إلى ما لا نهاية، سيكون سببا في غضب المناضلين والشعب والانتفاضة ضد هذه الوضعية، وهذا هو ما أظهر شباب 5 مارس، وشباب التغيير، والمبادرة من أجل التغيير، وحركة صحراويون من أجل السلام، التي خرجت نهائيا من جبهة البوليساريو، واعتبرت نفسها حركة صحراوية ممثلة حقيقية للصحراويين في المخيمات والمناطق الصحراوية وبالأحرار، وتضم عشرات الإطارات الصحراوية الساخطة والغاضبة على سياسة هذه القيادة التي حولت الثورة إلى ثروة وأفسدت كل الأحلام التي كان يتخيلها العديد من الصحراويين... الحاج أحمد زعيم هذه الحركة، صحراوي من تيرس قام بدور ممتاز في تحسين علاقات الجبهة مع إسبانيا حيث أصبحت القيادة تستقبل في مدريد رسميا وأصبحوا يأخذون من إسبانيا ملايين الدولارات سنويا، وأصبحت لهم تمثيلية في كل المناطق الإسبانية المستقلة ذاتيا، وتستقبل العائلات الإسبانية أكثر من 10.000 شاب من المخيمات سنويا. ونفس الشيء قام به في أمريكا اللاتينية، لهذا صدم الكثير من المتعاطفين مع البوليساريو لما سمعوا بإعلانه عن حركة صحراويون من أجل السلام، وحتى لما عينوه وزيرا للتعاون وهي أكثر الوزارات في البوليساريو مكلفة بالدعم والمساعدات الخارجية، ولما



حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . ألقها
حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

دبلوماسيون سابقين، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من النشطاء السياسيين والحقوقيين والباحثين وطلاب الجامعات.

وفي ما تعتبر نفسها بمثابة "الأمل الجديد الذي ينبعث في نفوس الصحراويين"، تؤكد حركة "صحراويون من أجل السلام" على رهانها على "الحلول السلمية"، وطموحها لاحتلال "مكانتها المستحقة كمرجع سياسي جديد يسعى إلى التوصل إلى حل سياسي عادل متوافق عليه، من شأنه أن ينهي مشكل الصحراء الغربية"، وتعتبر حركة "صحراويون من أجل السلام"، أن نزاع الصحراء الغربية الذي "لا تزال عملية السلام رهينة له، يقف عقبة دون تحقيق اندماج وتنمية شعوب المغرب الكبير"، في حين ترى أن "الحل السياسي المتوافق عليه لمشكل الصحراء الغربية"، سيفتح الباب على مصراعيه أمام مستقبل أفضل للصحراويين ولبقية شعوب ومجتمعات المنطقة المغاربية. فبحسب بيانها التأسيسي، فإن تسوية النزاع تعد "ضرورة تاريخية، من شأنها أن تفتح المجال لدخول مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، لكنها تؤكد على معالجة مخلفات ماضي الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وإطلاق سراح المعتقلين الصحراويين.

من أجل حل سياسي
سلمي وواقعي،
يستحضر حقوق
ومصالح الأطراف
وفي مقدمتهم
المغرب وممثلي
المجتمع الصحراوي
ويضمن وجود
كيان سياسي
ديمقراطي تحدد
تفاصيله القانونية
والدستورية بصفة
تشاركية.

حركة "صحراويون من أجل السلام" هي إطار سياسي جديد، تم الإعلان عنه في 22 من أبريل المنصرم، فيما عقدت مؤتمرها التأسيسي في الثالث من الشهر الجاري، بعد تنظيم مؤتمراتها الفرعية في كل من العيون، الداخلة، نواذيبو، تولوز، إضافة إلى العشرات من اللقاءات والندوات التحسيسية والتأطيرية، حيث استحوذت على اهتمام الرأي العام المحلي والإقليمي، وأثارت صخبا إعلاميا كبيرا طيلة الستة أشهر الأخيرة.

تعرف الحركة نفسها بأنها "تجربة سياسية غير مسبقة"، تهدف إلى كسر النموذج الشمولي والراديكالي القديم للبوليساريو، وتزرع في المجتمع الصحراوي ثقافة التنوع السياسي والتعددية الحزبية"، ويشير بيانها التأسيسي على أنها "تطمح إلى تمثيل كافة الآراء والحساسيات التي تعبر عن مختلف مكونات المجتمع الصحراوي، خاصة تلك التي لا تجد نفسها ممثلة في مواقف وممارسات البوليساريو، ومشاريعها السياسية أو ومنطلقاتها وخلفياتها الإيديولوجية". وبحسب البيانات الصادرة عنها فالحركة تضم طيفا واسعا من الصحراويين، كوادر مدنية وعسكرية انتمت سابقا إلى البوليساريو،

بيان تأسيس "حركة صحراويون من أجل السلام" في 22 أبريل 2020 :

"على ضوء مخرجات المؤتمر الخامس عشر لجهة البوليساريو، والنتائج المتمخضة عنه، بات جليا أن النظام السياسي أو الحركة، التي قادت مصائر شعبنا طوال العقود الخمسة الماضية، استنفذت طاقتها وأصبحت عاجزة عن التجديد، فاقدة للإرادة والقدرة الضروريتين للانفتاح على أفكار ومبادرات جديدة، من شأنها أن تخرج شعبنا من النفق المظلم للسير به نحو مستقبل أفضل، مستقبل الحرية والازدهار.

جميع المبادرات والجهود المبذولة في هذا الصدد، اصطدمت بتعنت وعجرفة قيادة واهنة وعاجزة، لكنها مرتاحة لوضعية صنعها، يسودها التسلط والاستبداد واللاديموقراطية.

اليوم، وبعد نصف قرن من الانتظار، المعاناة والآلام، إلى جانب انسداد الآفاق وإهدار الفرص الهائلة. وضعية تتطلب اتخاذ قرارات جريئة وشجاعة، فحالة الانسداد المتواصل الراهنة، وغياب أي أفق لحل المشكلة الصحراوية، تجبرنا على إعادة النظر في مسار الوضعية برمته، حالة اللجوء الأبدي، الوضع الاجتماعي والإنساني المتأزم وتدهور الظروف المعيشية. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، شهادات بعض الناجين من القمع في سجون البوليساريو، والتي تعري ماض، يتصف بالقمع الوحشي، التعذيب والإعدامات خارج القانون لضحايا أبرياء. باختصار انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، لم يتم توضيح ملابساتها إلى يومنا هذا، مع تكريس جلي لحالة إفلات مرتكبيها من المحاسبة والعقاب.

هذه الأحداث مجتمعة أدت إلى انتفاء شرعية البوليساريو والى تقويض مكانتها كمثل وحيد للشعب الصحراوي، في ظل تخندق واحتماء الحرس القديم بأجهزة السلطة، الذي بات رفضه الصارم لكل فكر مجدد أو معارض من الداخل واضحا للجميع، خاصة بعد مؤتمر الجهة الأخير.

تتويجا لمرحلة مطولة من التقييم والحوار قررنا الموقعين أسفله تدشين خطوات متقدمة من الكفاح لصون حقوق وحرية شعبنا، بإعلان ميلاد حركة سياسية مستقلة تحت اسم "صحراويون من أجل السلام".



حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفعالها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

الحقوق الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسكان.

شعار الحركة سيكون: سلام، عدالة، وفاق.

وتعتزم الحركة السياسية الجديدة، تنظيم أول ملتقى أو مؤتمر لها في فترة لا تتجاوز الـ 24 شهرا.

ستتكفل لجنة سياسية تتكون من 13 عضوا، بالتسيير والقيادة خلال هذه المرحلة الانتقالية، هذه اللجنة ستختار بين أعضائها سكرتير أول يتولى التخطيط والإشراف مؤقتا على شؤون "صحراويون من أجل السلام" بالتنسيق مع بقية أعضاء اللجنة السياسية. كما سيعتمد السكرتير الأول كذلك على توصيات لجنة برنامج العمل المؤقت لإبلاغ الأطراف المعنية والمهتمة بالملف عن ميلاد الحركة. وضع خطة شاملة وتنفيذها، للتعريف بالمولود الجديد وربط علاقات بالحكومات والمؤسسات وكذلك القوى السياسية الأجنبية ومواكبة تطورات مخطط السلام الأممي، والمساهمة في بلورة حل سلمي، دائم وعادل لنزاع الصحراء الغربية.

تنظيم عملية تأطير واسعة للصحراويين الراغبين في الانضمام للحركة.

إيفاد ممثلين عن الحركة إلى مختلف أماكن تواجد الصحراويين بداخل الإقليم وخارجه، وتنظيم لقاءات تواصلية للتعريف ببرنامج الحركة وبرؤيتها وأهدافها.

الإتحاد الأوروبي، إسبانيا، المملكة المغربية، الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب، الجزائر، موريتانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية...

بالنسبة لـ "صحراويون من أجل السلام"، فإن تسوية النزاع الذي ولعقود، لا تزال عملية السلام رهينة له، يقف عقبة دون تحقيق اندماج وتنمية شعوب المغرب العربي، هذه التسوية، نراها ضرورة تاريخية، من شأنها أن تفتح المجال لدخول مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، تعود بفائدتها على الشعب الصحراوي وبقية شعوب المنطقة، كما ينبغي أن تسمح بإعادة فتح الحدود وإزالة جدار الصحراء الغربية، وتخصيص جزء من النفقات العسكرية لرفاهية الشعوب، إلى جانب مكافحة الإرهاب وشبكات التهريب والجريمة المنظمة.

لهذا يجب أن يكون الحل نتيجة اتفاق سياسي بين الأطراف، بضمانات دولية، ويتضمن خيارات تقرير المصير، كما يجب التفكير في خطة لإعادة الإعمار الشامل، مشاريع تنمية وإنشاء بنى تحتية اقتصادية واجتماعية، كما يشمل عودة اللاجئين الصحراويين في ظروف تضمن لهم الحرية والكرامة.

من بين المبادئ والقيم التي تؤمن بها الحركة السياسية "صحراويون من أجل السلام"، المرافعة عن التعايش، قيم المساواة، والتوزيع العادل للثروة، بالإضافة إلى حماية

وانطلاقا من هذه اللحظة المفصلية ندعو جميع الصحراويين، من داخل أو خارج الإقليم إلى الانضمام إلى هذا التنظيم السياسي الوليد، قصد المشاركة دون استثناءات من أي نوع، متحملين جميعا هذا التحدي الهادف إلى الكفاح من أجل حرية وكرامة ورفاهية شعبنا. إن المشروع السياسي الجديد، يطمح إلى تمثيل كافة الآراء والحساسيات التي تعبر عن مختلف مكونات المجتمع الصحراوي، والتي لا تجد نفسها ممثلة في مواقف وممارسات البوليساريو، ومشاريعها السياسية أو منطلقاتها وخلفياتها الإيديولوجية.

ويتعلق الأمر طبعاً، بتجربة غير مسبوقة، تكسر النموذج الشمولي والراديكالي القديم للبوليساريو، وتزرع في المجتمع الصحراوي ثقافة التنوع السياسي والتعددية الحزبية التي افتقر إليها كثيرا للوصول إلى مستوى تقدم وحدانية القرن الواحد والعشري، هذه الحركة تراهن على الحلول السلمية، وتطمح إلى احتلال مكانتها المستحقة كمرجع سياسي جديد متحفز بإرادة صادقة للتأثير إيجابيا والمشاركة انطلاقا من رؤى مغايرة في البحث عن حل متوافق عليه، دائم من شأنه أن ينهي مشكل الصحراء الغربية.

وبهذا الخصوص فحركة "صحراويون من أجل السلام" ستحيط علما بهذه المستجدات، كل الأطراف المعنية بصفة مباشرة أو غير مباشرة: الأمم المتحدة، الإتحاد الإفريقي،

البيان السياسي للمؤتمر التأسيسي لحركة صحراويون من أجل السلام في 3 أكتوبر 2020

البوليساريو بسبب نمذجها الشمولي، وعدم قدرتها على التكيف مع العصر الجديد، وأخطائها التي لا تحصى في إدارة القضية الصحراوية. وفي وقت قياسي وظروف صعبة اتسمت بفرض حالة الطوارئ الصحية جراء تفشي فيروس كورونا، تمكنت الحركة من إقناع عدد كبير من المجتمع الصحراوي للانضمام إليها كحركة ديمقراطية منفتحة على الحوار والمناقشات والأفكار والبدائل من أجل الخروج من المأزق الحالي بفضل البراغماتية والاعتدال والقدرة على استيعاب

تيارات الرؤى المختلفة والحساسيات المتنوعة. إذ نجحت خطتها الاستراتيجية في ترسيخ نفسها باعتبارها الطريق الثالث الذي طال انتظاره، والقادر على التغلب على الإحباط السائد وتهيئ الطريق نحو حل نهائي لمشكل الصحراء الغربية.



بعد ستة أشهر تقريبا من الإعلان عن تأسيسها من خلال نشر بيانها التأسيسي، تمكنت حركة "صحراويون من أجل السلام" من ترسيخ وجودها لدى الصحراويين في إقليم الصحراء الغربية، مخيمات اللاجئين في تندوف، والبلدان المجاورة. وعرفت هذه الحركة الجديدة قفزة نوعية بالتزامن مع الاستعدادات لتنظيم مؤتمرها الأول ونشرها لبيانها التأسيسي. وقد نظمت الحركة اجتماعات ومحاضرات وحلقات دراسية عديدة في الميدان وعلى شبكة التواصل الاجتماعي لشرح

المبادئ والأهداف السياسية للحركة، خاصة قدرتها على التأثير إيجابيا في مجرى الأحداث. وكانت المناسبة مواتية لتغيير العديد من الانتماءات، لاسيما بين الشباب والنساء، وهذا يبين التأثير الكبير والقبول الكبير للمشروع في لحظة تاريخية تزداد فيها الاضطرابات تجاه جبهة

حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفقها حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

وتمشيا مع التزام 22 أبريل 2020، والعزم على الترويج والعمل من أجل إيجاد حل مشرف وكريم لشعبنا، قررت الحركة بالإجماع في مؤتمرها التأسيسي وضع اقتراح لحل سياسي واقعي وقابل لإنهاء مشكل الصحراء الغربية والدفاع عنه أمام الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية، من خلال صيغة تقوم على إنشاء كيان صحراوي له حكومته الخاصة القادرة على توفير وضمان الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للصحراويين. هذا الأخير يجب عليه أن يتوافق مع معايير تقرير المصير المنصوص عليها من قبل الهيئات الدولية. إذ سيوفر نظامًا سياسيًا ديمقراطيًا متعدد الأحزاب يتمحور حول سلطة تنفيذية ومجلس تشريعي وسلطة قضائية لها علاقات خاصة مع المملكة المغربية من خلال قانون خاص. وسيحدد نظامه الأساسي الوضع النهائي للإقليم، من خلال الحوار المباشر أو الوساطة الدولية.

كقرار سام لمؤتمرها الأول، قرر المناضلون وقادة حركة "صحراويون من أجل السلام" العمل على صياغة مشروع هذا الحل بصفة تشاركية كخطوة أولى نحو الاتجاه الصحيح تزامنا مع لحظة تاريخية حساسة وحاسمة بشكل خاص للقضية الصحراوية. لذلك ناشد أعضاء القيادة السياسية للبوليساريو، ليس فقط كجماعة بل بشكل فردي، الانضمام إلى المبادرة وعدم إضاعة هذه الفرصة.

كما نخطب الملك محمد السادس استحضار المسؤولية التاريخية للمغرب والتزامه بمصالح وآمال شعوب المغرب العربي. وناشد حكومتي الجزائر وموريتانيا، أن تنضم إلى هذه الديناميكية وأن تساهم في إنجاحها. كما نطالب الأمين العام للأمم المتحدة والدول الأعضاء في مجموعة أصدقاء الصحراء الغربية في مجلس الأمن أن يشجعوا ويؤيدوا هذه الفرصة الجديدة للسلام والاستقرار في شمال غرب أفريقيا.

فمن حق الصحراويين طي الصفحة حتى يطلع فجر جديد بعد ليلة طويلة من المنفى، ويتغلبوا على مضاعفات وصدمات الحرب، ويشاركوا في عمليات التحول والتنمية لشعوب المنطقة والعالم. إن مناضلي وقادة الحركة مصممون على النضال بكل طاقتهم لتحقيق هذا الحلم.

وندعو شعبنا الصحراوي إلى عدم الانخداع بوعود وهمية طالت نصف قرن من الزمن والانضمام إلى حركتنا لتحقيق أهدافنا ورسم مستقبل واعد.

من بين الالتزامات التي تعهدت بها الحركة في مؤتمرها التأسيسي، نذكر الدفاع عبر الوسائل السلمية عن حقوق الصحراويين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. تعد حركة "صحراويون من أجل السلام" بلعب دور قيادي لبناء مجتمع ديمقراطي خالٍ من عواقب التخلف والعمل الجاد لتحقيق التنمية وتعزيز التقدم ورفاهية العيش. ونشر ثقافة التسامح والتضامن وحسن الجوار والوثام والعدالة كمفاتيح للسلام والأمن في بيئتنا الجغرافية. وأخيرا، العمل على تكامل دول وشعوب المغرب الكبير بما يساهم في تقارب السياسات الهادفة إلى تخفيف التوتر والحفاظ على الاستقرار وتعزيز التكامل الاقتصادي.

وكما هو معروف، أشرفت الأمم المتحدة منذ عام 1991 على خطط مختلفة لإيجاد حل سلمي مقبول للطرفين وفقاً للقرارات الدولية دون تحقيق تقدم ملحوظ على مدى العقود الثلاثة الماضية. حتى الآن، شارك ستة أمراء عامين وعشرات من الوسطاء في الملف، بعضهم يتمتع بمكانة وخبرة لا جدال فيها مثل جيمس بيكر، وزير الخارجية الأمريكي السابق والرئيس الألماني السابق، هورست كوهلر.

قبل ذلك، تدخلت منظمة الوحدة الإفريقية، سلف الاتحاد الأفريقي، والتي تخلت عن هذا الملف بعد عقد العديد من القمم المصغرة ومجالس الحكماء التي باءت كلها بالفشل. التشخيص لا يترك مجالاً للشك. فقد فقدت قضية الصحراء الغربية ومصائب شعبها اهتمام المنظمات الدولية.

بغض النظر عن التهاون المبرر أو غير المبرر للمجتمع الدولي، فإن الحقيقة هي أن الشعب الصحراوي هو الضحية الرئيسية لشلل عملية السلام. لا يمكننا أن ننسى أن جزءاً مهماً من شعبنا عانى الكثير لمدة 47 عاماً في مخيمات اللاجئين وسط هشاشة وأوجه قصور وحرمان من أبسط حقوقه.

في حين يعيش جزء آخر في الأراضي الصحراوية التي يديرها المغرب في انتظار حل نهائي ينهي وضعية الشك هذه. وعليه حان الوقت لأن نتنقل إلى حلول واقعية تمكن من توحيد شعبنا وتضمن لكل صحراوي ممارسة حقوقه والتزاماته كمواطن حقيقي وليس كمنبوذ.

في خضم هذه الظروف المعقدة والصعبة، ظهرت حركة "صحراويون من أجل السلام" لإعادة الأمل لشعبنا وإخراجه من الوهم وتوجيهه نحو مستقبل أفضل، في محاولة لتصحيح الانجراف والكارثة التي قادتنا إليها القيادة السياسية للبوليساريو.

البيان الختامي للمؤتمر العام التأسيسي لحركة "صحراويون من أجل السلام" في 3 أكتوبر 2020

بحجم الانجازات التي حققتها في المرحلة التأسيسية.

كما تناول المشاركون مرحلة التهييء لمؤتمر الحركة الأول وظروف المرحلة السياسية الإقليمية والدولية التي جاءت فيها "صحراويون من أجل السلام"، إلى جانب الصعوبات الناجمة عن جائحة كورونا، حيث أشادوا بأداء هيكل الحركة التحضيرية، خاصة النجاح الباهر لمؤتمراتها الفرعية، و مستوى التنظيم والحشد الذي حققته، بالإضافة إلى انتشارها ووصولها إلى كافة تواجدها الصحراويين، والتعاطي والزخم السياسي والإعلامي الكبيرين الذين واكبها، وهو ما ترجمه، بحسب المؤتمرين، الإقبال الكبير للصحراويين على الحركة من مختلف الفئات والشرائح المجتمعية، والأعداد الكبيرة لطلبات الانخراط المتزايدة، والتي تتوصل بها جميع فروع الحركة وتنسيقياتها.

وأعربت "صحراويون من أجل السلام" من خلال مخرجات مؤتمرها الأول عن

التوصيات التي أصدرتها المؤتمرات الفرعية، كما عرجوا على مختلف الخطوات التي دشنتها هيئات الحركة التحضيرية في الفترة



ما بين الإعلان عن بيانها التأسيسي في 22 من أبريل الماضي، وتاريخ انعقاد مؤتمرها الأول في 3 من الشهر الجاري، لينهوا

الإعداد لمؤتمر الحركة العام، حيث أشارت التقارير والمداخلات المقدمة إلى اللقاءات التحسيسية والتأطيرية العديدة التي

نظمتها فروع ولجان "صحراويون من أجل السلام" التأسيسية، والتي حضرها منتسبو الحركة والمتعاطفون معها، ليتناولوا

بعد مضي يومين على افتتاحه، اختتمت عشية اليوم السبت 3 من أكتوبر 2020 أشغال المؤتمر العام التأسيسي لحركة "صحراويون من أجل السلام"، حيث شهدت مناقشات مطولة توجت بالمصادقة على الوثائق الرئيسية، كالقانون الأساسي، برنامج عمل الحركة وبيانها السياسي، إلى جانب انتخاب القيادة السياسية الجديدة وهيكل الحركة التنظيمية.

وشارك في المؤتمر التأسيسي المنظم عبر الانترنت 150 مندوبا يمثلون المئات من أعضاء الحركة المشاركين في المؤتمرات الفرعية والندوات التحضيرية لمؤتمرها العام، التي نظمت خلال الأسابيع الماضية : مؤتمر فرع الحركة بواد الذهب المنعقد بمدينة الداخلة، مؤتمر فرعي الحركة بالساقية الحمراء ووادنون المنعقد بمدينة العيون، ومؤتمر فرع الحركة بأوروبا والمنعقد بمدينة تولوز، بالإضافة إلى المندوبين الذين يمثلون مخيمات اللاجئين الصحراويين والجاليات. وتطرقت جلسات الأشغال إلى مراحل

حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفعالها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

والمهتمة بمشكل الصحراء الغربية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة، مطالبين بتفعيل العملية السياسية ودعم توجهات الحركة ومقاربتها العقلانية والمعتدلة لحل هذا المشكل الذي عمّر طويلاً.

من 11 عضواً، والمكلفة بتسيير هياكل الحركة إلى حين انعقاد مؤتمرها القادم. وكلف المندوبون المشاركون في مؤتمر "صحراويون من أجل السلام" الأول، القيادة الجديدة بتكثيف الجهود لأجل تحقيق انتشار أوسع للحركة، وتقوية تواجدها في الخارج، كما قرروا بعث رسائل إلى كل الدول والجهات المعنية

للنزاع يضمن حقوق الشعب الصحراوي وينهي مأساته. وفي هذا الصدد طالب المشاركون في المؤتمر بقيادة البوليساريو بالقيام بإجراءات واضحة وملموسة لجبر الضرر المادي والمعنوي الذي لحق ضحايا قمعها، كما دعوا السلطات المغربية إلى إطلاق سراح المعتقلين الصحراويين وعلى رأسهم مجموعة كديم إيزيك.

كما دعا المؤتمرون قيادة البوليساريو وجميع الحركات والتيارات والهيئات السياسية الصحراوية الأخرى، لتدشين حوار سياسي قصد التوصل لاستراتيجية تشاركية من أجل البحث عن حل سلمي ونهائي وقابل للتطبيق، يضمن للصحراويين غداً أفضل.

وفي ختام أشغال المؤتمر، تمت تزكية الحاج أحمد باريكلا كسكرتير أول، وانتخاب 53 عضواً في اللجنة المركزية للحركة، والمصادقة على مقترح تعيين اللجنة السياسية المتكونة

استعدادها للمشاركة والمساهمة الفعالة في المجهودات للبحث عن حل توافقي وقابل للتطبيق، ينهي الصراع الذي قارب النصف قرن من الزمن، والذي لا يزال الشعب الصحراوي يدفع ثمن تبعاته الكارثية، كما أكدت الحركة على إرادتها في الدفاع عن حقوق الصحراويين السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، لتجدد تبنيتها لقيم الديمقراطية والتعددية السياسية، ومبادئ حقوق الإنسان، وفي مقدمتها العدالة، المساواة والتوزيع العادل للثروة، مما يؤسس لبناء مجتمع حضاري وديمقراطي، بعيداً عن تأثيرات التخلف من تمييز وإقصاء.

ووجه المؤتمرون نداءً إلى جميع الصحراويين في كافة مناطق تواجدهم للانضمام إلى مشروع الحركة السياسي، لأجل الدفع بالعملية السياسية، وإنجاح جهودها الرامية إلى التوصل لحل سلمي ونهائي

الخيار العسكري



نصر الحوار الذي أجرتة جريدة الطريق :

التخوين والشيطنة الكبيرة التي تعرضنا لها، فقد دشنا حملة تعريف واسعة بالحركة في الإعلام المحلي والدولي، وعقدنا العديد من اللقاءات الصحفية مع كبريات الصحف والوكالات، ونظمنا حملات تحسيس وتأطير واسعة، في كافة أماكن تواجد الصحراويين بداخل الإقليم وبالخارج، فضلاً عن مراسلتنا للجهات والأطراف المعنية بنزاع الصحراء الغربية، وتنزيل هياكل الحركة التنظيمية وتعبئة وتأطير الأعداد الغفيرة من الصحراويين الذين عبروا عن رغبتهم في الانخراط فيها، قبل أن نتوج المرحلة التأسيسية بتنظيم المؤتمرات الفرعية والمؤتمر العام. ببساطة لقد حققنا زخماً سياسياً معتبراً، وساهمنا في تحريك المياه الراكدة للنزاع، بما يخدم المساعي الرامية إلى حله مستقبلاً، بالرغم من التحديات الهائلة التي واجهتنا، أقلها الظروف الخاصة التي ظهرت فيها الحركة، والتي تميزت بانتشار جائحة كورونا والإجراءات الاحترازية التي رافقتها، إلى جانب مختلف أشكال التهجمات التي طالتنا. لقد كان رهاننا على زرع ثقافة الديمقراطية في المجتمع الصحراوي وتكريس ثقافة التعددية السياسية، من خلال التمرن والتمرس على المشاركة السياسية، مما يؤسس لبناء مجتمع حضاري وديمقراطي، بعيداً عن تأثيرات التخلف من تمييز وإقصاء.

القيادي إسماعيل الليلي : قياساً لبرنامج العمل الذي أعلننا عنه في بياننا التأسيسي، أظن أننا وفقنا في الوفاء بكافة الالتزامات التي تعهدنا بها، ونجحنا في اجتياز مرحلتنا التأسيسية، فرغم حملات

الطريق : باعتباركم أحد أعضاء الهيئة التحضيرية لحركة "صحراويون من أجل السلام"، كيف تقيمون المرحلة التأسيسية التي استمرت قرابة الستة أشهر، قبل تنظيم مؤتمر التأسيسية، خاصة في ظل هذه الأجواء الصحية الاستثنائية التي تشهدها بلدان المنطقة والعالم؟



حركة "صحراويون من أجل السلام"

ظروف التأسيس . ملابساتها . أفقها

حوار مع القيادي إسماعيل الليلي

المغرب بصفته يتواجد في القسم الأكبر من الإقليم، إلى جانب ممثلي المجتمع الصحراوي بصفته المعني المباشر بالنزاع طبعا.

الطريق: إلى جانب عضويتك للجنة المركزية في الحركة، تم تعيينك كمسؤول للجنة الشباب أيضا، كيف تقيمون مستوى الانتشار والتعاطي مع الحركة من طرف هذه الفئة العمرية التي تشكل غالبية المجتمع الصحراوي؟

القيادي إسماعيل الليلي: لا يخفى عليك التأثيرات الخطيرة لنصف قرن من الحروب والاستقطاب السياسي، لقد واجهنا تبعات الخطاب الدعائي التحريضي الذي أثر في فئات واسعة من الصحراويين، لاسيما المنتمين لفئة الشباب منهم، لكننا تمكنا من بلورة وتطوير خطاب سياسي متزن، يخاطب العقول قبل القلوب، ويجيب عن كافة الاهتمامات المعبر عنها من طرف الصحراويين. إن زمن الدعاية والبروباغندا قد ولى إلى غير رجعة. اليوم المجتمع الصحراوي يزخر بالكفاءات والأطر والمثقفين، الذين كانوا يبحثون عن طرح عقلائي يعالج الإشكالات التي يعيش على وقعها الإقليم، بدل توظيف الشعارات والمزايدات. لقد مل الشباب الخطاب الحماسية التي لا تغني ولا تسمن من جوع، وباتوا يبحثون عن خطاب عقلائي يستجيب لتطلعاتهم، وهو ما جسده حركة "صحراويون من أجل السلام" بالنسبة للكثير منهم.

الطريق: كلمة أخيرة توجهونها إلى قراء جريدة الطريق وإلى النخب السياسية والثقافية؟

القيادي إسماعيل الليلي: أظن أنه آن الأوان للنخب في أطراف النزاع وفي كافة البلدان المغربية أن تأخذ بزمام المبادرة. فمن العار أن يقف المجتمع المدني في بلدان المنطقة مكتوف الأيدي أمام هذه المأساة التي يعيشها اللاجئين الصحراويون في المخيمات مثلا. علينا أيضا أن نتجاوز عقْد الماضي، وأن نفتح صفحة جديدة نكرس من خلالها عهد الحرية والكرامة للصحراويين ولكافة مجتمعات المنطقة.

اليوم المجتمع المدني والنخب السياسية مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالانخراط في كافة الجهود الرامية إلى حل الخلافات السياسية التي لم يعد هناك أي مسوغ لاستمرارها، والتي تكبد بلدان المنطقة خسائر وتدابيعات اقتصادية لا مجال لحصرها، في هذا السياق تحديدا ظهرت حركة "صحراويون من أجل السلام" لتمد يدها لكافة الشركاء الرسميين والمدنيين، الذين ننتظر تفهمهم ودعمهم لطحنا العقلائي الطموح والجاد، والذي يروم تحقيق مستقبل أفضل للصحراويين ولشعوب ومجتمعات المنطقة جميعا.

القيادي إسماعيل الليلي: أظن أن أي متابع لتطورات الملف، لن يختلف معنا في كون النزاع يشهد تراجعاً كبيراً على مستوى الحضور الإعلامي والسياسي، لاسيما في أروقة المنظمات والهيئات الدولية، فكما هو معروف فقد شارك في المساعي الرامية إلى حله أكثر من ستة أمراء عامين للأمم المتحدة، إلى جانب العشرات من الوسطاء الدوليين، اصطدموا جميعاً بتعقيدات وصعوبات الملف، وبأنت جهودهم بالفشل، فضلا عن العديد من المنظمات الدولية الأخرى التي لاقت تدخلاتها نفس المصير. في نهاية الأمر فالضحية هم الصحراويون بالدرجة الأولى، والذين لا يزالون يدفعون ثمن التبعات المهولة لهذا النزاع الذي عمر أكثر من اللازم، حيث تعيش فئات عريضة منهم على وقع اللجوء والشتات والهشاشة الاجتماعية.



الطريق: بالنظر إلى مخرجات مؤتمر التأسيسي، خاصة الشعار الذي تم اعتماده، يبدو التركيز على "رؤية سياسية واقعية" تقدمونها لحل النزاع، ما مضمونها تحديدا؟

القيادي إسماعيل الليلي: بالنظر إلى الجمود والركود اللذين لا يزال نزاع الصحراء الغربية حبيسا لهما، فقد اعتمدنا رؤية سياسية مختلفة عن ما هو موجود في الساحة السياسية، فمن السهولة يمكن رصد حالة تباعد وجهات النظر المعبر عنها من أطراف النزاع، فضلا عن الاستقطاب الإقليمي والدولي الذي يلقي بظلاله على مواقف المتدخلين في الملف. من هنا كان لابد للحركة من الخروج بطرح سياسي جديد ومختلف.

بالنسبة لنا فالحل السياسي ينبغي أن يكون سلميا وواقعيًا، وبأخذ بعين الاعتبار حقوق ومصالح الأطراف جميعا، لكنه يستحضر أيضا الاهتمامات المعبر عنها من طرف الصحراويين أنفسهم، خاصة حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويضمن للصحراويين وجود كيان سياسي ديمقراطي، تحدد تفاصيله القانونية والدستورية بصفة تشاركية، يساهم من خلالها كافة المتدخلين في صياغة مخرجاتها، وفي مقدمتهم

الطريق: تروج أبناء عن اعتراض بعض أعضاء الحركة على مخرجات مؤتمر التأسيسي، خاصة مدينة الداخلية، ما تعليقكم؟

القيادي إسماعيل الليلي: في اعتقادي من الطبيعي في أي تنظيم سياسي يتبنى قيم الديمقراطية ويحاول تكريسها، أن يحتضن توجهات وآراء مختلفة، لقد شهدنا اعتراضات على بعض المخرجات، وتصويتنا بالرفض وتحفظنا أيضا، وهو أمر طبيعي وصحي في أي تنظيم سياسي. فمنذ الإعلان عن بياننا التأسيسي، صرحنا بتبنينا للخيار الديمقراطي، وبترحيبنا بكافة الآراء والتوجهات والتيارات السياسية المعبر عنها في المجتمع الصحراوي. فنحن لسنا تنظيما ستالينيا حتى نفرض نمطا وحيدا من التفكير والممارسة السياسية.

الآراء الراضية لبعض مخرجات المؤتمر لا تزال مرحب بها في الحركة، وسنسعى إلى بلورة آليات لمعالجة كل الاعتراضات في داخل هيكل الحركة في المستقبل القريب، كما سنناضل لأجل تكريس الممارسة الديمقراطية التي تتعايش داخلها مختلف التوجهات.

الطريق: في معظم التحليلات التي تناولت الحركة، تتم مقارنتكم مع مجموعة قليلة من التجارب السياسية التي ظهرت بالصحراء، في مقدمتها طبعاً البوليساريو والحركات التي ظهرت داخلها. ما الذي يميزكم عن تلك التجارب؟

القيادي إسماعيل الليلي: لتقييم التجارب السياسية الصحراوية، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة التي طبعت

إقليم الصحراء الغربية طيلة النصف قرن الأخير، أو حتى ما قبل ذلك، فالإقليم حديث عهد بالتمدن وبالتالي بالممارسة السياسية، والاستعمار الإسباني حكم الإقليم من خلال نمط شمولي فاشستي كان قد انتهجه الدكتاتور فرانسيكو فرنانكو منذ الحرب الإسبانية، وحتى مع ظهور البوليساريو بداية سبعينيات القرن الماضي، فقد كرست نفس النمط الستاليني حيث فرضت نظام الحزب الواحد على الصحراويين الخاضعين لسلطتها، مستعينة بألة دعائية ضخمة وبخطاب حماسي يستهدف العواطف قبل أي شيء آخر، دون أن تتمكن من التأقلم مع متطلبات العصر.

في هذا السياق جاءت حركة "صحراويون من أجل السلام" نتيجة فشل محاولات سابقة للإصلاح والتغيير داخل البوليساريو، وبالتالي فالحركة كإطار سياسي جديد تقطع مع كل تلك التجارب والممارسات الاستبدادية والاستثنائية التي انتهجتها البوليساريو والتي عمقت من معاناة الصحراويين وكرست مأساتهم.

الطريق: هل تقيمون تطورات ملف النزاع بنفس النظرة الواقعية؟



حوار مع عائشة الدويهي رئيسة مرصد الصحراء للسلم والديمقراطية وحقوق الإنسان

ماذا يقع

في مخيمات البوليساريو بتندوف؟

الأمنية الجزائرية وتنظيم البوليساريو انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، على خلفية النزاع حول الصحراء؛ حيث ضلت آليات الإنصاف الجزائرية تنأى بنفسها عن تناول أو بحث أي ملف يتعلق بانتهاكات مورست ضد ساكنة مخيمات تندوف، باعتبارها السلطة المنوط بها التحقيق في جميع الانتهاكات التي ترتكب داخل نطاقها الترابي. كما ظل تنظيم البوليساريو الذي فرضته السلطات الجزائرية؛ للقيام بدورها في إدارة شؤون المخيمات؛ خلافا لما تنص عليه قواعد القانون الدولي؛ متمتعاً بحصانة وحماية الدولة المضيفة مهما بلغت جسامته الانتهاكات التي يرتكبها، ويعيداً عن رقابة آليات الأمم المتحدة المعنية بحماية حقوق الإنسان.

فبالرغم من كون البلد المضيف يروج لخطاب "اللاجئين الصحراويين" دولياً، فإن دولة الجزائر ترفض الإقرار لساكنة مخيمات تندوف بصفة لاجئ، وإعمال الحقوق المترتبة عن ذلك، وفاء بالتزاماتها المترتبة عن تصديقها على الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين، والبرتوكول الخاص بوضع اللاجئين، حيث أن الحرمان من صفة لاجئ لمن استقر بالمخيمات لمدة أكثر من أربعة عقود، هو حرمان مباشر من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية.

الطريق : هل تعتبرين أن رقابة آليات الأمم المتحدة المعنية بحماية حقوق الإنسان بالإضافة إلى رقابة المنظمات الدولية والبعثات ذات الصلة كافية لضمان حماية ساكنة المخيمات من الإجراءات والأعمال التي تضرب حقوق الإنسان كما هو متعارف عليها دولياً؟

عائشة الدويهي : للأسف، بعد أزيد من أربعة عقود، لازال تنظيم البوليساريو مجالاً مغلقاً على ذاته ومنفلتاً من كل رقابة دولية؛ فلا زالت الدول الأعضاء المكونة للفريق العامل المعني بالاستعراض الدوري الشامل تطالب البلد المضيف دولة الجزائر بالرد إيجاباً ودون تأخير على طلبات الزيارة التي يقدمها خبراء وآليات حقوق الإنسان

عائشة الدويهي : إن استمرار تضيق

الخنق على المدافعين عن حقوق الإنسان المخالفين لرؤية التنظيم ووصمهم بالخيانة، أمر شائع في أوساط مسؤولي قيادة البوليساريو ومساعدتهم.

ومن حالات ملاحقة المدافعين عن حقوق الإنسان ومضايقتهم، ما تعرض له مصطفى سلمة ولد سيدي مولود، وبعض أعضاء الحركات الإصلاحية: أعضاء حركة خط الشهيد، وحركة 5 مارس، حركة شباب التغيير، المبادرة الصحراوية من أجل التغيير؛ كما تعرض الدكتور الخليل أحمد بريه، أحد مؤسسي وعضو قيادة تنظيم جبهة البوليساريو، للاختفاء القسري بالجزائر منذ مطلع 2009 بسبب إبداء آراءه المنتقدة



مخيمات تندوف بين قهر عسكر الجزائر وانتهاكات جلادي البوليساريو

قيادة البوليساريو. وتبقى قضية المعتقلين الثلاثة الصحفي مولاي أب بوزيد، والمدافع عن حقوق الإنسان الفاضل ابريكة والمدون محمود زيدان، أهم ما طبع هذه السنة فيما يخص الأعمال الانتقامية تجاه المدافعين عن حقوق الإنسان بمخيمات تندوف، كما ذكر في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة المقدم لمجلس الأمن لسنة 2019 و2020.

الطريق : كيف تقيمون داخل المرصد حصيلة عقود من الممارسات المخالفة لحقوق الإنسان في حق مدنيين وعسكريين في المخيمات؟

عائشة الدويهي : لقد ارتكبت الأجهزة

ساكنة المخيمات.

هذا الوضع الذي شكل لدى العديد ممن سئموا، حافزاً للانتفاض في وجه القيادة، فسكان المخيمات لم يعودوا يتكلمون سرا، بل تحول الوضع إلى حركات احتجاجية أصبحت تستهدف القيادة.

حتى أنه، وأمام هاته الجائحة التي أبرزت الأهمية القصوى للترباط الأساسي بين الأسر البشرية والتي تسابقت فيها مختلف البلدان إلى تقديم كل الدعم لمن يرابطون في الصفوف الأمامية، فاجأتنا قيادة البوليساريو، بالتزامن وتسجيل أول أربع حالات إصابة مؤكدة بفيروس كورونا، بقيام قواتها الأمنية بمضايقة واعتقال وإساءة معاملة أطباء وممرضين بل وحتى بعض الصحفيين والمدونين، وهو ما

أشار إليه تقرير الأمين العام للأمم المتحدة المرفوع إلى مجلس الأمن الأخير، بعدما انتظموا في إضرابهم عن العمل نتيجة لعدم توفر الشروط الملائمة للعمل وتنديدهم بما يصفونه متاجرة قيادة الجبهة بهم سياسياً بعيداً عن واقع القطاع الصحي، وترويجها لمعطيات مغلوطة حوله في محاولة لتهنئة الرأي العام بالمخيمات.

الطريق : قامت قوات البوليساريو مؤخراً بالعديد من الاعتقالات والاختطافات في حق محتجين ونشطاء بالمخيمات، ومنهم مدونون وصحفيون.. هل هي حالات معزولة أم أنه أسلوب ممنهج لقيادة البوليساريو تجاه المعارضين لسياستها؟

الطريق : عرفت مخيمات تندوف خلال الأشهر الأخيرة العديد من الوقفات والاحتجاجات.. هل يمكن اعتبار هذا انفتاحاً في حرية التعبير والرأي أم هو بسبب ارتفاع وتيرة قمع المعارضين لقيادة البوليساريو أم بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية؟

عائشة الدويهي : منذ إحداث مخيمات تندوف بالجنوب الغربي للجزائر، لا زالت وضعية حقوق الإنسان تعرف تردداً بسبب فرض حالة من الطوارئ والاستنفار الأمني في المخيمات ومحيطها وتشديد المراقبة بحجة مواجهة الإرهاب؛ يمنع كل مظاهر التظاهر والاحتجاج كما أنها صادرت الحق في حرية التعبير للأصوات المخالفة لتوجهات القيادة، ولمن أراد أن ينتقد أوضاع المخيمات بما فيها اللسان الصحفي، كما أنها انتهكت الحق في التأسيس باستثناء بعض التنظيمات الموازية.

ورغم أن تنظيم البوليساريو اعترف بوقوع انتهاكات لحقوق الإنسان في الماضي، لكنه لم يقدم معطيات أو معلومات واضحة حول أعمال تكرار حالات الاختفاء القسري والاختطافات والقتل خارج نطاق القانون أو بإجراءات موجزة، والتعذيب في مراكز الاحتجاز وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة. صحيح أن قيادة البوليساريو استطاعت لمدة أكثر من أربعة عقود أن تحكم قبضتها على الفضاء العمومي؛ إلا أنها قد تراكمت العديد من الأحداث الاجتماعية والسياسية، الشيء الذي أدى إلى تأزم الأوضاع الاحتجاجية بمخيمات تندوف بمقاربة أمنية مشددة؛ هذه الأحداث المتواترة بشكل غير مسبوق، نبه لها أيضاً الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره/ أكتوبر 2019؛ "عن وقوع عدة مظاهرات في مخيمات اللاجئين" بتندوف بالجزائر والناجمة عن العديد من الأسباب، لكن يبقى على رأسها عدم تكافؤ الفرص ما بين أفراد ساكنة المخيمات للنفوذ إلى الحقوق الأساسية والاستفادة من المساعدات الإنسانية، وانعدام الأفاق، وهو الوضع السائد على نطاق واسع في صفوف الشباب بالمخيمات، حيث تؤدي محدودية فرص العمل إلى تراكم الإحباط وتوليد الشعور بالعجز. وهو الوضع الذي أنتج حراكاً غير مسبوق بين الشباب من



حوار مع عائشة الدويهي رئيسة مرصد الصحراء للسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان

ماذا يقع

في مخيمات البوليساريو بتندوف؟

الإجابة عن سؤال التنمية في الاجابة عن سؤال حقوق الانسان في الصحراء؟

عائشة الدويهي : يجب الإشارة أولاً إلى أنه منذ عام 1975 وخاصة مع إغلاق الأبواب، تنامي الطلب على تسريع وتيرة التنمية، فالاستعمار الإسباني لم يستثمر في المنطقة ليعمل المغرب على مد المنطقة بشبكة المياه والكهرباء والصرف الصحي والاتصالات وشبكة الطرق والموانئ البنية التحتية.. كما عرفت وتيرة الاستثمار بالمنطقة تباطؤاً نظراً للإقصاء من الاستثمار الخارجي ومن التعاون الدولي، فالمنطقة معتمدة بالأساس على الاستثمار الداخلي. وهما أن الحقوق المدنية والسياسية لا يمكن أن تتطور وتجد ضمانات لحمايتها إلا في إطار بيئة تكفل حقوق الساكنة في التمتع بالعيش الكريم؛ وهو الاتجاه الذي بدأ مع المبادرات ذات الصلة بمشاريع التنمية البشرية، وتعمق مع المقاربة المبنية على الحقوق.

حيث أن تبني المغرب لمقاربة مندمجة، أفضى إلى إعداد نموذج تنموي للأقاليم الجنوبية، الذي يعد بمثابة وثيقة مرجعية مبنية على تشخيص موضوعي وجريء للسياسة التنموية، وخطة عملية موجهة لإعمال كافة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية لسكان هذه الأقاليم.

تدابير كان لها وقع كبير على مقاربة تسيير الشأن العام وإطلاق الجهود المتقدمة سنة 2015 تكون قاطرتها هي الأقاليم الجنوبية، من خلال رصد أكثر من 77 مليار درهم كميزانية للنموذج التنموي الجديد الذي يعتمد على التكامل المنشود بين الديمقراطية التشاركية والسياسية.

لذلك فنحن واعون بأهمية دورنا المراقب كفاعل مدني في التأثير على درجة الحكامة في تدبير الشأن المحلي من قبل المسؤولين، وأهمية إعداد التقارير الخاصة بالتدبير والمشاركة؛ لكننا لا زلنا نحتاج إلى المزيد من إنضاج الوعي بحجم مسؤولية المراقبة؛ كما أن الدولة يجب تكون متيقظة لوضع الآليات لتعزيز التنفيذ الفعال لمستويات التنمية والحكامة الجيدة مع ربط المسؤولية بالمحاسبة.

المعنية بحقوق الانسان حول وضعية الحقوق المدنية والسياسية بمخيمات تندوف. حيث يستند مرصد الصحراء في إنجاز تقاريره وأوراقه البحثية على:

- المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وعلى بعض التقارير الدولية والأممية؛
- التقارير التي ينجزها مرصد الصحراء أو بعض مكونات النسيج المدني للحقوق والحريات الذي يعد مرصد الصحراء عضواً فيه؛
- الشهادات والإفادات والبلاغات التي يجمعها أعضاء المرصد؛
- الملخص الأسبوعي، للأحداث ذات الصلة



تلاعبات خطيرة من طرف حكام البوليساريو بالمساعدات الدولية لمخيمات تندوف

بحقوق الإنسان بمخيمات تندوف، الذي يقوم المرصد بتجميعه؛

- أيضاً من خلال متابعته لمجموعة الآراء عبر الخرجات الإعلامية أو بعض التدوينات، للنشطاء، المحتجين، المدونين أو الضحايا، على مواقع التواصل الاجتماعي أو من خلال بعض التعبيرات الفردية وهي توثق لبعض الأحداث أو تقوم بردود تعليقات حول أحداث معينة أو من خلال البيانات الصادرة عن الضحايا أو ذويهم أو التغطية الإعلامية للأحداث بمخيمات تندوف.

الطريق : في نظرك، هل يمكن أن تساعد

وضاعفها سنة 1988؛ هذا بالإضافة إلى رفض دولة الجزائر التعاون مع آليات الرقابة الدولية والحظر المنهجي الذي تمارسه على زيارات المنظمات غير الحكومية الإقليمية والدولية لحماية حقوق الإنسان إلى مخيمات تندوف. ورغم إكراهات الرصد الميداني؛ فرصد الصحراء للسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان؛ باعتباره آلية تتركب بين الرصد الميداني والتفكير المسنود بالأبحاث والدراسات من أجل رصد الأوضاع في علاقة بالأمن والديمقراطية وحقوق الإنسان بمنطقة الساحل والصحراء؛ يقوم بمتابعة وضعية حقوق الإنسان في مخيمات تندوف

التابعين للأمم المتحدة، بالمقابل تصر الجزائر بأنها تتعاون تعاوناً تاماً مع الإجراءات الخاصة التابعة لمجلس حقوق الإنسان؛ وهي التي تتجاهل طلبات الزيارة التي قدمت إليها من طرف الإجراءات الخاصة لمجلس حقوق الإنسان؛ فلا زال الفريق العامل المعني بالاختفاء القسري، حتى الآن، لم يحقق الزيارة التي طلبها منذ سنة 2000، رغم التذكيرات المتتالية. كما لم ترد الجزائر على الطلبات المتعلقة لزيارات المقرر الخاص المعني بمسألة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة والمقرر الخاص المعني بالحقوق في حرية التجمع السلمي وتكوين الجمعيات... كما أن دولة الجزائر ترفض بشكل قاطع زيارات المنظمات الدولية لحقوق الإنسان والبعثات البحثية؛ فرغم حث المقرر الخاص المعني بالحقوق في حرية الرأي والتعبير الحكومة الجزائرية على "السماح لأعضاء المنظمات الدولية لحقوق الإنسان بدخول الجزائر للقيام بأنشطتها المشروعة، في ممارسة حقهم في حرية الرأي والتعبير"؛ فقد رفضت الجزائر زيارة منظمة العفو الدولية، وزيارة الشبكة الأورو-متوسطية. كما يعمد البلد المضيف لتنظيم البوليساريو إلى الحظر المنهجي لزيارات المنظمات الدولية لحماية حقوق الإنسان إلى مخيمات تندوف. حيث ترفض دولة الجزائر بشدة زيارات المنظمات غير الحكومية الإقليمية والدولية إلى المخيمات، وبالتالي تمنع أي تحقيق في الجرائم المرتكبة. للأسف، فهذا الرفض للتعاون مع آليات الرقابة الدولية يؤثر سلباً على تنفيذ القرارات الصادرة عن هذه الآليات.

الطريق : ماهي استراتيجية المرصد لتسليط الضوء على ما يقع بالمخيمات من تضييق وانتهاكات؟ وكيف تتراجعون في واقع الحقوق والحريات في المخيمات؟

عائشة الدويهي : إن رصد ما يقع داخل مخيمات تندوف، ليس بالأمر الهين، وخصوصاً أن تنظيم البوليساريو بمخيمات تندوف بالجزائر ما يزال مجالاً مغلقاً على ذاته، بالرغم من الجرائم والانتهاكات الجسيمة التي ارتكبتها منذ تأسيسه

في الجنوب الغربي للجزائر في عديد المحطات؛ جاعلاً من الرصد والتراجع أحد أهم آلياته في العمل بإنجاز التقارير والأوراق البحثية التي يتراجع بواسطتها أمام الآليات الأممية؛ بالتفاعل مع الهيئات المنشأة بموجب الميثاق من خلال تقديم تقارير لآلية الاستعراض الدوري الشامل والتراجع أمام الإجراءات الخاصة لمجلس حقوق الإنسان عبر إفادات كتابية أو شفوية أو من خلال أوراق بحثية يتم تقديمها للمقرررين الخواص والفرق العاملة أو لدى الدول؛ كما أن المرصد، وعلاقة بنفس الموضوع، يتراجع أمام هيئات المعاهدات بتقديم تقارير موازية للجنة

الجنوب المغربي وسؤال التنمية

♦ سدي علي ماء العينين - باحث في الشؤون الصحراوية



المدينة في كل مظاهر الحياة التي تتوفر في الجهات الشمالية للمغرب، بالإضافة إلى انخراط الدولة في أورش تنمية كبرى في إطار جهود وسياسة اللامركزية واللامركز والحكامة الجيدة. صاحب هذه المساعي التنموية، تحولات اجتماعية عميقة. وهكذا لم تعد أنشطة السكان تنحصر في حياة الترحال بل أصبح عدد المقاولين بينهم يتزايد يوما عن يوم، وذلك في فترة لا تزيد عن عشر سنوات إلا قليلا. وليس من المستبعد أن يصبح في يوم ما هؤلاء المقاولون رجال صناعة مغامرين وديناميكيين.

قد سجلنا بالفعل نتائج مشجعة في هذا الصدد: فقد قام العشرات من المقاولين المحليين بإقامة مشاريع صناعية ممولة بالاشتراك مع مقاولين من شمال المغرب. وأعطت هذه الشركات نتائج مثمرة، حيث تمكنت من اكتساب تكنولوجيا عصرية وتنمية تقنيات جديدة، سيما في ميدان الصيد البحري الذي يوفر رصيذا هائلا على صعيد الاستثمار والتعاون. وبشكل أشمل بين المغرب والبلدان المجاورة. دينامية اقتصادية وعلاقات أفقية وعمودية كان للبعد الثقافي فيها حضور كبير، واستطاع المجال الصحراوي ولو بشكل متعثر

أن يجد إيقاع النسق الذي يفرضه الحاضر وبذلك يتحقق الاندماج تدريجيا. إن المجال الصحراوي يتوفر على مؤهلات طبيعية هائلة (الصيد البحري، الفوسفات، الرمال، الفلاحة...) بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي من خلال قربه من جزر الكناري وأهمية الموارد البشرية بما في ذلك تاريخه العريق وغنى معارفه المحلية (الصناعة التقليدية، العادات والتقاليد...) مع وجود دينامية للفاعلين المنتخبين ومؤسسات المجتمع المدني، كل هذه المكونات تتفاعل على أرضية صلبة قاعدتها المجال الجغرافي للمنطقة.

إلا أن تفاعل هذه العناصر ينقصه الدور الوظيفي، من هنا يظهر أن النموذج التنموي يلزمه التنسيق بين مختلف الفاعلين إضافة إلى احتضان المجتمع وتنميته بكل مكوناته

والمبادلات القائمة بين شمال المغرب وجنوبه. ينبغي التمييز بين عدة خطوات في السياسة التنموية المتبعة من طرف السلطات العمومية. فقد عرفت الخطوة الأولى إقامة البنيات الإدارية، وتميزت الخطوة الثانية بإحداث وزارة مكلفة بالشؤون الصحراوية من قبل الملك الراحل الحسن الثاني، في حين تعتبر الخطوة الثالثة مرحلة التنمية. مرت هذه الخطوات عبر ثلاث مراحل أساسية تحكمت فيها ظروف خاصة، وهي كالآتي:

- **تميزت المرحلة الأولى (1976 - 1985)** بطغيان الهامش الإثني وضبط المجال الترابي وإحصاء السكان، كما أن المنطقة كانت تتزود بكل احتياجاتها من المنطقة الشمالية من أطر وعمال وتجهيزات واحتياجات أساسية (دحمان 24:42). حيث لم تعرف المنطقة في هذه المرحلة تحولات كبيرة وشاملة بل ركزت على توطين البدو والعمل على ضمان أمنهم بسبب حرب العصابات التي كانت تدور رحاها بين المغرب والبوليساريو، فكانت هذه الحرب تركز على التحكم في الطرق ولم يكن من الممكن مباشرة أي عمل تنموي أو الدخول في مشاريع استثمارية في المنطقة بسبب التوتر السياسي العسكري، كما أن هذه الظروف التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة لم تكن لتسمح بتوطين البدو بالقرب

منذ استرجاع منطقة صحراء الجنوب المغربي وعودتها إلى حظيرة الوطن، حرصت السلطات العمومية على توسيع وتدعيم نطاق اندماج هذه الجهات مع مجموع جهات المملكة. اندماج تأخر بحكم السنوات الفاصلة بين استقلال المغرب وتنظيم المسيرة الخضراء، واتسم بالتوجس والبحث عن انتماء المجال إلى المغرب أكثر منه كسب قلوب ساكنة المجال وإشعارها بالانتماء.

فقد عرفت سنة 1975 حدثا مهما في تاريخ الدولة المغربية تمثل في استرجاعها لأقاليمها الجنوبية التي كانت تعاني من ضعف حاد على مستوى التجهيزات التحتية، كانت هذه اللحظة بمثابة الانطلاقة الحقيقية لتنمية اقتصادية واجتماعية أعلن المغرب بموجبهما نيته في الإصلاح واستدراك الركب التنموي في المنطقة.

لقد عانى المجال لسنوات طوال من الاضطهاد الاستعماري ومن بعده فترات من الإهمال واللامبالاة بعد التحاق صحراء الجنوب المغربي بالوطن الأم، غير منكرين لبعض الجهود التي بذلتها المؤسسات المحلية وحتى المبادرات الحكومية المتفاوتة وبعض الجهود المحمودة التي قامت بها بعض الجامعات ومراكز البحث العلمي أو بعض المؤسسات أو بعض الجمعيات الثقافية أو بعض الباحثين.

من ناحية ثانية حاول المستعمر الأجنبي فصل المغرب عن

جذوره المغذية الضاربة في القارة الإفريقية منذ قرون عدة، والتي تبرز الطابع الإفريقي التقليدي للمغرب. لقد قامت الدولة بإنجاز ضخم في هذه المنطقة. وذلك بشهادة الجميع بما فيهم الملاحظون الأجانب. واعتبارا للظروف المناخية والجغرافية، وظروف البعد، قد يكون الخلل الذي أصاب التنمية في الصحراء كونها لم تبدأ مع بداية مخططات ما بعد الاستقلال بحكم الوضعية السياسية بالصحراء، وكذا تأخر استقلالها عن تاريخ استقلال المغرب، حيث أن هذه البرامج بدأت بعد المسيرة الخضراء، لكنها كانت برامج استثنائية حاولت بالسرعة والتسرع إلحاق الصحراء تنمويا بالمغرب لخلق التوازن المجالي

المطلوب. ويمكننا القول بأن المغرب نجح في وضع سياسة تعتبر نموذجا للتنمية في وسط صحراوي. لكن ذلك لم يتم بصورة جيدة وربما بسبب الحرب لم يتم بشكل مسترسل مما أسهم في الوقوع في العديد من الاختلالات.

لم تسعف وضعية المجال الصحراوي المغرب بعد الاستقلال من استعادة هذه العلاقات التي كانت بين المجال الصحراوي وباقي جهات المملكة كاملة والتي نجح المستعمر في فصلها بسبب طبيعة النزاع حول المجال الذي أخذ أبعادا خارجية تمثلت في التكتلات الإفريقية مع أو ضد الوحدة الترابية للمغرب، وهو الوضع الذي صححه المغرب تدريجيا فمنذ 1975، وهكذا عبر سنوات ما بعد وقف إطلاق النار في بداية التسعينات حيث يبدو جليا أن الأعمال والبرامج المنجزة في هذه المنطقة قد مكنت من بث روح جديدة في التيارات



من مصادر الثروة المحلية وفق إرادة السكان، بل كان على شكل توطين قسري دفع بالرحل إلى التخلي عن تربية الماشية ورعي الإبل تحت ضغط الجفاف والحرب.

- **أما المرحلة الثانية (1985 - 2000)** فتميزت بمباشرة أعمال مهمة بالمنطقة من أهمها مد طرق معبدة، ومطارات وموانئ وتوفير وسائل النقل العمومي وبناء مشاريع سكنية وبناء الجدار الأمني، مما وسع مجالات التنمية الرعوية، وزيادة على تنامي الصناعات التحويلية المحلية كالفوسفات، وصناعة الملح (دحمان 2004: 43).

- **المرحلة الثالثة (2000 - 2004)** سيجد الملاحظ اليوم لمستوى التطور الحضري الذي عرفته المراكز الحضرية في الأقاليم الجنوبية أنها أصبحت تتوفر على جميع شروط

الجنوب المغربي وسؤال التنمية

♦ سدي علي ماء العينين - باحث في الشؤون الصحراوية



تشوهت نظم المجتمع وهياكله مع تبني تنمية غريبة عنه وغير ملائمة له. وهذا يصعب على المجتمع تنظيم نفسه لاستئناف مساره التاريخي صوب المستقبل، لأنه سيحتاج إلى سنوات قد تطول لتجاوز الآثار السلبية المترتبة على كون المجتمع حقلا للتجارب ومعملا لاختبار خطط وبرامج تنمية متناقضة.

على هذا المستوى إذن ينبغي تشخيص التناقض الرئيسي الذي يرتبط حاله بإستراتيجية التنمية بالمجال الصحراوي، تناقض بين ضرورة فتح المجال الصحراوي أمام جميع المغاربة كجهة بين الجهات، وتحقيق تنمية مجالية في المنشآت والطرق والإنارة والماء الصالح للشرب وغيرها من ضروريات الحياة المدنية.

وتناقض بين التمسك باطنا بنظام قبلي وعلنا بنظام مؤسسي وخلق توليفة بينهما تفرغ العمليات السياسية من معناها وتفرز حالة لا انسجام بين مكونات المجتمع حيث العلاقات في المجال يصيبها

الاختلال، وتنتج عنها ظواهر هامشية تتغذى بنزوعات التطرف والانفصال، بدل القوى الاجتماعية التي لها مصلحة في القضاء على الاستغلال والتخلف، مما يحتم بناء الإنسان عبر صيانة تراثه وجعله في قلب التنمية المحلية، تنمية تزواج بين الإنسان بخصوصياته الثقافية وبين ما ينجز في المجال من منشآت دون الإيمان الخاطئ بان تنمية المجال تنعكس تلقائيا على تنمية الإنسان.

إن التنمية السائدة تقدم البنية التحتية والمنشآت بمثابة "النجاعة التنموية" وأن الدعوة إلى ما هو تراث مطلب "غير معقلن" وهذا منطلق خاطئ لأن المورد هو الذي يفسر سلوك الإنسان في علاقته المجالية، بل إدماجه في التنمية هو الحل للأزمة العامة التي يعاني منها المجال منذ خروج المستعمر، والتهميش الذي يمارس عليه في إطار نظام "المجال

إن عملية التنمية هي عملية تغير اجتماعي وهي بالتالي عملية صراع ثقافي بين مركز مدبر وفرع يستفيد من الوضع ويبحث عن مكان لثقافته فيه، إنها جدلية التطور في نهاية التحليل...

إن فكرة تنمية مجال من مجالات المغرب هو عملية حتمية تنبعث من رغبة النخبة الحاكمة في خلق التوازن الواجب بين مختلف المجالات المكونة للتراث الوطني مع الحرص على تكاملها وانسجامها، لأن الدولة ونخبها الحاكمة إذا تبنت إيديولوجيات تنموية غير متناسبة مع ثقافة المجتمع، فإن ذلك يؤدي إلى إجهاض متكرر لعملية التنمية؛ وهو ما حصل بمجتمع الصحراء حيث برزت في بدايات تنزيل المخططات التنموية بالمجال الصحراوي أربع ظواهر، هي:

- سلبية المجتمع وانفصاله عن الدولة ومخططاتها بسبب غياب المقاربة التشاركية واعتماد مخططات بشكل آلي صادرة من المركز دون بدل جهد لمحاولة فهم المجتمع المحلي وذهنيته، ما أدى إلى افتقاد الدولة إلى القدرة على تفعيل المجتمع لتحقيق التنمية، وهو ما ولد ظواهر سلبية لعل أبرزها ارتباطا مع الوضعية السياسية للمجال، تغذية النزعة الانفصالية التي غلفت المطالب الاجتماعية.

- فرض إيديولوجية تنمية غريبة على المجتمع تؤدي إلى انقسامه إلى تيارين: أحدهما يتبنى تلك الإيديولوجية ويدافع

الحضارية والتي تقتضي تنمية المجال وإدماجه وفق سياسة مواطنة لتكافئ الفرص وامتصاص الفوارق الاجتماعية المجالية. إن اختزال حاجيات العنصر البشري في المنشآت والبنى التحتية دون الإنصات إلى انتظاراته وطبيعة ذهنيته هو ما يجعل أي تنمية اقتصادية دون تنمية بشرية هو إهدار لفرص التنمية وإغراق للمجال في اختلالات أصبحت بنوية وكروست فوارق تحتاج لمجهود مضاعف لاجتثاثها.

إن المنشآت والبنى التحتية لا تنفصل عن الإنسان الذي يتحرك فيها، والعمل على خلق التوازن الواجب بينهما هو الكفيل بتحقيق مساعي التنمية القادرة على مواكبة التغيرات الحاصلة في المجتمع هذه المتغيرات التي يمكن تحديدها في ثلاث مستويات أولية:

أولاً: تراجع الثقافة التقليدية وإحلال الثقافة الحديثة، حيث تعتبر الأولى حاملة لقيم معيقة لعملية التنمية في المفهوم الخاطئ للتنمية، لكنها في العمق تعتبرها موجهة للحفاظ على الهوية واستثمارا للتراكم التاريخي، وهذا لا يتحقق إلا بالأخذ بعين الاعتبار أن الثقافة التقليدية أو التراث هو جزء حي في الحاضر وأن تطوره لا يلغي وجوده بقدر ما يقدمه بصيغ تلائم الحاضر وتستشرف المستقبل.

ثانياً: تراجع المؤسسات التقليدية (القبيلة) وإحلال مؤسسات حديثة مكانها. والتنمية مطالبة أثناء تنزيلها الأخذ بعين الاعتبار هذا المكون الأساسي في المجتمع والذي بنى في سيرورته كيان المجتمع، ولازال مرجعا أساسيا في الإجابة على أسئلة الحاضر وأن المؤسسات الحديثة ليست لإلغاء البعد القبلي، ولكن لإغنائه حتى تتمكن الساكنة من الاندماج السلس في المجتمع الكبير وهو المغرب.

ثالثاً: استبدال الاقتصاد التقليدي بالاقتصاد الحديث؛ فبرسم الحدود يكون من الصعب العمل

بنظام القوافل التجارية والعملات القديمة، والتنمية هي عملية تطوير وتحديث له التجارة بما يتناسب مع تحولات العصر والقوانين الدولية المنظمة للمعاملات التجارية مع السعي لإفساح الطريق أمام نسق صناعي تكنولوجي متقدم. لقد كان هذا المنهج صائبا لأنه يخدم تفعيل نموذج هوية متعددة المشارب والروافد ومتجذرة في الماضي بنفس قدرتها على استشرف المستقبل والتي يعتبر الشق الحساني أحد أعمدها الرئيسية.

تحقق هذا المنهج وتنزيل هذا التوجه يشترط مقارنة مرتكزة على استحضار أهمية الحفاظ على الخصوصية مع مسابرة منطق التطور. وهي عملية كلما كانت ميكانيكية كلما أفرزت وضعا مشوها هجينا لا هو نابع من تلك الخصوصية ولا هو مجسد بوحي لتحولات الواقع.



عنها لأنه لصيق بالنخبة وله مصالح مشتركة معها، والآخر يرفضها ويقاومها ويتمسك بالتقاليد المتوارثة. وهذا بدوره يغذي الفوارق بين القبائل والفرقة بين أبناء القبيلة الواحدة بين منخرط ومعارض لهذه التنمية لأنه لا يجد فيها مصالحه. - تشويه البناء الاجتماعي وإفقاده الوجهة والاتجاه نتيجة الصراع الثقافي الداخلي الناجم عن الانتقال من إيديولوجية تنموية إلى أخرى، ما يدفع المجتمع والدولة إلى حالة من الارتباك والحركة في إطار ردود الأفعال وإدارة الأزمات أكثر من الحركة ضمن رؤية حضارية تربط الحاضر بالمستقبل مسترشدة بتجربة الماضي.

- إهدار الطاقات ومصادرة المستقبل؛ حيث يفقد المجتمع فرصة النمو مرتين؛ واحدة عندما تخلى عن توظيف إمكاناته لإحداث التنمية في ظل ثقافته الأصلية، والأخرى عندما

الجنوب المغربي وسؤال التنمية

♦ سدي علي ماء العينين - باحث في الشؤون الصحراوية



الجهات الجنوبية اليوم نجحت في ضمان عنصر بشري منخرط في نسيج المجتمع وهيكل الدولة ومؤهّل بشواهد عليا ومستعد إن أعطيت له الفرصة أن يكون في قيادة أي مشروع تنموي والقطع مع المركزية المفرطة التي تكبل كل تطور منشود.

ما نهدف إليه ونحن نعيش تنمية فتيحة تسعى إلى تغيير الحياة والإحياء في المجال الصحراوي ليس إنجازا محدود المدى من قوة الأثر، وإنما بعث لأصالة هذه الجهات وبلورة لشخصيتها الحضارية وتحديد لخط سيرها الثقافي بدل هذا التخبط بين مختلف الاتجاهات الموروثة والمجتمعية والبرامج التنموية المتعثرة. ونحن حين نتحدث عن الرجعة الواعية إلى أعماق التراث لا ننسى ما تحتاجه هذه الرجعة من حكمة في التدبير ونجاعة في وضع البرامج التنموية وحضور رئيسي للتراث والثقافة فيها. أما أن تعود إلى الماضي لتكتشف فيه العادات والتقاليد التي ضاعت خلال القرون الماضية فالغاية من ذلك أن نجعل من التراث والثقافة الشعبية المحلية عاملا في تنمية المجال ومصدر قوته الدافعة، وهذه هي بداية عهد جديد لحضارة جديدة في مغرب المستقبل.

والتوجهات محكومة بخلفية تلك الثقافة، لأن ذلك هو ما يمكن الإنسان حامل هذه الثقافة من الانخراط العفوي في تلك المخططات، لأنه ببساطة يجد نفسه فيها ويدرك بفطرته أنها حتمية للتطور وشرط للاستمرارية، هذا أمر ممكن عاشته أقوام ومررت منه مجتمعات وأعطت النموذج على التعايش والتكامل بين الماضي والحاضر وذلك عبر توفير مستلزمات في الرؤيا تعد أساسية وهي :

شرط الوعي، فلا ثقافة بدون وعي عقلي موضوعي وعلمي، ولا يكون ذلك سوى بتحقيق بعدين على الأقل لذلك الوعي:

شرط القصدية: وهي أن تكون التنمية ذات هدف وقصد، ذات مضمون.. يقدم خدمة للإنسان المشخص في زمان محدد لا إنسانا مطلقا وزمانا مجردا، وهي خدمة تستهدف تطوير وتحسين إمكاناته الذاتية وإمكانيات محيطه نحو الأفيد ونحو الأجمل ونحو الأسعد.

شرط التجدد: أن تكون خلاقة وإبداعية، ترهن حياتها بالتجديد الدائم لأدواتها ومحتوياتها، مرتبطة أساسا بالمستقبل وأفاقه لا بماضي التجربة البشرية.

شرط الإنسانية: وهو ما يختصر كل ذلك، فجزورها هو الإنسان، لا أي شيء آخر، وثمارها له، الإنسان داخل الجغرافية وداخل التاريخ كما سبق القول.

يبدو أن مسودة البرنامج التنموي النموذجي للصحراء الذي أطلق مؤخرا يجب أن يترجم هذا التوجه ولا يجب الالتفات إلى أسباب تأخره منذ الاستقلال إلى اليوم بقدر ما التوجه نحو إنزاله ووضع جدول حكيمة لإنجازه مع التخفيف من حدة البيروقراطية والمركزية التي تعتبر من أكبر معوقات التنمية المستدامة والمتوازنة محليا ووطنيا. المشروع التنموي المقرر في الصحراء من شأنه أن يمكن من توفير الرفاه الاقتصادي والعدالة الاجتماعية والكرامة للإنسان الصحراوي المغربي وغيره من المغاربة سكان الصحراء وهو أيضا خيار استراتيجي وجيو- سياسي سوف يكون له تأثير إيجابي على علاقة المغرب بعمقه الإفريقي..

إن المؤشر في تحقق هذا التنزيل وإمكانية تحقيقه هو أن

أولى من الإنسان" هو الذي يعمق أزمة عدم الإدماج لدى ساكنة الصحراء، ويجعلها تهرب إلى موروثةا القديم بحثا عن الذات.

إن قراءة متأنية للمخططات التنموية التي اتبعت بالأقاليم الجنوبية منذ ما بعد رحيل المستعمر وفي بداية التسعينات مع وقف إطلاق النار بالصحراء تعكس بجلاء غياب مقاربة تنموية تعطي الأولوية لتنمية الإنسان الصحراوي عبر الاهتمام بهويته وخصوصيته المحلية وجعل ثقافته وتراثه وخاصة عاداته وتقاليده في صلب العملية التنموية. وهو ما كانت له آثار وخيمة على ساكنة الصحراء والتي دفعت بالشباب منهم إلى معاكسة الدولة بتبني أطروحات انفصالية ظاهرها الانفصال وباطنها السخط على الأوضاع الاجتماعية. وهو ما يعطينا الانطباع أن هذه المخططات لم تتعامل مع هذا التراث والثقافة كثروة مجتمعية مختلف أشكالها ومكوناتها، بل تم الاكتفاء بالتعامل معها بشكل فلكلوري على مدى عقود من البرامج التنموية المجربة بالمجال التي لم تراوح في مقاربتها تخصيص الاعتمادات لتقوية الجانب الاقتصادي وحسن تدبير خيرات المجال بشكل يغيب فيه عمق الإنسان المحلي وهويته وطباعه وحاجياته الاجتماعية. وهو ما يجعلنا نقر بتحقيق تنمية اقتصادية بعيدا عن الجوانب الثقافية والاجتماعية التي تعتبر صلب التنمية.

إن الرهان على التنمية الاقتصادية دون شراكة مع التنمية البشرية المحلية، ودون الارتكاز على المحددات الوجدانية والثقافية والوطنية، قد جعل المجال الصحراوي يعيش مفارقة صارخة حيث أن عملية تشييد المدن قد تمت على أنقاض المؤسسات التقليدية للمجتمع الصحراوي وأدى ذلك إلى غياب الروح في هذه المنشآت التي لم تحترم الخصوصيات المحلية، فالمغرب نجح بالفعل في تشييد مدن بالكامل بين الرمال إلا أنه فشل في تكوين الإنسان الصحراوي الوحدوي.

إذا كان التحول حتميا فإنه لا يجب أن يكون تحولا في اتجاه دفن الماضي وإقبار الخصوصية. لكنه يجب أن يعكس منظومة تطور أساسها الانتقال السلس من وضع إلى آخر، وكلاهما في خدمة الإنسان وحسن استثمار مجال الثقافة كي تبقى حية في مجال يشترط أن تكون فيه كل المخططات والبرامج



أشغال الطريق السريع تيزنيت - الداخلة

الجامعة بالصحراء من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذو جودة

♦ الدكتور مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية

هذا المسار. وفي البداية أود الانطلاق من منطوق الفصل 31 الذي ينص على حق الجميع في الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذو جودة، وبتفكيك عناصر هذا النص معجمياً نجد أنفسنا أمام ثلاثة مكونات للحق في التعليم، وهي أن يكون: عصرياً، وميسر الولوج، وذو جودة. والسؤال المطروح هل تحظى جهات الصحراء فعلاً بتعليم عالي عصري وميسر وذو جودة؟

إن إحداهن الجامعة بالصحراء بالجهات الصحراوية تجاوزت كونها مطلباً شعبياً لساكنة هذه الأقاليم لتضحي ضرورة حتمية، تتوقف عليها كل أورش التنوير والتنمية بالمنطقة، بما يحصن المكتسبات السابقة ويفتح آفاقاً جديدة على مستوى التنمية المستدامة والمندمجة، وعلى مستوى إصلاح هياكل الجهوية المتقدمة بالأقاليم الصحراوية باعتبارها ورشاً يتجاوز الترتيبات التقنية والإدارية، إلى مشروع مجتمعي رسخه دستور 2011 من الاستثمار الأمثل للمؤهلات والموارد الذاتية لكل جهة بالتركيز على الرأسمال البشري كحجر الزاوية في

مفهوم غطي عن دور المرأة ودور الرجل في جميع مراحل التعليم بجميع أشكاله، عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم التي تساعد في تحقيق هذا الهدف، ولاسيما عن طريق تنقيح كتب الدراسة والبرامج المدرسية وتكييف أساليب التعليم، والتساوي في فرص الحصول على المنح والإعانات الدراسية الأخرى. وفي بادرة تبرز أهمية الحق في التعليم أقر المجتمع الدولي عند تبنيه خطة التنمية المستدامة لعام 2030، بكون التعليم ضرورياً لنجاح جميع أهداف الخطة السبعة عشر، بما فيها الهدف الرابع الداعي إلى "ضمان توفير تعليم جيد وشامل وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع بحلول عام 2030. مما سبق نخلص إلى أن أهم القضايا التي وردت في النصوص الدولية هي:

1. إلزامية ومجانبة التعليم الأساسي.
2. إزالة أي نوع من التمييز في الوصول

ب. تعميم التعليم الثانوي بمختلف أنواعه، بما في ذلك التعليم الثانوي التقني والمهني، وجعله متاحاً للجميع بكافة الوسائل المناسبة ولاسيما بالأخذ تدريجياً بمجانبة التعليم.

ج. جعل التعليم العالي متاحاً للجميع على قدم المساواة، تبعاً للكفاءة، بكافة الوسائل المناسبة ولاسيما بالأخذ تدريجياً بمجانبة التعليم.

كما ورد ذكر الحق في التعليم في الكثير من المواثيق والعهود الدولية المعترف بها، مثل اتفاقية حقوق الطفل في المادة 28 وفي المادة 23 التي تتعلق بحقوق الطفل المعاق، كما ورد أيضاً في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في المادة رقم 10 التي تؤكد على ضرورة التساوي في المناهج الدراسية، وفي الامتحانات، وفي مستويات مؤهلات المدرسين، وفي نوعية المرافق والمعدات الدراسية؛ والقضاء على أي

التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة. أما العهد الدولي لحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فنص في المادة 13 على أنه "تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل فرد في التربية والتعليم، وهي متفقة على وجوب توجيه التربية والتعليم إلى الإيماء الكامل للشخصية الإنسانية والحس بكرامتها وإلى توطيد احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وهي متفقة كذلك على وجوب استهداف التربية والتعليم وتمكين كل شخص من الإسهام بدور نافع في مجتمع حر، وتوثيق أواصر التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم ومختلف الفئات السكانية أو الإثنية أو الدينية، ودعم الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة من أجل صيانة السلم. وتقر الدول الأطراف في هذا العهد بأن ضمان الممارسة التامة لهذا الحق يتطلب: أ. جعل التعليم الابتدائي إلزامياً وإتاحته مجاناً للجميع.



♦ الدكتور مولاي بوبكر حمداني

إن استقراء المواثيق والعهود الدولية والإقليمية؛ نجدها كلها تعتبر الحق في التعليم من الحقوق الأساسية، حيث تم النص عليه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي لحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وغيرها من مصادر القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان. بل لأهمية الحق في التعليم صارت معظم الحقوق الأخرى مرتبطة به في تعزيز التمتع بها، فبعدم وجود تعليم ميسر ومناسب لا يمكن للشخص معرفة باقي حقوقه الأخرى ولا أن يميز حالات انتهاكها ولا سبل الدفاع عنها، ولهذا السبب تم وضع مؤشرات لرصد الحق في التعليم والالتزامات الرسمية لكفالتة. وأنشئت الأمم المتحدة ولاية المقرر الخاص المعني بالحق في التعليم لمعالجة هذه القضايا البالغة الأهمية ورفع توصيات إلى الحكومات وغيرها من الجهات المعنية. وقد تم تعيين السيدة كومبو بولي باري في العام 2016، وهي رابع مكلّف بالولاية منذ تأسيسها في العام 1998. وبمنظرة أكثر تفصيلاً للمواثيق والعهود الدولية والإقليمية، نجد التنصيص على الحق في التعليم ورد بداية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 دجنبر 1948، وذلك في المادة السادسة والعشرين التي نصت على أنه: "لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة



الجامعة بالصحراء من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذو جودة

♦ الدكتور مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية

التعليم. **إمكانية الالتحاق**، والمقصود هو أن يكون النظام التعليمي غير متحيز ومتاح للجميع، وأن تتخذ خطوات إيجابية لتضمين أكثر الفئات تهميشا.

إمكانية القبول، بمعنى أن يكون محتوى التعليم وثيق الصلة بالموضوع وغير متحيز ومناسب ثقافيا، وذو جودة عالية، وأن تكون المدارس آمنة والمعلمين مهنيين.

قابلية التكيف، والمقصود هو أن يتطور التعليم مع احتياجات المجتمع المتغيرة وأن يتصدى لعدم المساواة، مثل التمييز بين الجنسين؛ وأن يتكيف التعليم ليناسب احتياجات وسياقات محددة محليا.

وفي تطبيقها هذه السمات على حالة الأقاليم الصحراوية نجد أنه بقدر ما اعتبر مطلب إحداث جامعة بالجهات الصحراوية مطلبا للنخب الصحراوية في مرحلة من المراحل إلا أننا اليوم نلاحظ تحوله الى مطلب شعبي لكل الساكنة ويلعب المجتمع المدني دورا حاسما في تعزيز الحق في التعليم ومساءلة الدولة عن الإيفاء

قدم المساواة، من الحق في الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذو جودة" كما نصت مقتضيات الفصل 31 من الدستور المغربي.

إلا أن المدخل التشريعي لا يحقق المرامي إذا ما لم يقترن بالتنزيل السليم، وفي نوع من دراسة الحالة نحاول التساؤل في المحور الثاني حول التعليم العالي بالأقاليم الصحراوية من ناحية الواقعية الى أي حد هو ميسر وذو جودة؟

في البداية ننطلق من تعريف كاتارينا توماشيفسكي، أول مقرر خاص معني بالحق في التعليم للأمم المتحدة، حيث طرحت سمات أربعة وهي التي اعتمدها اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تعليقها العام رقم 13 بشأن الحق في التعليم (الفقرة 6)، مؤكدة أنه يجب أن تكون هذه السمات المترابطة والأساسية موجودة في التعليم بجميع أشكاله وعلى جميع المستويات ليكون التعليم حقا فعليا، وهذه السمات هي:

التوافر، بمعنى أن يكون التعليم مجانيا وأن توجد بنية تحتية كافية ومعلمين مؤهلين قادرين على دعم تقديم الخدمات

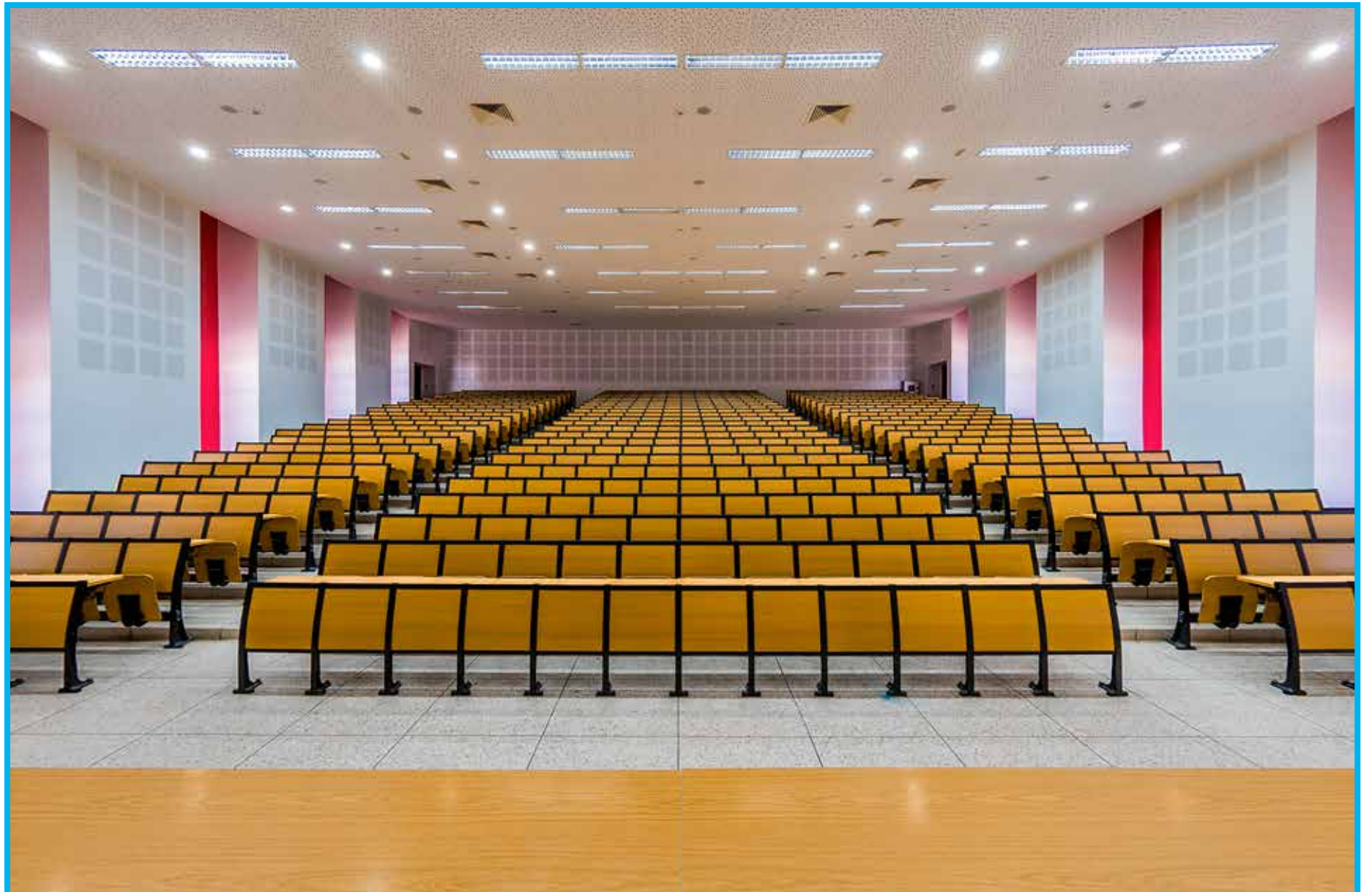
الدورة التشريعية الخريفية لسنة 2014. وبالعودة الى القانون رقم 01.00 المتعلق بتنظيم التعليم العالي نجده ينص على أن التعليم العالي "يفتح في وجه جميع المواطنين المتوفرين على الشروط المطلوبة على أساس تكافؤ الفرص"، ولا بد من التذكير في هذا الصدد بالتوجهات الواردة في البرنامج الحكومي الرامية الى تقريب المؤسسات الجامعية من الطلبة على المستوى الجهوي، في إطار عدالة مجالية ولو في ظل الاختلالات المطروحة، علاوة على مراجعة الترسانة القانونية للقطاع بإشراك كل المتدخلين والأساتذة الباحثين. يتبين من القراءة المتأنية لهذه التشريعات التزام المغرب بحماية منظومتي حقوق الانسان والقانون الدولي الإنساني والنهوض بهما، وبالطابع الكوني لجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية وعدم قابليتها للتجزئة أو التصرف وضرورة ضمان تمتع كل الأفراد بهذه الحقوق بشكل كامل ودون تمييز، مع ترتيب «مسؤولية الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات، على

للتعليم على أساس الدين أو الجنس أو اللون أو العرق. جعل التعليم العالي ممكنا بقدر من العدالة والمساواة.

4. نوعية تعليم جيد تلائم روح العصر وتراعي معايير حقوق الإنسان ومبادئ العدل والسلم. أما فيما يخص المنظومة الوطنية المؤطرة للحق في التعليم:

فقد وردت في عدة فصول من دستور 2011 بما يتلاءم تماما مع الاتفاقيات الدولية السافلة الذكر، حيث تم التنصيص على هذا الحق في التصدير والفصول: 5، 18، 19، 25، 26، 31، 32، 33، 34، 35، 71، 159، 160، 163، 168، 169. كما ورد الحق في التعليم بصريح العبارة في فصلين هما: الفصل 31 الذي ينص على العمل لضمان «الحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذو جودة»، والفصل 32 الذي يقر بأن " التعليم الأساسي حق للطفل وواجب على الأسرة والدولة".

كما ورد الحق في التعليم بالخطب الملكية، خصوص خطابي ذكرى ثورة الملك والشعب لسنتي 2012 و2013، وخطاب افتتاح



الجامعة بالصحراء من أجل توفير تعليم عالي ميسر وذو جودة

♦ الدكتور مولاي بوبكر حمداني - رئيس مركز التفكير الاستراتيجي والدفاع عن الديمقراطية

عالي لهم ميسر وذو جودة. من خلال هذه المعطيات والمؤشرات أصبح مطلب توسيع النواة الجامعية بمدينة العيون واقعا بشكل كبير، بالنظر لتوفرها على بنىات تحتية من طرقات ونقل حضري ومطار وميناء... وموارد بشرية مؤهلة تتجاوز مائة دكتور في مختلف التخصصات، إلى جانب توفرها على أكبر نسبة من التلاميذ بـ 62%، مقابل 19.9% بإقليم السمارة و15% بإقليم بوجدور و2.9% بإقليم طرفاية، موزعة نسبهم حسب المستوى الدراسي إلى 31% يدرسون بالجدع المشترك، و34.4% يدرسون بالسنة الأولى بكالوريا و34.4% يتابعون دراستهم بالسنة الثانية بكالوريا. في حين بلغ عدد التلاميذ الذين يتابعون دراستهم في التعليم الثانوي التأهيلي الخاص بهذا المستوى 1462 تلميذا تشكل الإناث منهم حوالي 40%.

وتجدر الإشارة إلى أن الأقاليم الجنوبية بالجهات الثلاث العيون الساقية الحمراء والداخلية وادي الذهب وكلميم طانطان، والتي تشكل 59 بالمائة من التراب الوطني من حيث المساحة، لا تزال لا تتوفر على جامعة، وتتبع حاليا لنفوذ جامعة ابن زهر التي تعد أكبر جامعة من حيث شساعة الحيز الجغرافي الذي تغطيه، والممتد من الجنوب الشرقي إلى الأقاليم الجنوبية للمغرب بستة عشر مؤسسة جامعية موزعة على ثمانية مدن جامعية تنتمي إلى خمس جهات، تستقطب منها ما يفوق 120 ألف طالب، حيث صار من الضروري تخفيف العبء عنها بإحداث جامعة بجهة العيون الساقية الحمراء باعتبارها قطبا اقتصاديا متنوعا، ومركزا إداريا متكاملا، دعم مكانته تنزيل الجهوية المتقدمة والنموذج التنموي للأقاليم الجنوبية ليتطور إلى مدار محوري يربط المغرب ببلدان إفريقيا.

من هنا نخلص إلى أن الاستحقاقات الكبرى التي ستقبل عليها المنطقة في أفق تنزيل الحكم الذاتي تستدعي لامحالة إحداث جامعة شاملة ومتكاملة لتوفير تعليم عالي وذو جودة بشكل عام، لتشجيع أبناء الأقاليم الصحراوية على الولوع للتعليم العالي على أساس تكافؤ الفرص، والإنصاف والعدالة المجالين، وضمانا للنجاحة في التحصيل الدراسي وتقليص الفوارق بين المؤسسات الجامعية ضمن عدالة مجالية طموحة، كما سيشكل مساهمة جوهرية لتدارك الهدر المدرسي والحرمان من التعليم العالي خاصة في صفوف الفتيات والنساء.

الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014، نجده بلغ 367758 نسمة، يتمركز أغلبهم بالوسط الحضري، ومعدل التمدين فيهم خلال نفس السنة يقدر بـ 94% مقابل 56,8% على المستوى الوطني. في أربعة أقاليم هي العيون، طرفاية، بوجدور، والسمارة، و20 جماعة محلية من ضمنها خمس بلديات؛ هذا التطور ملحوظ لسكان الجهة خلال العقدين الأخيرين، دون مواكبته بالبنى التحتية المناسبة في مجال التعليم العالي، حيث انتقل من 215395 نسمة سنة 1994 إلى 316578 نسمة سنة 2004 بنسبة زيادة إجمالية قدرها 47%، ليبلغ 367758 نسمة خلال سنة 2014، مسجلا نسبة زيادة إجمالية قدرها 16.16%؛ والنتائج المستقاة من الإسقاطات الديموغرافية تبين أن عدد سكان الجهة بلغ سنة 2016 حوالي 372 ألف نسمة، وسيطور هذا العدد إلى 456 ألف نسمة في أفق سنة 2030؛ مما سينعكس سلبا بسبب غياب الجامعة من حيث ارتفاع معدل الأمية بجهة العيون الساقية الحمراء تصاعديا حسب الفئات العمرية، والذي انتقل من 1.69% عند أصغر فئة عمرية (10-14 سنة) ليصل ذروته عند السكان البالغين 50 سنة فما فوق (55.2%)، ويتجاوز معدل الأمية 29% عند السكان الذين تتجاوز أعمارهم 35 سنة.

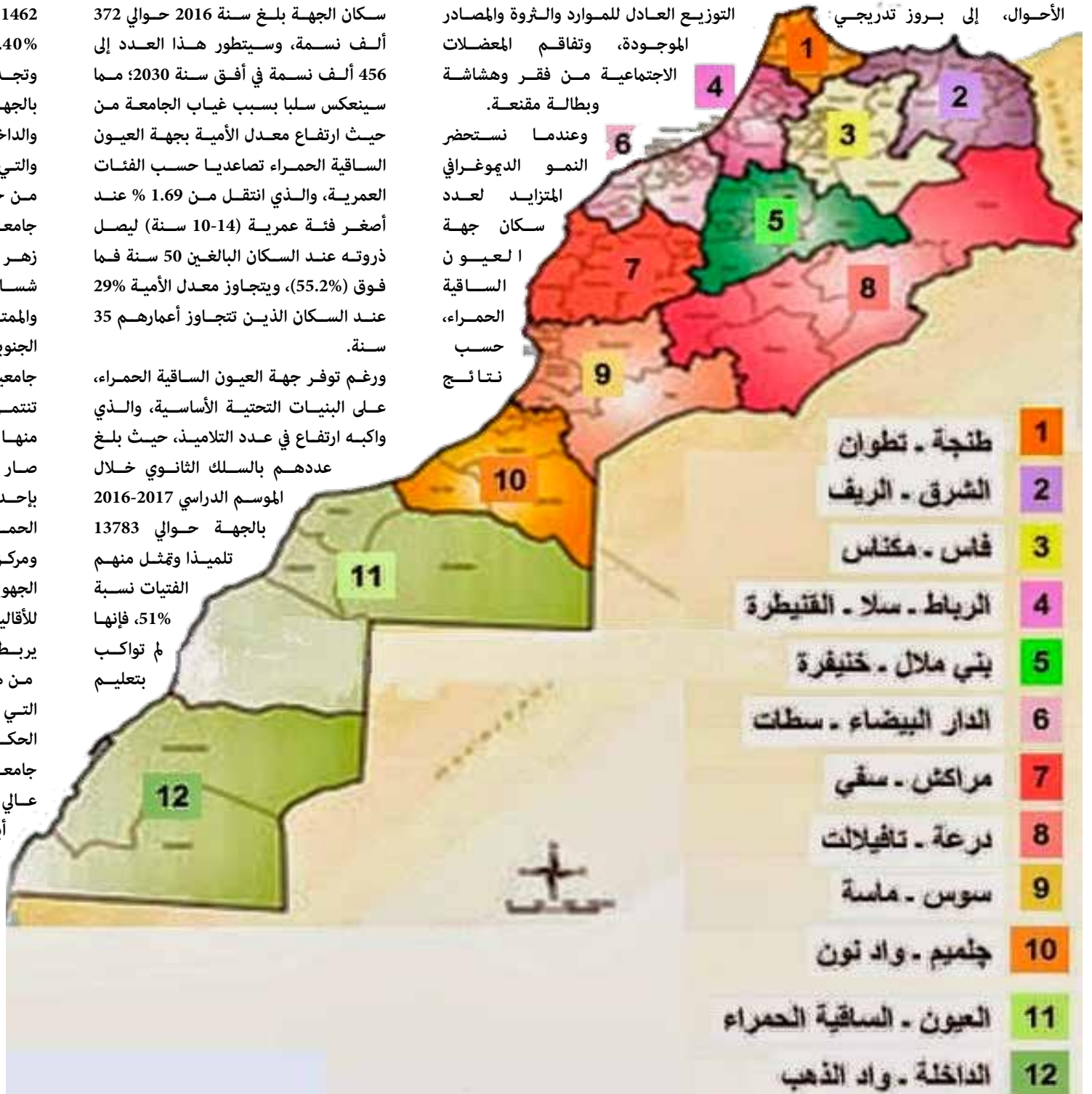
ورغم توفر جهة العيون الساقية الحمراء، على البنىات التحتية الأساسية، والذي واكبه ارتفاع في عدد التلاميذ، حيث بلغ عددهم بالسلك الثانوي خلال الموسم الدراسي 2016-2017 بالجهة حوالي 13783 تلميذا وقمشل منهم الفتيات نسبة 51%، فإنها لم تواكب بتعليم

لنخب قادرة على تطوير الأداء المؤسسي وتعميق المسار التنموي والتحفيز على المشاركة الواسعة في صنع القرارات، والاستجابة للطلبات المتجددة للمحيط المجتمعي، كما أدت إلى تغيير إيجابي في أنماط التنشئة السياسية وتحول أنماط الوعي، بشكل جعل الاهتمام بالقضايا المجتمعية الملموسة مقياسا أساسيا في كل تقييم للأداء العمومي.

وبالحديث عن دور الجامعة، نجدها تكتسي أهمية بالغة في مواجهة التحديات الدولية المعاصرة، والتي أشير سلفا إلى بعضها، كالأزمات الاقتصادية والتخبط السياسي، والانهايات الأخلاقية والقانونية، وكذا غياب النزاهة والشفافية وشيوع الفساد وهدر المال العام، بالإضافة إلى تراجع مقولات الحكامة والحكم الرشيد، وغياب التوزيع العادل للموارد والثروة والمصادر الموجودة، وتفاقم المعضلات الاجتماعية من فقر وهشاشة وبطالة مقنعة.

وعندما نستحضر النمو الديموغرافي المتزايد لعدد سكان جهة العيون الساقية الحمراء، حسب نتائج

بالتزاماتها به ما يتلاءم مع المعايير المعترف بها عالميا في حقوق الإنسان. ويستفاد من مختلف تجارب البلدان التي اعتمدت الخيار الجهوي، كإحدى أسس التدبير والتسيير، ورسخته في نسيجها المؤسسي، أن هذا التوجه لا يستقيم بدون وجود الجامعة باعتبارها آلية لإنتاج القيم الفكرية والمجتمعية وتجديدها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ودورها في إعداد القيادات السياسية، وقادة المجتمع المدني وكذا زعماء الأحزاب السياسية وجماعات الضغط والمصالح وأطر الشركات، بالإضافة إلى تأهيل الموارد والكوادر البشرية المؤهلة. كما يظهر من مختلف التجارب الناجحة أيضا أنه، وبصرف النظر عن نوعية السياقات الوطنية التي طبعت عمليات البناء الجهوي، فإن الجامعة أدت في كل الأحوال، إلى بروز تدريجي



نزاع الصحراء ومسئول المفاوضات

الأطراف المعنية - المغرب وجبهة البوليساريو والجزائر وموريتانيا - وهو ما لم يرقم به المبعوثون السابقون، وكان ذلك بمثابة خطوة حديثة من نوعها حيث كان لكل من موريتانيا والجزائر دور المراقب فقط. وشهدت هذه المرحلة إصرار المغرب الصريح على مقترحه المتمثل في إقامة حكم ذاتي موسع بالصحراء، وأنه لا يمكن تقديم تنازلات في هذا الملف أكثر من ذلك، كان كوهلر ملزما أن يصوّب جهوده نحو جبهة البوليساريو والجزائر، لعلهما يقدمان بعض التنازلات لتحريك الجمود في الملف، وهو ما فشل فيه، ليقدّم استقالته في ماي 2019 لأسباب صحية.

وفي سنوات هذا النزاع عرف المغرب تطورات عميقة مع العهد الجديد على كل من المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية من قبيل دستور 2011 وإطلاق سلسلة من الأوراش الكبرى، كما عرفت بلدان الجوار والعالم العربي تغيير الأنظمة (ليبيا والجزائر ومالي...)، وفي النهاية يبقى ملف الصحراء شائكا على اعتبار موقع الصحراء الذي كلما تأخر حله استدامت معه عقد المنطقة..

لدى المحافل الدولية حلا معقولا وذا قابلية للتطبيق.. الخروج من الجمود..

تعيش قضية الصحراء حالة جمود طالبت مدته في ظل إقليم متململ وعالم يعرف تحولات عميقة، ولأن بقاء الحال من المحال، لابد من مغادرة مربع الجمود هذا، بحل هذا الصراع الذي يمثل تحديا قاريا وجهويا كبيرا، وتمثل هذه القضية ثقلا بالنسبة للأطراف يتجلى في تأخر انطلاق الأوراش التنموية الكبرى بالمغرب. أما بالجزائر فقد ظهر هذا الثقل بشكل جلي في الحراك السياسي الذي طالب بفصل مشكل الصحراء عن المشكل القائم بين المغرب والجزائر، والمتمثل في إغلاق الحدود بينهما، كما أن قضية الصحراء تقف عائقا دون تغلب الإقليم على عدة تحديات منها الهجرة والإرهاب وحرب العصابات..

في أغسطس 2017 تم تعيين هورست كوهلر كمبعوث أممي جديد للمنطقة وهو رئيس ألماني سابق عرف بنجاحاته المتعددة في حل النزاعات السياسية، بدأ هذا الأخير بجولاته التفاوضية حول قضية الصراع بجمعه كل

أمميا شكل محوره الأول وقف إطلاق النار في سبتمبر 1991، وهو نقطة تحول عميق. ولسنوات حاولت الأمم المتحدة إنجاز خطتها بتنظيم استفتاء يقرر مصير الإقليم فلم تفلح، وعدا تثبيت وإدامة وقف إطلاق النار، لم تتجاوز الهيئة الأممية مستوى تحديد الهوية، ليدخل الوضع بالصحراء حالة جمود دامت سنين عديدة.

في سنة 1997 عين جيمس بيكر مبعوثا لهيئة الأمم المتحدة بالصحراء، وهو المحامي والسياسي الأمريكي المحنك، حيث جال بالمنطقة والتقى كل الأطراف المعنية بالصراع، قدم اقتراحا جريئا تمثل في منح الإقليم وضعاً دون الدولة وأكثر من مجرد الضم، غير أن ما يحسب له هو منهجية العمل التي انبنت على المفاوضات غير المباشرة بين الأطراف والبحث عن حل في إطار معادلة رابح/رابح، سيشكل نهجه وإطاره العام للحل مرجعية لمن سيعقبه من ممثلين للأمم العام، غير أن الجمود ولغة الرفض ظلت مهيمنة لتشمل كل مبعوث آخر في ملف الصحراء. تقدم المغرب خطوة إلى الأمام واقترح مبادرة الحكم الذاتي التي لقيت قبولا دوليا واسعا، واعتبرت



♦ فاطمة الأكلح

خريجة المعهد العالي للصحافة والإعلام

وقف إطلاق النار.. نقطة التحول..

دام الصراع المسلح بين المغرب وجبهة البوليساريو زهاء عقدين من الزمن، حصد آلاف الأرواح وأخر مسلسل التنمية في البلد، وبعد جهود حثيثة قبل الطرفان مخططا

ممر الكركرات الاستراتيجي.. مستجدات الوضع



♦ مصطفى سلمة ولد مولود ناشط حقوقي

ومعتقل سابق لدى البوليساريو

تنصح قيادات البوليساريو بالتخفيف من استفزازاتهم في منطقة الكركرات، و تحاول أن تصل معهم إلى تفاهات بهذا الشأن من خلال سلسلة اجتماعات أمنية متواصلة منذ فترة. وبالمحصلة يكون المغرب بفضل دبلوماسيته الهادئة، واشتغاله على مستوى الهيئات الدولية وكسبه موريتانيا التي باتت مصالحها مهددة في صفه، وهاته المعادلة قد أخرجت الكركرات من دائرة المزايدات، و لم يبق لقيادة البوليساريو التي أصبحت بحكم الواقع من أكبر المتضررين من الاستفزازات في معبر الكركرات، غير التباكي على أرفصة الأمم المتحدة، والتعلق بأوهام تحرير لم يعد ينسجم مع واقع 2020، تظهر الصورة بجلاء كم هو مكسب المغرب كبير من مد الحزام الدفاعي 5 كيلومترات ليصل الحدود

سنة 1979 وقعت موريتانيا التي كانت تربطها اتفاقية دفاع مشترك مع المغرب، اتفاق سلام مع جبهة البوليساريو من ضمن بنوده غير المعلنة تسليم إقليم وادي الذهب الذي كانت تديره موريتانيا وقتها لجبهة البوليساريو. بعد أسبوع من الاتفاق علم المغرب بتفاصيله، وبادر إلى ضم إقليم وادي الذهب بالقوة قبل حتى أن تنسحب منه موريتانيا. وتطرح قضية الكركرات حاليا إشكالية مشابهة لما وقع سنة 1979. فموريتانيا التي جعل منها اتفاق وقف إطلاق النار مراقبا للشريط الساحلي الصحراوي من منطقة الكركرات إلى نواذيبو، وبحكم أن مدينة نواذيبو هي العاصمة الاقتصادية لموريتانيا، حيث يتواجد ميناء لتصدير الحديد وأغلب قطاع الصيد البحري الموريطاني (صيد، تصدير، صناعة)، لا تريد موريتانيا أي توتر في المنطقة، ولا يخدمها وجود منافس قوي بالمغرب في منطقة لكويرة التي تتقاسم نفس البقعة الجغرافية مع مدينة نواذيبو. المغرب لم يعد صورا أمام استفزازات البوليساريو المتكررة في منطقة الكركرات وما تشكله من تعطيل للمصالح. وقد نجح بفضل صبره في كسب المجتمع الدولي إلى صفه في هذه القضية. وصار التنصيص على احترام حرية الحركة في الكركرات من صلب تقارير الأمين العام للأمم المتحدة وقرارات مجلس الأم. حيث أصبح استمرار البوليساريو وأنصارها في غلق المعبر بين الفينة والأخرى خرقا للقرارات الدولية ذات الصلة بنزاع الصحراء، و يعطي المبرر للمغرب لتمديد الجدار الدفاعي مسافة 5 كيلومترات ليصل الحدود الموريطانية، وبالتالي إحكام سلطته على كامل الشريط الساحلي من طنجة إلى لكويرة، فخطوة ضم كامل منطقة الكركرات إلى المغرب بالنسبة للبوليساريو تعني النهاية. لكن حليفها الجزائر غير جاهزة لتمويل حرب في الظرف الراهن ولا يخدمها اشتعال فتيل في غربها مع الحرب في ليبيا و التوتر في مالي. والمغرب قادر على تحمل تبعات الكلفة الدولية مؤقتا إن أدمت على مثل هذه الخطوة. و لا ينقصها سوى دعم الحليف الفرنسي الذي يلعب حاليا دور الحكم بينها وبين موريتانيا حتى لا تتعارض مصالح البلدين الحليفين لفرنسا في شمال إفريقيا ومنطقة الساحل. موريتانيا مجبرة لحماية مصالحها على أن تلعب دور رجل المطافئ بين استفزازات البوليساريو وحزم المغرب ونفاذ صبره، لذلك تجدها



الموريطانية، فسيصل بين طنجة ولكويرة عبر شريط ساحلي طويل غني بالأسماك، وستكون له اليد الطولى في موانئ غرب إفريقيا. على عكس موريتانيا التي سيتضرر اقتصادها محاصرة ميناء نواذيبو، ومشاركتها في الثروة السمكية في المنطقة التي كانت تستغلها منفردة. وسيحصل معها ما حصل مع سبتة و مليلية بعدما وسع المغرب ميناء طنجة المتوسطي. والبوليساريو والجزائر بالتأكيد آخر ما يتمنون أن يحجب عنهم الحزام الدفاعي المغربي رياح المحيط الأطلسي.

لازالت دار لقمان بقصر المرادية على حالها

♦ لحسن أوسي موح



♦ لحسن أوسي موح

مرت لحد الآن حوالي أربعة عقود على اندلاع النزاع المفتعل في الصحراء المغربية، ورغم التغيرات التي شهدتها العالم والمنطقة المغربية، لا تزال بعض الأنظمة ومنها الجارة الشرقية الجزائر تؤيد انفصاليي

البوليساريو وترفض الاعتراف بالوحدة الترابية للمغرب، بمبررات تفتقد لأساس تاريخي وقانوني وسياسي، وهو ما تسبب في استمرار مآسي مخيمات تندوف وفي استمرار توتر العلاقات بين الجزائر والمغرب، بل أيضا في شل الوحدة المغربية

السند المؤسس لمغربية الصحراء

في مقابل أطروحات البوليساريو المبنية على أسس واهية من قبيل "تقرير مصير الشعب الصحراوي" و"تصنيف الاستعمار"، يواصل المغرب في كل المنتديات الدولية التأكيد على الأسس التاريخية والقانونية والأبعاد السياسية لمغربية الصحراء، بالتركيز على أن قضية الصحراء تتعلق بالوحدة الترابية والسيادة الوطنية للمغرب، لا بتصنيف الاستعمار، وأنها لا ترجع إلى سنة 1963 أو 1975، كما تحاول الجزائر الإحياء بذلك، ولكنها متجذرة في تاريخ المغرب وهويته،

فقبل الاستعمار الإسباني للصحراء في أواخر القرن التاسع عشر، لم تكن هذه المنطقة أبدا أرضا خلاء، وشكلت على الدوام جزءا لا يتجزأ من التراب الوطني للمغرب، وهو ما أكدته الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية لسنة 1975 الذي أقر بوجود روابط البيعة بين سكان الصحراء وملوك المغرب وبسلطة المغاربة على هذه المنطقة، وكذا روابط البيعة مع السلطة المركزية للمغرب.

وحتى قبل تأسيس جبهة البوليساريو، فالمغرب وليس الجزائر أو أي بلد آخر، هو الذي أدرج قضية الصحراء في الأمم المتحدة سنة 1963 باعتبارها جزءا من أراضيه، حين كانت لا تزال خاضعة للاحتلال الإسباني على أساس أنها من الأقاليم غير المستقلة. وعندما انضم المغرب إلى منظمة الوحدة الأفريقية في نفس العام، كان الوحيد الذي عبر عن تحفظاته على مبدأ عدم المساس بالحدود الموروثة عن الحقبة الاستعمارية اقتناعا منه بشرعية مطلبه حول أراضي الصحراء.

ومنذ ذلك التاريخ، فان قرارات الأمم المتحدة، طلبت من إسبانيا تسليم الصحراء للمغرب من خلال التفاوض، وهو ما تحقق من خلال توقيع اتفاق مدريد سنة 1975 الذي تم إيداعه لدى الأمين العام للأمم المتحدة وأقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة متوجة بشكل نهائي عودة الصحراء إلى الوطن الأم، المغرب.

ولحد الآن تتجاهل الجزائر الاتفاق الإطار لسنة 2001، وعرض الرئيس الجزائري السابق سنة 2001 على المبعوث الشخصي آنذاك مقترحا جزائريا بشأن تقسيم الصحراء كصيغة للحل وهو ما رفضه المغرب بشدة. ذلك ما واجه به ممثل السفير عمر هلال ممثل الجزائر في لقاء اللجنة الرابعة للأمم المتحدة حين تسأل: "أين هو مبدأ تقرير المصير؟ وبأي حق يمكن أن تقترح دولة ما تقسيم دولة أخرى؟ وبأي حق يمكنها أن تقترح تقسيم السكان؟ لقد رد المغرب بأن هناك ساكنة واحدة

متواجدة في الإقليم: ساكنة صحراوية مغربية، ولن يقبل المغرب أبدا تقسيمه بدعوى إيجاد حل."

وعقب فشل جميع المخططات السابقة واستجابة لدعوة مجلس الأمن والمجتمع الدولي، تقدم المغرب في أبريل 2007 بمبادرة الحكم الذاتي من أجل تسوية نهائية للنزاع وهي المبادرة التي تم تكريسها في جميع قرارات المجلس منذ عرضها ووصفت ب "الجديّة" و"ذات المصادقية".

ويشدد الاتجاه في المغرب على الالتزام بإيجاد حل نهائي في إطار وحدته الترابية وسيادته الوطنية، وهو ما أكدته المغرب، أمام الدورة الخامسة والسبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، بإشارته أن المغرب يلتزم بالمبادئ المكرسة في ميثاق الأمم المتحدة المتعلقة بالتسوية السلمية للنزاعات، واحترام السيادة الوطنية للدول ووحدتها الترابية، وأن البحث عن حل سياسي نهائي ينبغي أن يندرج في إطار معايير أربعة أساسية: أولا السيادة الكاملة للمغرب على صحرائه ومبادرة الحكم الذاتي كحل وحيد لحل النزاع المفتعل. وثانيا، المشاركة الكاملة لجميع الأطراف في البحث عن حل نهائي لهذا النزاع المفتعل. وثالثا، الاحترام التام للمبادئ والمعايير التي كرسها مجلس الأمن في جميع قراراته منذ 2007، والمتمثلة في أن الحل لا يمكن إلا أن يكون سياسيا وواقعيا وعمليا ودائما ومبنيا على أساس التوافق. ورابعا، رفض أي اقتراح متجاوز والذي أكد الأمين العام للأمم المتحدة ومجلس الأمن منذ أكثر من عشرين سنة بطلانه وعدم قابليته للتطبيق والهادف إلى إخراج المسلسل السياسي الحالي عن المعايير المرجعية التي حددها مجلس الأمن. وقد استوعب مجلس الأمن أن هذه العملية هي الطريق الوحيد لحل سياسي واقعي وعملي ودائم وقائم على أساس التوافق لإيجاد حل لهذا النزاع الإقليمي".



البوليساريو صنيعة الجزائر وسبب التوتر مع المغرب

تتحمل الجارة الشرقية الجزائر المسؤولية في نشأة النزاع الإقليمي بالصحراء وإطالة أمده، فالجزائر هي التي أوجدت "البوليساريو"، والجزائر هي التي تستضيفها وتمنحها عمليا أرضا خارج السيادة في مخيمات تندوف، والجزائر هي التي تسلحها، والجزائر هي التي تنفذ الحملات الدبلوماسية، وهي التي تدفع الأموال لـ "ديبلوماسيات أندنياندن"، وهي مجموعة ضغط تتولى صياغة المذكرات والقيام بحملات لفائدة "البوليساريو"، ونشر التغريدات، ولذلك فإن قرار مجلس الأمن 2468، المعتمد في 30 أبريل 2019، أتى على ذكر الجزائر أكثر من المغرب، وهو ما يجعل هذه الأخيرة تتحمل قسطا كبيرا من المسؤولية التي تم الإقرار بها وتسجيلها من خلال تواجدها في اجتماعي المائدة المستديرة بجنيف، لكل ذلك فان مجلس الأمن حدد الأطراف الحقيقية المعنية بهذا النزاع، وهي المغرب والجزائر وموريطانيا

و"البوليساريو، وهي الأطراف التي شاركت في الموائد المستديرة بجنيف .

وقد أعاد تصريح الرئيس الجزائري الجديد عبد المجيد تبون العلاقات المغربية إلى سالف عهدا، ليؤكد بالملحوس أن قادة الجارة الشرقية يصرون على عدم طي صفحة الأمس، ورفض فتح صفحة جديدة لمستقبل واعد للعلاقات بين البلدين فالرئيس الجديد، ردد نفس محددات العقيدة السياسية لحكام الجزائر والمعادية للوحدة الترابية للمغرب، وذلك بإصراره على التأكيد كما قال أن "مسألة الصحراء الغربية هي مسألة تصفية استعمار وهي قضية بيد الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي"، رغم أن نزاع الصحراء ليس تصفية استعمار بعد أن استعادتها المغرب من الإسبان، وهو ملف معروض على مجلس الأمن الدولي وليس اللجنة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، ولا علاقة للاتحاد الإفريقي بمسار التسوية الأممي.

الحاكم الجديد لقصر المرادية لن يزيغ عن العقيدة السياسية للمؤسسة العسكرية بلده والمعادية للوحدة الترابية للمغرب. وكل ذلك رغم كل التغيرات التي شهدتها بلدان المنطقة بعد ربيع الحراك.

إن "قضية الصحراء المغربية ابتدأت مع الجزائر لذلك يجب أن تنتهي مع هذه الجارة الشرقية التي غيرت في كل شيء، إلا عداها للوحدة الترابية للمغرب وقضية الصحراء المغربية، وقد جددت الرسالة الملكية إلى الرئيس الجديد الدعوة إلى إعادة بناء الثقة وعلاقات تعاون بين البلدين، دون جدوى.

إنها ذات اليد الممدودة بمناسبة الذكرى 43 لخطاب المسيرة الخضراء، حين دعا الملك قادة الجزائر إلى حوار صريح وواضح لتجاوز كل الخلافات واقتراح تشكيل لجنة للحوار لتجاوز الجمود مع الجارة الجزائر، لكن الجزائر تجاهلت المبادرة المغربية. وحين دعت الجزائر إلى عقد اجتماع لوزراء خارجية الاتحاد المغاربي، لم يتردد وزير الخارجية المغربي في التأكيد على أن المغرب "ظل متمسكا باستئناف البناء المغاربي، لكن أكد أننا نظل منفتحين ومنصتين لجميع اقتراحات الجزائر فيما يخص مستوى الحوار الثنائي، ومحاوره، وجدول أعماله، وطبيعته ووتيرته"، كما جدد طلب المغرب للسلطات الجزائرية، لتعلن، رسميا، عن ردها على مبادرة المغرب لإحداث آلية سياسية مشتركة للحوار والتشاور".

ليس ذلك فقط، فقد رفضت الجزائر مقترحا مغربيا للمشاركة بشكل ايجابي في مفاوضات تسوية النزاع مع "جبهة البوليساريو"، مبرر "ثبات موقفها الداعم لنضال الشعب الصحراوي"، باعتبارها مسألة "تصنيف استعمار في عهدة الأمم المتحدة".

لقد كان وزير الخارجية المغربي، صريحا حين اعتبر أن من واجب الجزائر التدخل في مسار تسوية النزاع "ولم يتردد في اتهامها " بدعم واحتضان "جبهة البوليساريو". كما أن الرسالة الخطية من الملك التي سلمها إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس إبان أزمة الكركرات كانت أوضح حين قالت أن "الجزائر تتحمل مسؤولية صارخة. الجزائر هي التي تقول، وهي التي تحتضن وتساند وتقدم دعمها الدبلوماسي للبوليساريو". وأضاف وزير الخارجية أن "المغرب طالب، ويطلب دوماً، بأن تشارك الجزائر في المسلسل السياسي، وأن تتحمل المسؤولية الكاملة في البحث عن الحل، وأن تلعب دوراً على قدر مسؤوليتها في نشأة وتطور هذا النزاع الإقليمي". لكن الجارة الشرقية تفضل سياسة الآذان الصماء وتدعي الحياد رغم أنها متورطة حتى أخصم القدمين في نزاع يعاني منه آلاف المحتجزين بمخيمات تندوف، بل يهدد الأمن والاستقرار في المنطقة كلها. وهو ما لن يتغير في عهد الوافد الجديد على قصر المرادية.

من تفاعلات قضية الصحراء بإسبانيا

مدريد تنزع الغطاء السياسي والدبلوماسي عن جبهة البوليساريو

♦ الحسين فاتش - إسبانيا



♦ الحسين فاتش

إعلام جبهة البوليساريو في إسبانيا ينشر منذ مدة مقالات تهاجم الحكومة الإسبانية التي يتزعمها بيدرو سانشيز، بأسلوب غاضب متشكي وبنبرة تنضح تذمرا، مما أصبحت تعكسه سياسات الحكومة الإسبانية من مؤشرات ورسائل قوية تذهب جميعها في اتجاه حدوث تغيير عميق في موقف هذه الخيرة من قضية الصحراء، كما أبانت العديد من الوقائع بالملحوس عن حقيقة أن العلاقات بين هذه الأخيرة وبين جبهة البوليساريو لم تعد على نفس الدفء الذي ظلت قائمة عليه

طيلة الأربعة عقود ونيف التي عمرها نزاع الصحراء، وهو تحول يؤشر على أن مدريد لم تعد مصدرا لمد حركة الانفصال بالدعم المطلوب ونفس التعاطف السابقين اللذين حظيت بهما البوليساريو، وذلك منذ أن انسحب الجيش الإسباني من أراضي الصحراء عام 1975.

فأولى الرسائل التي تلقتها جبهة البوليساريو من حكومة بيدرو سانشيز، عكسها تصريح له أكد فيه عن تأييده التام للحل السياسي لنزاع الصحراء وفق مبادرة الحكم الذاتي، مما حذا بالأبواق العالمية لجبهة البوليساريو مهاجمة سياسة رئيس الحكومة الإسبانية وقائد حزب سياسي مرموق سبق لأحد زعمائه المرموقين فيليبسي كونزاليس أن ذهب إلى أبعد حد في دعمه لحركة الانفصال في الصحراء، باستقباله لمحمد عبد العزيز زعيم ومؤسس جبهة البوليساريو، والذي وافته المنية في السنوات الأخيرة.

البوليساريو تؤاخذ على رئيس الحكومة وعلى الدولة الإسبانية ما سمته عدم وفائها بدينها التاريخي والتوصل من مسؤولياتها الإنسانية تجاه الشعب الصحراوي.. لكن الضربة الموجهة الأخرى التي تلقتها جبهة البوليساريو في ظل حكومة ائتلاف اليسار جاءت على يد الدائرة الأولى للمحكمة العليا الإسبانية، والتي اعتبرت في منطوق الحكم عدد 207/2020 الذي أصدرته بتاريخ 29 ماي الأخير أن الصحراء الغربية لا يمكن اعتبارها أرضا إسبانية، لكي يحصل ساكنوها على الجنسية الإسبانية وفقا للمادة 17/1 ج التي تشترط أن تكون قد ولدت بإسبانيا لكي تتقدم بطلب الحصول على الجنسية الإسبانية. هذا الحكم القضائي سبقه قرار آخر أصدرته المحكمة العليا الإسبانية قضى بمنع رفع علم البوليساريو في الفضاءات العامة وفوق المباني الحكومية، لأن رفعه يضيف منطوق الحكم لا يتوافق مع الإطار الدستوري والقانون الحالي ولا مع واجب التحفظ والحياد المفروض في الإدارات العمومية الإسبانية، وموجب هذا الحكم سيكون على الهيئات الرسمية في الدولة وعلى ممثلي الأحزاب السياسية عدم رفع أو وضع علم البوليساريو سواء بشكل دائم أو مؤقت حتى أثناء مناسبات استقبالهم أحدا من منتسبي الجبهة الانفصالية.. وقد سبق هذا الحكم صدور مقرر قضائي آخر ألغى الاعتراف بجوازات السفر الدبلوماسية التي كانت تمنح لممثلي بوليساريو بإسبانيا، مما يعني نفي صفة الرسمية عن هؤلاء وتقييد مساحة تحركاتهم..

ومما يزيد في تأكيد فرضية تخلي مدريد عن جبهة البوليساريو، ما أقدمت عليه السيدة أرنانشا

كونزاليز ليا، رئيسة الدبلوماسية في حكومة بيدرو سانشيز، التي تدخلت لذي سكرتير الدولة في الشؤون الاجتماعية ناتشو ألفاريز، الرجل الثاني في حزب بابلو إيكليسياس ليحذف من حسابه بتويت، الصور التي سبق أن قام بنشرها، والتي تظهر مراسيم استقباله لسويلمة بنت بيروك، عن جبهة البوليساريو، كما قدمت الوزيرة ليا اعتذارا ضمينا عن الحدث الدبلوماسي العرضي لنظيرها المغربي وزير الخارجية السيد بوريطة. وطأنت المغرب أن الأمور قد تغيرت في سياسة حكومة سانشيز تجاه حق المغرب في أرضه.

وإذا كان ما أقدمت عليه وزيرة الخارجية يترجم موقف حكومة بيدرو سانشيز من قضية الصحراء، والذي بدوره يعكس موقف

حزب العمال الاشتراكي من البوليساريو، فإن سياسة غريمه الحزب الشعبي لا تختلف في شيء عن استراتيجية النأي بالنفس عن نزاع الصحراء، فالحزب الشعبي بزعامة بابلو كاسادو لم يشر لقضية الصحراء لا من قريب ولا من بعيد في أي من فقرات برنامجه الرئاسي المكون من 500 نقطة، عندما خاض حملة آخر انتخابات تشريعية جرت بإسبانيا. بالنسبة لحزب بوديموس والأحزاب القومية الإسبانية فهي أبرز الحلفاء الذين لا تزال جبهة البوليساريو تراهن على دعمهم.. فحزب بوديموس منذ تأسيسه في يناير 2014، لم يغيب عن برنامج توجهات الحزب الخارجية قضية الصحراء الغربية، بل رفع من سقف دعمه إلى ضرورة الاعتراف بالجمهورية الوهمية لبوليساريو، علاوة على تأييده لمراقبة حقوق الإنسان ورفع تقارير بخصوصها بكل

المدن المغربية بالأقاليم الصحراوية المسترجعة، وكان حزب بوديموس من أكبر مساندي حركة اعتصام الانفصالية أميناتو حيدر بمطار لانزاروت بجزر الكناري.. حزب بوديموس يعبر في كل أديباته على الاهتمام ومساعدة اللاجئين الصحراويين وقد أوفد في الآونة الأخيرة عدة نواب وعددا من منتسبيه لمخيمات تندوف الجزائرية، كما دافع دائما عن أحقية امتلاك كل صحراوي تظاً قدماء التراب الإسباني جنسية إسبانيا، بحكم الارتباطات التاريخية في إشارة منه إلى الحقبة الاستعمارية، وهو ما سقط مؤخر قضائيا ودستوريا. كما تعتبر الأحزاب القومية الباسكية والكatalانية أبرز حلفاء البوليساريو في إسبانيا، باستثناء حزب متحدون من أجل كatalانيا، الذي يتزعمه كبار الانفصاليين الكatalان منهم بوجدامونت الفار من العدالة الإسبانية والمقيم حاليا بمنطقة واترلو بروكسيل.

وفي مجلس النواب أو الكونغرس تتقدم الأحزاب القومية المؤيدة للبوليساريو بالعديد من مشاريع القوانين الداعمة لقضية الانفصال، من ضمنها قانون منح الجنسية للصحراويين، ناهيك عن بقية أشكال الدعم الإنساني والقانوني على مستوى البرلمان الأوروبي الذي تقدمه الأحزاب الباسكية وحزب اليسار الجمهوري الكatalاني على وجه الخصوص.. لكن صدور الأحكام القضائية والمخالفات للدستور الإسباني وكذا واجب التحفظ، يمكنها لإخماد هذا العداء لوحدة المغرب الترابية والوطنية.

إن من العوامل التي لها كبير المفعول في تراجع الحكومة الإسبانية عن دعم الانفصال في الصحراء الغربية، حتى أصبحت جبهة البوليساريو يتم التلاعب بها بين أرجل الأطراف الإسبانية، نجدها في الإكراهات الذاتية والموضوعية الطارئة، والتي استدعت إعادة النظر في العديد من سياسات الحكومة الإسبانية، لعل من أهمها خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى وجود عوامل قضية كatalونيا التي تطالب بالاستقلال، ويشجعها في طموحاتها وجود طموحات انفصالية لدى إقليم الباسك الذي هو نفسه يجسب الأنفاس مع كل خطوة تخطوها قيادة برشلونة نحو تحقيق الانفصال عن إسبانيا وتحصيل الاستقلال، هذا بالإضافة إلى كون الاقتصاد الإسباني لم يتعافى بعد من مخلفات أزمة 2008 حتى بوغت بكارثة اقتصادية أكثر خطورة ووقعا من سابقتها على المجتمع، تجلت في جائحة فيروس كورونا المستجد بوقعها السلبي على مؤشرات الاقتصاد، خاصة البطالة والنمو والناتج الإجمالي.



الطيب الساسي، المحامي والنقيب السابق بهيئة المحامين بأكادير

يكشف تفاصيل

محاكمة الطلبة الصحراويين بمد تظاهرة طانطان

سيترتب عن هاته المحاكمة من قرار للمجموعة سيؤثر على مسار القضية، وفي هذا الحوار يكشف المتحدث عن أطماع الجزائر التوسعية، وكيف تم التفريط في تندوف من طرف المغرب، فضلا عن عدم التجاوب مع مطلب المختار ولد دادة سنة 1958 مع جيش التحرير بالجنوب ليعين واليا على موريطانيا، مطلب سيقوده إلى الرباط ليعود خالي الوفاض، ليتجه إلى فرنسا من أجل المطالبة باستقلال موريطانيا.

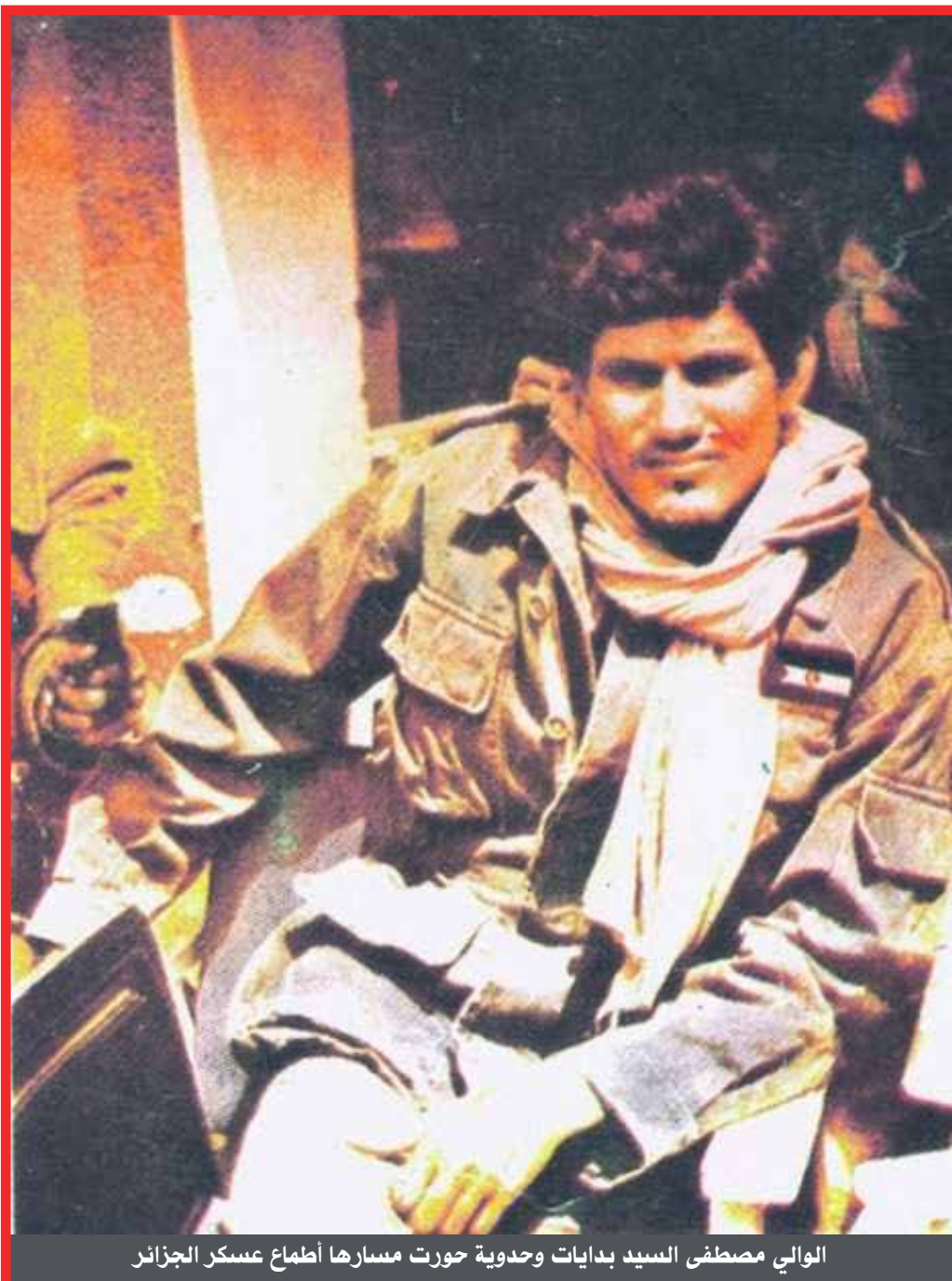
في شهادة للنقيب مبارك الطيب الساسي لطاقم فيلم "حياة مجاورة للموت"، والذي كتب سيناريو عبد الواحد المهتاني (المدير المسؤول لجريدة الطريق).. يتحدث الساسي من موقعه كمحامي تم تنصيبه للدفاع عن الطلبة الصحراويين مصطفى الوالي ومحمد عبد العزيز وغيرهم ممن تم اعتقالهم على إثر تظاهرة طانطان في بداية السبعينيات من القرن الماضي، وتعرضهم للتعذيب في عهد أوفقيير، وما



◆ النقيب الطيب الساسي

الأيام دولة ذات قرار حتى يتم الاطمئنان إلى وعودها أو الاتفاقيات أو المواعيد معها. هذه الأخطاء هي التي أدت هذه النتائج. رابعا أثناء تواجد جيش التحرير بالصحراء كان الاتصال مع الموريطانيين وضمنهم المختار ولد دادة، وبعد نقاش طويل مع هذا الأخير عبر لهم عن رغبته ليعين تعيينه واليا على موريطانيا من طرف المغرب، فأحالوه على الملك الراحل محمد الخامس، ليلتحق بالرباط رفقة الكولونيل وهبي والد نقيب المحامين سابقا حسن وهبي، وسيمكث هناك في أحد الفنادق في انتظار لقاء الملك، غير أن تدخل حزب الاستقلال سيحول دون ذلك، بعدها سيعود إلى موطنه ويتجه نحو فرنسا للمطالبة بالاستقلال.

خامسا كانت تندوف سوقا سنوية تحت راية المغرب، وعلال الفاسي حين يقول عن تندوف مغربية وأن الحدود المغربية تمتد إلى نهر السنغال له الحق في ذلك. الجانب الجزائري كانت له طموحات توسعية، وكان لا يريد أن تكون دولة قوية بجانبه، وهنا طرح مشكل تندوف، و في إطار المساومة طرح المغرب استغلال المعادن بشكل مشترك، شريطة أن يعطي المغرب للجزائر ممرا نحو المحيط الأطلسي، ثم هبوا اتفاقية إفران لاستغلال خيرات الصحراء، إلا أن الجانب الجزائري كان يتحجج دائما بعدم توقيع الاتفاقية إلى حين مصادقة البرلمان المغربي على اتفاقية



الوالي مصطفى السيد بدايات وحدوية حورت مسارها أطماع عسكر الجزائر

على إثر المفاوضات بين الفرنسيين والجزائريين، وقبله في مؤتمر الحركة الوطنية الذي عقد بطنجة برز قصور في التوجه العام لمعالجة المشكل بيننا وبين الجزائر، متناسين أن الجزائر لم تكن في يوم من

بصفة عامة. ثالثا إن المفاوضات الفرنسي في "إكس لبيان"، اندهش حسب ما ورد في مذكرات إدغارفور، في جزءها الثاني حول الصحراء، فلماذا لم يطرح المغاربة مسألة ترسيم الحدود؟

فيما يخص قضية الصحراء، للأسف الشديد كانت لدي مذكرات كتابية حول القضية الوطنية، وحول النزاع التنظيمي والأيدولوجي بين الاتحاد الاشتراكي للجنة الإدارية والاتحاد الاشتراكي (حزب الطليعة) في مواجهة أطروحات المكتب السياسي، هذه الوثائق تم حجزها مني إبان اعتقالات سنة 1983. كان لدي ملف متكامل للقضية بصفتي المسؤول الأول عن الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بالجنوب، وقد حجز مني من طرف النجاري الذي كان مديرا إقليميا للأمن بأكادير، ولم يبق لدي من هذه الوثائق إلا ما رسخ في الذاكرة.

قضية الصحراء لم تكن في يوم من الأيام لا للجزائر ولا لغيرها، الجزائر كانت مستعمرة من طرف العثمانيين، ولما سلموها للفرنسيين لم يسلموها بالمرّة تندوف، ثانيا الاستفتاء الذي قام به ديغول حول تقرير مصير الجزائر عن فرنسا، رفضت ساكنة تندوف المشاركة فيه، بدعوى أنهم مغاربة، وهنا يجب الرجوع إلى الوثائق الفرنسية الموجودة في فرنسا.

قضية تندوف مشكل سياسي،... حسب تصريح بلعيد وزير الصناعة سابقا، يقول فيه إن الجزائر يجب أن تكون بمثابة اليابان على صعيد المغرب العربي وشمال أفريقيا.

فالعسكر الجزائري لم يكون في يوم من الأيام يرغب لا في وحدة الشعوب ولا في حل مشكل الحدود

الطيب السياسي، المحامي والنقيب السابق بهيئة المحامين بأكادير

يكشف تفاصيل

محاكمة الطلبة الصحراويين بعد تظاهرة طانطان



الوالي مصطفى السيد في بداياته

هي الجماهير الشعبية المنظمة، ومهمتنا أن نقوم بإذكاء وعي هذه الجماهير حول مآسيها ومشاكلها ونترك لها أن تتخذ القرار وتسلك الطريق الذي ستختاره، وفي حينه أزالوا قمصانهم وكان الزمن صيفا، وكشفوا عن جروح وآثار التعذيب على أجسادهم، وقالوا هل تريد أن نعيش في وضع سياسي يتسم بالقمع.

وهكذا افترقنا على أساس أن نجري لقاءات متكررة، وما أن غادروا أكادير نحو الرباط حتى اختطفتهم المخابرات الجزائرية، وهذه ما هي إلا نتيجة لسنوات الرصاص، وشخصيا فقد اعتقلت ثلاثة مرات 1962 - 1981 - 1983. الآن ما هو الحل؟ المشكل لن يتم حله لا بالريع ولا بالمساومات والامتيازات والمنح، بل في إطار ديمقراطي شامل...

الصحراء المغربية، ثم سأله عن المحجوزات، فقال له إنها لافتات كتب عليها نطالب بجلء المستعمر الاسباني من الصحراء المغربية، وفي حينه ثم إطلاق صراح الطلبة وحجز الملف.

في المساء استدعينا لحفلة عشاء أقامها على شرفهم الأستاذ العبدالة بمنزله، واستدعيت أنا كذلك، وبعد مناقشة طويلة مع المجموعة حول الوضع السياسي في المغرب وشمال إفريقيا وغيرها، استقر رأيهم على أنهم سيبحثون في مسألة تشكيل تنظيم خاص حسب ما اكتشفت، لكونهم كانوا ساخطين على جميع الأحزاب آنذاك، وبعد مناقشة طويلة قلت لهم بأن مسألة التنظيم وإيجاد الحلول مسألة تقرر فيها الشعوب، لا يمكن لا نحن ولا أنتم كسبعة أشخاص أن نقرر في مصير الشعب، إن من يقرر في مصير الشعب

اتصلت بوكيل الملك، الغزواني المراكشي، قلنا له يا سيدي لماذا اعتقلتم هؤلاء الطلبة، نحن نطالب بالإفراج عنهم، قرأ علينا المحضر، والذي تضمن تصريحات المعتقلين الطلبة الصحراويين، بما فيه محمد بن عبد العزيز والوالي مصطفى السيد وغيرهم، يقولون فيها نحن بصدد تنظيم تظاهرة لجلء المستعمر الاسباني من الصحراء المغربية، هكذا، واللافتات موجودة بدهايز المحكمة الابتدائية بأكادير. وقلت له: قبل أن تستمروا في اعتقالهم عليكم أن تتصلوا بوزارة العدل، لأن المشكل سياسي وليس إجرامي، فطلب الاستشارة مع الكاتب العام لوزارة العدل آنذاك، محمد الفاسي، فقال له أتل علي ما جاء في تصريحاتهم بحضورنا، جاء فيها نحن طلبة أكادير وطلبة الرباط كصحراويين، أتينا للمطالبة بجلء الاستعمار الاسباني من

تندوف، وهكذا سلمت تندوف إلى الجزائر بدون توقيع اتفاقية إفران، مع العلم أن تسليم تندوف إلى الجزائر يهيم الشعب المغربي قاطبة من جنوبه إلى شماله ومن شرقه إلى غربه، لأن الأرض ملك للشعب وهذا ما لم يقع.

أما فيما يخص تداعيات ميلاد البوليساريو، فالجزائر كانت لها أطماع في التراب المغربي، ولا أقصد تحديدا الشعب الجزائري، بل النظام العسكري وجبهة التحرير الجزائرية، التي كانت لها أطماع بعيدة المدى في إفريقيا كلها وهو ما لم ينتبه إليه الجانب المغربي. ففي سنة 1973 اتصل بي العبدالة ماء العينين، وقال لي هل يمكن أن تذهب معي إلى النيابة العامة نظرا لاعتقال مجموعة من الطلبة ومن ضمنهم أخي، وبحكم موقعي كمسؤول سياسي ومقتنع بحقوق الإنسان والحريات اقتناعا كاملا،

حصري: شهادة أحمد الطالب من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبِّرَت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

نشر ضمن هذا الملف مقالا يستند إلى حوار كان أجراه الأخ أحمد الطالب مع طاقم فيلم "حياة مجاورة للموت"، والذي كتب سيناريو عبد الواحد المهتاني (المدير المسؤول لجريدة الطريق).. وقد زدتنا به الجهة المنتجة بعد استشارة مع صاحب الحوار، وهو لم ينشر كاملا من قبل، ونظرا لأهمية المعطيات المتضمنة والتي لا تعرفها إلا القلة القليلة، والمتعلقة بالعلاقة الثقافية والفكرية بين سوس العالمية والصحراء العالمية، فضلا عن اعتناء رجال المقاومة بأبناء المقاومين وعلى رأسهم مصطفى الوالي، والذي تابعوا دراستهم بمعهد تارودانت، كما يكشف الطالب عن علاقة قيادي البوليساريو قبل تبنيها لشعار الانفصال مع القيادة الحزبية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية بالداخل والخارج، من خلال بعض رموزها كالشهيدين إبراهيم التزيتي ومحمد بنونة والمقاوم الحسين الخضار، كما يروي تفاصيل الصراع المرير مع النظام الجزائري من أجل استقلالية القرار السياسي للمعارضة المغربية بالجزائر، وخاصة الموقف من وحدتنا الترابية، الذي دفع أحمد الطالب ثمنه غاليا باعتقاله لمدة سنوات بسجن "البرواكية" السيء الذكر، ثم الإقامة الجبرية، وتفصيل آخر عن كيفية تشكل العلاقة بين البوليساريو وليبيا ثم الجزائر، وهي جزء من مذكرات الكاتب التي يعكف الآن على إنجازها.



صورة أحمد الطالب أحد أهم قادة الاختيار الثوري بالمغرب

إذن عندما توقفت معارك جيش التحرير بالجنوب، اهتمت الحركة الوطنية والمقاومين وأعضاء جيش التحرير كثيرا بأبناء جيش التحرير، من أجل متابعة دراستهم بعدة مراكز، ومن ضمنها مركز معهد تارودانت، والذي عايشته فيه عن كتب المناضلين الصحراويين بما فيهم مصطفى الوالي الذي كان يدرس بمعهد تارودانت، الذي أسسه المختار السوسي بمساعدة لحسن بولعماني الباشا السابق على أكادير وهو عالم وشاعر، وتم ذلك أيضا بمساعدة المقاومين وجمعية علماء سوس ومنهم صاحب الفكرة العدوي والد السيدة زينب العدوي، وعمر الساحلي من كبار المقاومين والذي كان يشغل مديرا للمعهد الذي تم تأسيسه لإنقاذ أبناء سوس وإدماجهم في التعليم العصري وإلى جانبهم طبعاً الطلبة الصحراويون، هؤلاء فتح لهم مجال آخر في حي الرميلا بالزاوية الدرقاوية، ومن بين الطلبة الذين يقطنون معي إبراهيم بصير وكان يتردد علينا بعض الطلبة أغلبهم الآن بجهة البوليساريو لأنهم كانوا يدرسون بمراكش.

فيما يتعلق مصطفى الوالي، فإن هذا الأخير سيقود إضرابا بمعهد تارودانت في فترة الستينات، وهذا الإضراب كان موجها من الناحية السياسية من طرف حزب الاستقلال وصحافة حزب الاستقلال وخاصة جريدة العلم، وكانت كلها تعمل على مواجهة التيار الاتحادي وتيار جريدة التحرير آنذاك، مصطفى الوالي ومن شاركوا معه في الإضراب، سيترددون رسميا من معهد تارودانت، وأتذكر أنه كان من بينهم الصديق الإعلامي أحمد احميمو، وتبعاً لملفاتهم لم يتم السماح لهم بالدراسة، وسينتقلون نحو الدار البيضاء والرباط.

أبناء المقاومين من الطلبة الصحراويين، سيفسح لهم المجال أيضا لمتابعة دراستهم في الدار البيضاء، وسيوفر لهم محل سكني خاص بهم في دار تسمى دار التوازي، وهي عبارة عن عمارة كبيرة وفرت فيها الحركة الوطنية كل شروط الاستقبال. سينظم هؤلاء الطلبة الصحراويون في بداية السبعينات مظاهرات في مدينة طانطان، وأخرى بمدينة طرفاية وسيتم اعتقالهم وممارسة التعذيب عليهم من طرف الجنرال أوفقي وقتها، نحن الآن نتكلم على سنوات الرصاص.

بصير اختطف من طرف سلطات الاستعمار الإسبانية بعد التحاقه بالصحراء وتأسيسه لحزب المسلم، وسيتم اعتقاله واختفائه، وإلى يومنا هذا لا يعرف له أثر، بينما مصطفى الوالي ورفاقه سيتوجهون إلى الرباط والدار البيضاء لمقابلة أطراف الحركة الوطنية للمطالبة بدعمهم من أجل مواصلة النضال ضد الاستعمار الإسباني، ولم يكن واردا لديهم شيء اسمه الانفصال، في هذه الفترة سيتم الاتصال بحزب الاستقلال في شخص علال الفاسي، الذي قال لهم نحن مستعدون لمساعدتكم، أنتم ناضلوا لكن حين تحل مرحلة التفاوض سنكون نحن جاهزين لها، كما وقع الاتصال بعلي يعته عن حزب التقدم والاشتراكية وكذلك عبد الرحيم بوعبيد، غير أن الطرف الاتحادي كان أذكي، لأن هؤلاء كانوا يطلبون من الحكومة المغربية مدهم بالسلاح من أجل مقاومة الاستعمار الإسباني، والحكومة المغربية لم تكن مستعدة للسير في هذا الطريق، والأحزاب كذلك لم تكن مستعدة لتبني الكفاح المسلح، وهنا ستأتي قصة ارتباط الوالي بالمنفى، فلما وقع الاتصال بعبد الرحيم بوعبيد سيحيلهم على محمد الخصاصي، وسيعقدون مقابلة أيضا مع محمد اليازغي. الذي كان آنذاك منسقا للاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع المنفيين بالخارج، كعبد الرحمن اليوسفي والفقيه البصري وآخرين. وما بين الداخل والخارج كانت

ترسخت علاقاتي بأهل الصحراء قبل مرحلة تجربة النضال السياسي، وهنا يمكن العودة إلى بيت الجد الذي نشأت فيه بمنطقة المعذر نواحي مدينة تيزنيت، وهو بيت محمد بن مسعود الطالب المعذري، من علماء سوس، عالم وأديب ومتصوف، أصدرت حوله وزارة الأوقاف أخيرا كتابا يحمل نفس الاسم، وكان هذا البيت ملتقى مع زاوية سي سعيد أوهمو، والتي هي بجانبه. ويعتبر هذا الأخير مؤسساً للطريقة الدرقاوي في الجنوب، كما كان يشكل هذا المكان فضاء روحيا وعلميا للحاج علي الدرقاوي والد المختار السوسي، هذا الأخير كان هو أيضا يجلس في ركن من أركانه إبان تحضيره لكتبه كالمعسول وسوس العالمية، وهنا كان مجلسه مع الشاعر لحسن بولعماني الذي هو عمنا محمد بن مسعود المعذري، كانت له خصوصية في كونه كان أستاذا بمدرسة بونعمان، وقرى أخرى شكلت ثلاثية، وهي المعذر وإليغ وبونعمان، والمصطلح عليها بزوايا بونعمان. إذن الجد الأعلى كان بمدرسة بونعمان ومحمد بن سعيد أيت إدار المعذري كان يدرس لفترة طويلة بمدرسة بونعمان.

وتتحدث المصادر التاريخية بأن الطلبة الذين كان يدرسه محمد بن مسعود، ينحدرون من منطقة سوس بالإضافة إلى الطلبة الصحراويين. وفي بونعمان سيتم له لقاء كذلك مع الشيخ ماء العينين، وسيتبادلان قصائد شعرية. وأشار كذلك إلى أن الجد الأعلى الذي هو مسعود بن محمد المعذري كان من الأصدقاء الحميمين للجد الأعلى لإبراهيم بصير الشاب الذي سيؤسس فيما بعد الحزب المسلم بالصحراء، وكانوا يفوضون النزاعات والمصالحة بين القبائل في مرحلة السبية.

كما كان الشيوخ وكذا الشعراء الصحراويون في علاقة دائمة ومستمرة مع المختار السوسي، وقد تبادلوا فيما بينهم قصائد شعرية طويلة.. وبالمناسبة فكتاب "مفيد الحاضرة والبادية" للشيخ ماء العينين، هو من جملة الكتب التي أهديت لجدي ومطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية، وهناك كتب أخرى بخزانتنا إلى جانب بعض المخطوطات.

إن العلاقة التي ظلت تربطنا مع الصحراويين هي علاقة عادية، كما أن جيش التحرير كان له هو الآخر اهتمام بأبناء الصحراء، خاصة بعد أن توقفت معاركه في الجنوب المغربي، وكثير من القادة والشهود الذين لازالوا على قيد الحياة كوزاليم من مدينة أكادير الذي يتميز بذاكرة موسوعية، حين يتحدث عن المعارك التي خاضها جيش التحرير بالصحراء، أما الأموات منهم خاصة إبراهيم التزيتي الذي كان منفيًا وعاش عدة معارك من أجل تحرير الصحراء. وهناك أيضا من هذه المنطقة والذي لا يذكره أحد، العربي بناجم الظريف وهو من كبار المقاومين ومن كبار قادة جيش التحرير.

فهذه العلاقة كانت على مستويين، على المستوى الثقافي والعلمي والتي لها أهميتها، ثم الجانب السياسي، وحين أتكلم عن الثقافي العلمي أعطي نموذجاً لذلك بين سعيد أيت إيدر الذي كان يدرس بمدرسة سيد بوعبدلي كطالب، ليأخذه بعدها المختار السوسي إلى مراكش إلى جانب الكثير من الطلبة السوسيين، والذين التحق أغلبهم فيما بعد بالمقاومة أو الجيش الملكي، أخي المرحوم طالب بن مسعود وهو حاصل على الشهادة السادسة قبل بداية الاستقلال اختاره هو أيضا المختار السوسي لمتابعة دراسته بمراكش.

حصري: شهادة أحمد الطالب من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبرّت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟



كان مناضل الحركة الاتحادية (الاختيار الثوري وبعده الطليعة) عبد الغني بوستنة السرايري قد زود الوالي بألة طباعة وبتمويل أولي.

قناة الاتصال التنظيمية هي اليازغي ومحمد الخصاصي، محمد الخصاصي سيسلم للوالي رسالة وسيسافر هذا الأخير إلى باريس لعقد لقاء مع المعارضة المغربية التي كانت لديها فكرة تبني الكفاح المسلح لتغيير الوضع بالمغرب، وبالتالي يمكنهم أن يساندوا الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب لمواجهة الاستعمار الإسباني، بعدها سيتم توجيه مصطفى الوالي نحو الجزائر وبالضبط نحو وهران للاتصال بالمقاومين وبالتنظيم الحزبي الذي كان يشتغل في إطار التنظيم السري، والاستعداد مستقبلا لخوض العمل المسلح، ومن المصادفات الغريبة، فإن أول شخص سيفتح الباب للوالي مصطفى هي زوجتي حسب ما حكى لي، لأنه في ذلك الوقت كنا لم نتزوج بعد، لأن بيت الحسين الخضار كان هو بيت المقاومين، بيت المنفيين، بيت الناس الذين يردون من خارج الجزائر كضيوف على الحزب، وسيتم

استقبال مصطفى الوالي الذي مكث عدة أيام في بيت الحسين الخضار، حينها نظم له لقاء خاص مع شخصيتين هامتين، الأول هو محمد بنونة مهندس كهرباء من عائلة المهدي بنبركة كان مسؤولا في منظمة التضامن الإفريقي الآسيوي، وهو من بين المناضلين الذين استشهدوا في أحداث 3 مارس، فهو من قاد مجموعة من المناضلين في إطار العمل المسلح في كلميمة وتمت تصفيته هناك، محمد بنونة صديق حميم رحمه الله، كان مطلعاً وله تكوين نظري جد عالي ومطلع على تجارب الكثير من الشعوب. حيث لما اجتمعنا معه خلال التحضير لحركة 3 مارس المسلحة في إطار إعداد برنامج الثورة، كان بنونة مطلعاً على التجربة الفيتنامية والتجربة الكوبية وغيرها، ليس فقط من الناحية النظرية بل عبر احتكاك مباشر مع هذه التجارب في إطار منظمة التضامن الإفريقي الآسيوي.

وسيلتقي الوالي، أيضا مع شخص آخر وهذه مفاجأة أخرى، إنه إبراهيم التزيتي المعروف بالنمري، لما التقى بهم الوالي، أصيب بالدهشة أو الدوخة، فهم لم يقدموا له أنفسهم بأسمائهم الحقيقية، وسيستغرب لأنه وجد إبراهيم التزيتي يتحدث عن الصحراء كما يتحدث عن أصابع يديه، لأنه كان قائدا أساسيا في جيش التحرير في إطار تحرير الصحراء المغربية، بل إن الرجل أيضا كان مسؤولا على المحاسبة ومسؤولا عن تموين جيش التحرير، وله علاقة بكل القبائل وبكل الشيوخ.

الوالي فوجئ بلقائه بشخصيات من هذا العيار الثقيل، لينسق معها في إطار تحرير الصحراء، وسيتمحور النقاش حول سياق أن المناضلين في داخل المغرب والذين هم في مواجهة التعسف وانعدام الديمقراطية سيناضلون من موقعهم، والمناضلين الصحراويين سيتم دعمهم من طرف المناضلين الاتحاديين في إطار مواجهة الاستعمار الإسباني بالعنف. هكذا سيتم أول لقاء نوعي ولم يكن هناك أي حديث عن انفصال ولم يكن أي حديث عن نزوع ذاتي إقليمي، بما أن هؤلاء الناس لديهم تجربة كبيرة طلبوا من الوالي أن يقدم لهم شيئا مكتوبا، وسيقدم مذكرة مطولة في الموضوع نشرناها فيما بعد في جريدة الاختيار الثوري، وأصدرناها في الخارج وأنا

الذي سميتها بالاختيار الثوري، نشرنا المذكرة في عدة حلقات تتضمن الوضعية في الصحراء، الوضعية من الناحية التاريخية وعلاقتها بالمخزن و بالملوك المغاربة، و تحدثت كذلك عن الفترة الاستعمارية وعن اتفاقية الجزيرة الخضراء والاتفاقيات الأخرى، التي تم فيها تقسيم دولي للمغرب طنجة، الصحراء، سيدي إفني، الداخل الذي استولت عليه فرنسا، وركز كذلك على الاهتمام الألماني بسوس جنوبا وبالصحراء خاصة، و كانت هناك شائعة بأن أحمد الهبة كان يتلقى مساعدات عسكرية من طرف الألمانين عن طريق البحر، فالمذكرة تضمنت كل هذا، ولم ترد فيها كلمة واحدة عن المطالبة بالاستقلال كلها ركزت على محاربة الاستعمار الإسباني. بعد هذا اللقاء، أذكر أنه سيتم لقاء أيضا ما بين الوالي مصطفى والفقيه البصري، وكان النضال المغربي في ذلك الوقت في أوجه، والوالي نفسه احتك مع مجموعة من أطراف الحركة الوطنية والتقدمية في إطار الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كما أن هذه الفترة عرفت تشكل فصليين جديدين، ما بين سنتي 1970 و1971، حينها كان الوالي طالبا في كلية الحقوق. إذن فالنقاش مع هؤلاء الإخوة كان نقاشا مع طرف من أطراف الحركة الوطنية المغربية.

سيوجه الوالي إلى طرابلس وسيتم استقباله من طرف المسؤول آنذاك عن التنظيم الحزبي، إبراهيم أو شلح وسيصحبه إلى فندق البريد الذي كان يملكه أحد أصدقاء التنظيم من تونس سي الحبيب، هناك سيبقى مدة وهو ينتظر اللقاء والحصول على المساعدة، سيتدخل له هناك لدى مجلس الثورة في شخص عبد المنعم الهوني العضو بالمجلس ذاته، وفيما بعد سينفصل الهوني عن النظام وسيصبح منفيًا في القاهرة، وقد كانت تربطه علاقة وثيقة مع الفقيه البصري ومع التنظيمات السرية التابعة للاتحاد الوطني والقوات الشعبية، فتم مده بالأسلحة الأولى عن طريق التنظيم الحزبي لأنه عومل كطرف من أطراف التنظيم الحزبي وليس كطرف مستقل، وسيعود إلى الجزائر، وصادفت هذه الفترة تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب التي عقدت في منطقة توجد ما بين موريتانيا والصحراء، كما ستصادف هذه الفترة أيضا الانتفاضة المسلحة بالمغرب سنة 1973 المعروفة بـ 3 مارس، مرحلة كانت صعبة داخل المغرب. وأغلب المناضلين بمن فيهم بنونة وإبراهيم التزيتي الذين تحدث عنهم سالفًا كلهم التحقوا بالجمال ومناطق أخرى في إطار العمل المسلح داخل المغرب،

بعض الإخوان الذين كانوا ضمن التنظيم السري داخل المغرب سيلتحقون بالخارج، وبالجزائر خاصة. هنا سيعقد لقاء آخر ما بين مصطفى الوالي وما بين الشباب الجدد الذين كان من ضمنهم الأخ المرحوم عبد الغني بوستنة السرايري، إذن فأول آلة كتابة سيحصل عليها مصطفى الوالي ستتم عن طريق بوستنة (عضو الكتابة الوطنية لحزب الطليعة لاحقا)، وأول مساعدة مالية 2 مليون فرنك فرنسي ستسلم من طرف الأخ عبد الغني بوستنة كذلك لمصطفى الوالي، هذه أول مساعدة يتلقاها هؤلاء الإخوة الصحراويون.



محمد باهي والفقيه البصري، تقاطع المسارات بالجزائر ووفاء لسيادة الوطنية على الصحراء المغربية

حصري: شهادة أحمد الطالبية من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبرّت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

مخابرات أمنية، وفي نفس الوقت تكون الأطراف والمؤسسات السياسية منحازة لجهة من الجهات المخبرية وتشغل لحسابها، لكنها في النهاية تصب وتلتقي كلها عند القذافي، وهكذا لن يذهب عن طريق عبد المنعم الهوني عضو مجلس الثورة الذي كان في فترة من الفترات وزيرا للداخلية أو عن طريق الأمن الذي كان يديره عبد الرحمن الشيباني، لكنه سيرتبط مباشرة بعبد السلام جلود وهذا الأخير كانت له خلافات قوية مع الفقيه البصري لأن كل جهاز يحب شخصية معينة تشتغل معه.

الفقيه البصري كانت له نقاشات طويلة مع عمر الحمدي الذي كان واجهة سياسية لجهة جلود، وكان قريبا من جمعة الفزاني الذي يعتبر مفكرا قوميا واعتبره كذلك مؤسسا معهم، لكنه تخلى عنهم، فأصبح الفقيه البصري يحاربهم وأصبحوا يحاربونه، فارتبط الوالي بالقناة التي تحارب الفقيه البصري وأبعد بشكل نهائي عن تنظيماتنا الحزبية.

بالنسبة للجزائر كانت ملجأ أساسيا للمنفين المغاربة، لسبب بسيط جدا، هو أنه عندما تقطع الحدود "جوج بغال"، ها أنت في الجزائر وها أنت في أمان، في فترة القمع التي كانت في المغرب سواء بعد أحداث سنة 1973 وفي أحداث أخرى سابقة، كان المفر الوحيد للمناضلين المغاربة هو الجزائر ولهذا كان هناك ثقل، فأغلبهم من المقاومين كإبراهيم التزني، الحسين الخضار، أومدا، حمو عبد العليم، مولاي عبد الله الفيلاي، حسن العتايي، زيد واحماد... وعدد كبير من المقاومين القدامى بنحمو بنفسه الذي كان قائدا كبيرا في جيش التحرير، المالكي جنحى، الذي أنقذ بومدين من الموت في حادث الباخرة دنيا.. كلهم كان منحاهم هو الجزائر، ولما جاءت قضية الصحراء أتيحت لي فرصة أخذ إحدى المبادرات، وكان لي الشرف بالعمل عليها، فلما وصلت قضية الصحراء إلى ذروتها، اتخذت مبادرة لأجل خلق تقارب بين الفقيه البصري وبين سعيد أيت إيدر، اللذان كانت بينهما خلافات حادة، وتمت المصالحة، وكان هناك تنظيمان، الأول عرف بالاختيار الثوري والثاني عرف بـ 23 مارس، وهما أن التنظيمين التقيا في عدة مواقف سياسية من النظام آنذاك وحول قضية الصحراء التي كنا نجمع على مغربتها، سنجمع الشمل بين الزعيمين ونقوم بأول مبادرة بالتنسيق بين الطرفين، وهي إصدار بيان لقداماء المقاومين وجيش التحرير ينص على مغربية الصحراء، ومن سيقوع عليه؟ طبعا كانت أغلب التوقيعات من طرف المنفيين بالجزائر والذين كان لديهم موقف من النظام ويربطون بين السيادة الوطنية والسيادة الشعبية، يعني أنه لا يمكن أن نتكلم عن تحرر الصحراء دون أن تسود الديمقراطية داخل البلاد، كما لا يمكن أن تحرر الصحراء مفهوما المخزني والمعتقلون في السجون، نقطة أخرى في الموضوع تتعلق بإقليم الداخلة، ففي ذلك

وللتذكير فالوالي يتضايق بتواجده في الجزائر أكثر من تواجده في ليبيا. وهناك أمر لا يعرفه الكثيرون كنت قد أدليت به في استجواب سابق حكيت فيه بالتفاصيل ومصدر هاته المعطيات استقيتها من الرفيق عبد الغني بوسنة نفسه، فلما تم اعتقاله في الجزائر وتدخل البوليساريو لأجل إطلاق سراحه مع أنهم يعرفون موقفي أن الصحراء مغربية، أخبرني بوسنة أنه تم اعتقال مصطفى الوالي بالجزائر ذات مرة بسلاحه، فتم سجنه وعذب أشنع تعذيب، تبعا لرواية أفاده بها البشير مصطفى السيد الذي كان أُنذاك يتصل بعبد الغني بوسنة ويخبره بأن "هذه القضية التي وقعت لأحمد الطالبية ليست الأولى من نوعها، فقد سبق ووقعت للوالي، إنه دخل إلى السجن رجلا طويلا وخرج مقوس الظهر". وهكذا سأخرج أيضا من سجن "البوراوية".

إبان اعتقال مصطفى الوالي سيكتشف الجزائريون أن الشخص الذي يعذبونه والذين ألقوا عليه القبض، من ورائه تنظيم صحراوي كبير، فقرررو الاحتفاظ به، وفتحوا الحوار مع تنظيمه، كأنهم وجدوا تنظيما قويا داخل الصحراء فاحتفظوا به كما أرادوا الاحتفاظ بي فيما بعد، حيث قضيت بعد مرحلة السجن عدة سنوات تحت الإقامة الجبرية بالجزائر. هكذا تمت العلاقة مع مصطفى الوالي تحت الضغط وتحت التعذيب، وستصبح العلاقات عادية... إلى أن تم اغتياله في ظروف غامضة.

في السياق ذاته أريد أن أفتح قوسا، وأنا أتذكر خلال تجربتي بالجزائر بعض الجلسات التي حضر فيها كل من أحمد دراية مدير الأمن الجزائري وسي محمد الميلي الذي كان مديرا لوكالة الأنباء الجزائرية، وحضر فيها بالضبط الراحل باهي محمد الذي كان اقترح عليه أن يؤسس تنظيما صحراويا سيكون مدعوما من طرف الجزائر، لكنه رفض وقد كتب في مذكراته عن هذا الموضوع من خلال جريدة الاتحاد الاشتراكي.

عظفا على ما سبق، سيقوم الوالي بزيارة لليبيا من جديد، ومن خلال علاقاته في ليبيا سيرتبط مباشرة مع النظام الليبي، ففي البداية تعامل معه الإخوة كطرف في التنظيم وسيتم تقديمه للجهات

الليبية كمناضل في إطار الحركة وليس في إطار تنظيم مستقل، ففي هذه الفترة ستذاع مذكرة الوالي مصطفى في إذاعة صوت التحرير الموجهة للمغرب من ليبيا على عدة حلقات، على غرار برامج كان يتم إعدادها في بعض المناسبات، كذكرى حل وتصفية جيش التحرير بالجنوب، أو ذكرى احتلال سبتة ومليلية والجزر الجعفرية، كما كانت تذاع برامج تتناول قضية الصحراء المغربية من خلال إذاعة صوت التحرير لمساندة نضال المناطق المحتلة في الجنوب، هنا سيتعرف الوالي مصطفى على شخص يقول إن أصله من الساقية الحمراء وله نفوذ عند القذافي، اسمه الكشاط فعن طريقه سيرتبط بقناة أخرى، لأن الفقيه البصري كان مرتبطا بليبيا عبر جهاز أمن المخابرات، وكما تعلمون في كل دولة هناك مخابرات عسكرية،

**ALIKHTIAR
ATHAOURI**

Revue Mensuelle Marocaine

Numéro 19 العدد
Prix : 1,50 F الثمن
OCTOBRE 1977 أكتوبر

Corresp : Maurice BLANC - Poste Restante - 103, Av. de la République - 75011 - PARIS عنوان المراسلة

الاختيار الثوري

جريدة شهرية مغربية

تنشيل الحكومة الجديدة

ديموقراطية المخزن



في ذكرى المهدي بن بركة

تعلم بنا الذكرى الثانية عشرة لاختلاف واقتبال الشهيد المهدي بن بركة بباريس وفي وضحة النهار على يد البوليس المغربي وتواطؤ مخابرات اجنبية اخرى. ان اقتبال الشهيد من طرف النظام الرجعي المغربي كان يهدف الى اضعاف فكرة وممارسة جسدنا الشهيد في نضاله الوطني سواء ابا مواجهة الاستعمار حيث تعرض للاعتقال والنفي او بعد الاستقلال لشككي حيث تصدى الشهيد لهمة تصحيح مسار الخط الثوري في المغرب امام محاولات التحريف التي انتهجتها القيادة التقليدية للحركة الوطنية. وفي هذا الاطار كان تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في يناير 1959 ردا جماهيريا تاريخيا على الحل الاستعماري الجديد الذي شكلته اتفاقية ايكس ليان. ولقد حرص المهدي على توجيه الالات النضالية الجديدة توجيها صحيحا عندا على الاتجاهات الانتقارية والاصلاحية داخل الحزب نفسه والتي كان المؤتمر الثاني مناسبة لبروزها عندما وضع تقرير الشهيد للاختيار الثوري في المغرب على الرف حافظا على وحدة الحزب.

البقية في ص 7

ان ما يجري حاليا في المغرب يبتاز حدود هذا الاخير فهو يأتي في اطار مخطط شامل تستهدف الاسرائيلية من ورائه تثبيت اوضاعها وترسيخها وذلك بتجاوز أنظمة الحكم القروية والانتج على قوى اجنبية تضمن الاستقرار لعالمنا وتطبيقا نفا جديدا تحت لواء الوطنية وحتى الاشتراكية. ان هذا التوجه الاسرائيلي الجديد ينطلق من الوعي بانتعاش استمرار الانظمة ذات الطابع القروي المستبد خاصة في الاطراف التي يعتد فيها الصراع الاجتماعي كالمغرب ومصر. لذلك تمند الاسرائيلية الى السعي وراء دعم هذه الانظمة بلوى اجنبية مستعدة على مصالحها او لتحصير هذه القوى نسبيا لتلعب دور الدبيل للانظمة القائمة. كل ذلك بهدف فرغ الساحة من كل معارضة جارية يمكن ان تهدد استمرار واستقرار مصالحها في المقام. في هذا الاتجاه كان التفتح على الصادق المهدي في السودان وحزب الوفد في مصر والتزيمات الجديدة في تونس...

اما بالنسبة للنظام المغربي، فقد كان ولعنا منذ بداية عهد المغرب الجديد انه اي النظام. يجري وراء ترتيب جديد للاوضاع القائمة بشكل لا يستهدف فقط فرض مشروعته كالنظام بل اكثر من ذلك فرض مشروعية الوضع بترتيبه الجديد والذي يعتمد اساسا على نزح الصفة الاستبدادية القروية من الحكم بخلق واجبة لبريانية شكلية من برلمان ومجالس بلدية وقروية. وتكون حكومة التلاوة ذات طابع وطني وتقلص دور المعارضة في مجال هامشي محدود.

في هذا الاطار تشمل دأب النظام على جر بعض قيادات الحركة الوطنية لكسب تركيبتها حارما في ذات الوقت على زرع طور الخلاف والتشتت في صفوف هذه الحركة لتضع الطريق وانكسر كل اشكال التحالف وسلبا وتعلق اللبلة واضعاف

في هذا العدد: مذكرة مصطفى الوالي حول الصحراء

جريدة الاختيار الثوري لسنة 1977 التي نشر بها الوالي مصطفى مذكرته.

حصري: شهادة أحمد الطالب من قلب الاستخبارات الجزائرية..

كيف دُبرّت المؤامرة الانفصالية للبوليساريو ليلا؟

ذلك مع توقف إذاعة صوت التحرير التي كانت موجهة إلى الشعب المغربي من طرابلس، وكان يتابعها الناس في البوادي والمدن ضمن أوقات معينة من الأسبوع، في البداية يوما في الأسبوع، ثم تحول البث إلى يوميين في الأسبوع.

الجزائريون أرادوا أن يستلهموا هذا النوع من الإعلام، واقترحوا على فرع الجزائر إنشاء

إذاعة مناوئة للمغرب، لكنهم رفضوا، وكان المشرف على هذا الموضوع هو الكولونيل سليمان هوفمان من قدماء الجيش الفرنسي ومهندس الانقلاب على بن بلة، وهو الشخص نفسه الذي كان مشرفا على ملف الصحراء، وكانت وهران بحكم موقعها الاستراتيجي، المنطقة المرشحة لإنشاء الإذاعة، فاقترحوا على المقاوم الحسين الخضار الذي هو صهري، بأن يعمل الفرع الحزبي على تأسيس إذاعة، حيث جاءه ضابط بالمخابرات العسكرية، كان يلعب في نفس الآن دورا مزدوجا بكونه يمثل جهة التحرير، فقال له عليكم بفتح إذاعة، فرد عليه الحسين الخضار، "الصحراء نحن من ناضل فيها وإذا كان لجوؤنا نحو الجزائر فمن أجل

بلدنا"، وأخذ النقاش بينهما مستوى من التصعيد، فقال له الحسين الخضار أريد أن أوقر في ذهنك شيئا: "هل بإمكانك أن تعض أذنك"، حسب التعبير المغربي، مستأنفا، "إذا كان بإمكان ذلك، يمكننا نحن أيضا أن نقيم إذاعة ضد بلدنا في بلدك".

في فترة من الفترات سأنقل إلى الجزائر وسأمارس عملي بشكل عادي، إطارا ضمن حركة التحرر العالمية، وكانت تضم تمثيلات لحركات التحرر بأمريكا اللاتينية ومن باقي أنحاء العالم، ثم حركة التحرر العربية، وتضم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير عمان وغيرها، في هذا الإطار قمت على مدى شهرين بتقديم عروض حول قضية الصحراء في الاتجاهين معا، وستقوم الجزائر في إطار مناورة

إلى جانب البوليساريو، حيث كنا نجتمع في مكان اسمه القبة، وهي فيلا قدمت للمهدي بن بركة خلال فترة حكم بن بلة، وكان يستقر بها عبد الرحمان زغلول من منظمة 23 مارس، وكنا نعقد بها الاجتماعات في الوقت ذاته. الجبهة الشعبية بما أنها كانت مؤيدة للبوليساريو، ستنقل الاجتماع إلى مقرها، فاضطررنا إلى التوجه إلى مقرها، وحين وجدنا البوليساريو مدعوة للاجتماع، أعلننا انسحابنا، نفس الشيء سيتم القيام به في إطار اجتماع حركات التحرر العالمية.



سبق لعسكر الجزائر أن اعتقل الوالي مصطفى السيد توجسا من استقلالية قراره عن مؤامرات الجزائر.

الزمن طرح تقسيم الصحراء ما بين موريطانيا والمغرب، بإدراج جهة الداخلة تحت السيادة الموريطانية، تبعا للتقسيم الذي تم في السفارة الأمريكية بمديرد، فهناك سيوقع الاتفاق البروتوكولي لتقسيم الصحراء، والذي تم رفضه من طرف المقاومين من خلال نص البيان ذاته، ودار الزمن ليصبح التقسيم غير وارد.

بخصوص البيان المشار إليه، أذكر أنني تكفلت شخصا صحبة سي محمد التوزاني بالاتصال بجميع المقاومين في الجزائر وأوربا، بمن فيهم المرحوم الفقيه الفكيكي أحد المؤسسين الكبار للحركة الوطنية المغربية والحسين الخضار وكل المقاومين الموقعين على البيان، ولدي نسخة منه. وفي ذلك الوقت ستنار ضجة لأن البيان صدر من الجزائر، حيث ساد اللبس عن ماذا سيكون موقف المقاومين، فحتى فرع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في الجزائر أصدر هو الآخر بيانا يؤكد فيه على مغربية الصحراء من قلب الجزائر، البيان نشرته الصحافة الجزائرية دون أن تذكر أن الصحراء مغربية حيث وقفت عند ويل للمصلي، كما

نشرته جريدة لومانيتي الفرنسية وجريدة لوموند، وكتب علي يعته على إثر البيان افتتاحية خاصة، البيان وزعته أنا والتوزاني على جميع المقاومين لوضع التعديلات، وكان التحرير النهائي للمقاوم الشهيد عبد الفتاح سباطة فهو من قام بالصياغة النهائية، وأشير هنا إلى أن سباطة كان مقاوما وتعرض للمحاكمة إبان الاستعمار الفرنسي وهو لم يبلغ بعد سن الرشد (17 سنة) في فترة الاستعمار. نقطة أخرى متعلقة بالبيان، وجبت الإشارة أن الإعلان عنه

بعقد ندوة صحفية حضرها جميع المقاومين بالجزائر، ولا زلت أحتفظ بتسجيلات لمداخلاتهم في شريط صوتي "كاسيت"، يشرحون فيه مواقفهم من قضية الصحراء ويتحدثون عن مراحل تحريرها.

مواقفنا المتعلقة بقضية الصحراء ظلت تشكل إخراجا للسلطات الجزائرية، والتي كانت في حاجة لأطراف من المعارضة تكون بجانبها، لكن شريطة استعمالها فقط كورقة ضد النظام المغربي، لكن هؤلاء المناضلين ظلوا متمسكين بوطنيتهم واستقلالية قراراتهم وأسواق لكم بعض الأمثلة في ذلك.

فضلال هاته المرحلة كانت للإعلام أهمية كبيرة، لذلك كنا نصدر منشوراتنا باللغتين، العربية والفرنسية، وتكفل الفروع الحزبية بأوروبا بترجمتها إلى باقي اللغات، كالإسبانية والهولندية والفلامانية.. وكان الموقف من الصحراء يتم

توضيحه على هذه الشاكلة على المستوى الأوروبي، أي ربط النضال من أجل سيادة الشعب في إطار ديمقراطي، ورفض تقسيم الصحراء بين المغرب وموريطانيا.

هذا الموقف عبرنا عنه في إطار العلاقة مع الأصدقاء الجزائريين، ونقوم بتعميمه على مستوى النشر وفق هذه الصياغة داخل الجزائر.

في فترة من الفترات سيطرح على الجزائريين حاجتهم إلى إعلام مساند لهم، وسيتزامن



الوالي مصطفى كان ناشطا وحدويا بالجامعة المغربية.

في يوم من الأيام، سيلقى علي القبض وسأسجن لمدة عام ونصف في أبعش سجن بالجزائر، سجن "البرواكية"، الذي يعود إلى عهد مرحلة الاستعمار الفرنسي، وبعد انتهاء مرحلة الاعتقال، سأخضع للإقامة الجبرية. وسيقولون لي ستؤدي الثمن عنك وعن الحسين الخضار بالنيابة لأنه رفض التعاون مع السلطات الجزائرية.

♦ يوسف رزين

الجزور الوسيكية لقضية الصحراء



♦ يوسف رزين

سيجيب عن هذا السؤال بالإشارة إلى الحرب الباردة وما اقتضته من حروب بالوكالة بين المعسكرين الشرقي والغربي. وهناك من سيحضر قليلاً في تاريخنا الراهن و يحيلنا على حرب الرمال سنة 1963 وما تركته من خدوش في نفسية أقطاب النظام الجزائري. غير أن الجواب على هذه الأسئلة يكمن في نظرنا في أحداث فترة أقدم بكثير من حرب 1963. فترة كانت هي المحدد الرئيس لسلوك من يحكم الجزائر تجاه المغرب مستقبلاً، وهي الفترة التي تؤرخ لعصر الدولة المرينية. فكيف ذلك؟

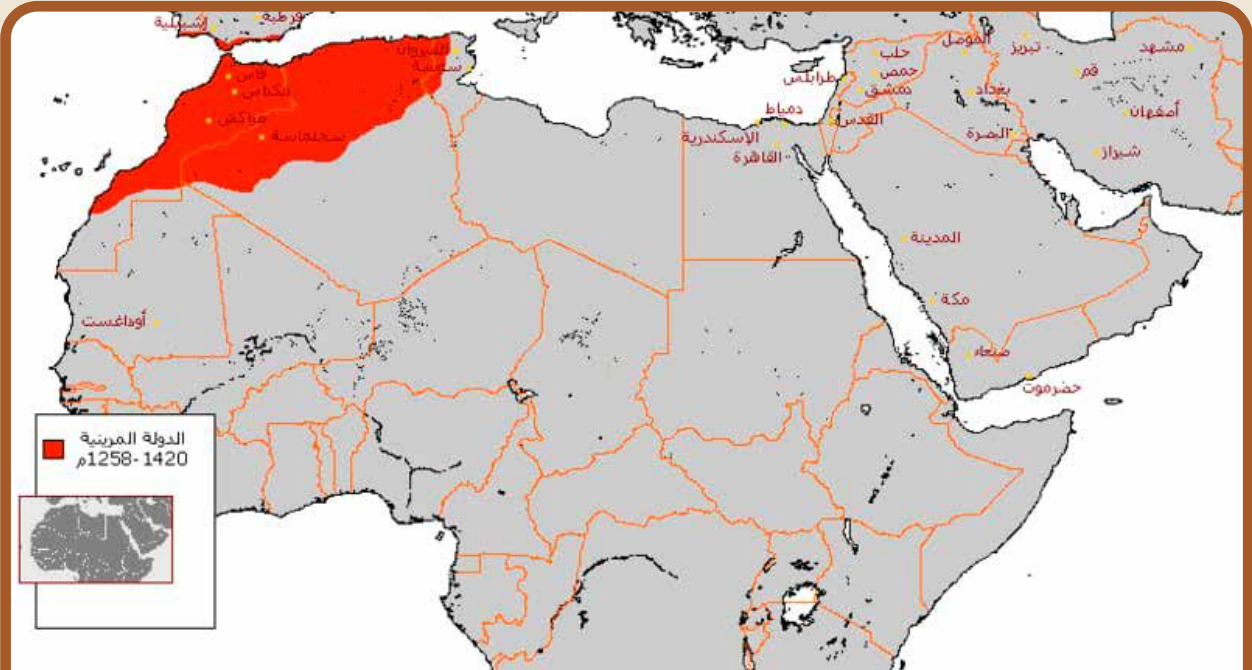
يحار المرء في فهم سلوك الدولة الجزائرية تجاه المغرب. كيف يعقل أن يشترك البلدان في اللغة والدين والعرق والجغرافيا، ومع ذلك تكون العلاقات بينهما بهذا المستوى من القطيعة والتدهور؟ كيف يكون هناك شعبان على هذا المستوى من التشابه والتماثل في العادات والتقاليد ومع ذلك يفصل بينهما جدار برلين من الريبة والتوجس؟ الواقع أن هذا التوجس ليس متبادلاً بدليل إعلان المغرب عن رغبته المتكررة في فتح الحدود وتطبيع العلاقات وإنهاء الخلافات العالقة. لكن النظام الجزائري مازال مصرًا منذ عقود على توتير علاقته مع المغرب، وذلك بمساندته لصنيعته البوليساريو في مطالبها الانفصالية بدعوى مسانده لحق الشعوب في تقرير مصيرها! رغم أن هناك مطالب انفصالية في كل من إقليم الباسك بإسبانيا وجزيرة كورسيكا بفرنسا، ومع ذلك لا تلقى اهتماماً من النظام الجزائري. فلماذا يا ترى يساند هذا النظام حركة البوليساريو الانفصالية ويرغب في فصل المغرب عن أقاليمه الجنوبية؟ ولماذا يستميت في ذلك جاعلاً منه عقيدة سياسية وعسكرية لا يتزحزح عنها؟ ما السبب يا ترى؟ طبعاً هناك من

السلطان أبو يوسف على معظم بلاد المغرب حتى توجه لإقليم سجلماسة لإعادته إلى حظيرة الوطن وهو ما كان حيث انتزعه من يغمراسن بعد معارك ضارية. وهو ما يعبر عنه ابن خلدون بالنص التالي: "وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبي يوسف وتمت طاعته في أقطاره فلم يبق أي معقل يدين بغير دعوته"، ما يعني مرة أخرى أن **الصحراء الممتدة من سجلماسة إلى بلاد القبلة (مالي) تتبع تاريخياً للمغرب باعتراف ابن خلدون**، الذي عبر عنه بالجملة التالية: "وكمل فتح بلاد المغرب". ويضيف ابن خلدون قائلاً: "ولما كملت له نعم الله في استيساق ملكه وتهديد أمره انصرف إلى الغزو وإثارة طاعة الله بجهاد أعدائه واستنقاذ المستضعفين وراء البحر من عباده"، ما يعني أن ما كان يمنع السلطان المريني عن الجهاد في الأندلس ونجدة أهلها هو انشغاله باستكمال فتح بلاد المغرب والقضاء على الثورات بها ورد هجمات يغمراسن. وهو ما يعبر عنه ابن خلدون قائلاً: "وفي أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادي بالمسلمين من وراء البحر والملا من أهل الأندلس يفتدون على أمير المسلمين أبي يوسف للإعانة والنصر.. فلا يجد مفرغاً من إلى ذلك مما كان فيه من مجاذبة الجبل مع الموحدين ثم مع يغمراسن ثم تشغله بفتح المغرب وتدويخ أقطاره... استكمل أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة إحدى وسبعين وستمئة على أن بني مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون إليه وفي نفوسهم جنوح إليه وصاغية". وهو ما كان حيث أرسل السلطان المريني جيوشه إلى الأندلس لملاقاة النصارى فحاربوهم وانتصروا عليهم وقتلوا زعيمهم دننه وبذلك تمت نجدة الأندلس.

لكن رغم ذلك فإن هذا الانتصار المريني على النصارى لم يرق لابن الأحمر. لقد رأى أمير غرناطة في هذا الانتصار مقدمة لسيناريو يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد. لذلك قرر بدون تردد تشكيل تحالف ثلاثي مع حاكم قشتالة ويغمراسن ضد الدولة المرينية لمنعها من إجازة البحر نحو الأندلس. يقول ابن خلدون: "لما أجاز أمير المسلمين إلى العدو إجازته الأولى ولقي العدو بأستجة و قتل دننه بأيدي عسكره وضع له من الظهور والعز ما لا كفاء له، ارتاب ابن الأحمر مكانه فبدأ له من ذلك ما لم يحتسب وظن بأمير المسلمين الظنون واعترض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الأندلس" ويضيف "واتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الإجازة وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم في مشاققة السلطان وإفساد ثغوره وإنزال

يريد تلمسان. لكن حدث أن استنجد به الأندلسيون لإنقاذهم من وطأة العدو القشتالي. كان أبو يوسف آنذاك قد وصل إلى أنكاد، وقرر أن يجنح إلى السلم مع يغمراسن إيثارة للجهاد. فأرسل جماعة من الأشياخ للإصلاح بينهما. لكن يغمراسن رفض الصلح وأصر على الحرب وهو ما كان، فانهزم رغم استعانتهم بالمرتزقة النصارى وفر إلى تلمسان محتماً بأسوارها، في حين حاصره السلطان أبو يوسف لمدة من الزمن ثم قفل راجعاً إلى فاس. رغم انتصار أبي يوسف على عدوه إلا أنه لم يقرر الجواز إلى الأندلس، لأنه في واقع الأمر لم يكن قد استكمل إخضاع كل أقاليم المغرب الأقصى، حيث تبقى له فتح إقليم سجلماسة. يذكر أن هذه المدينة خضعت للأمير المريني يحيى بن عبد الحق والذي جعل يوسف بن يزكاسن والياً له عليها وعلى بلاد درعة وبلاد القبلة. فهذا **الوالي إذن كان يحكم المنطقة الممتدة من سجلماسة إلى دولة مالي تحت راية الدولة المرينية المغربية. أي أن كلا من الصحراء الشرقية والغربية كان يتبع تاريخياً للمغرب منذ هذا العهد وما قبله أيضاً**. وبعد وفاة هذا الوالي تولى إدارة سجلماسة الوالي عمر بن عمر لكن بعد وفاته دخلها يغمراسن واستتبعتها لدولته. ولهذا فما أن سيطر

بداية نقول إن هناك مبدأ عاماً في العلوم السياسية وهو أنه إذا أردنا أن نجد حلاً لمشكلة سياسية مستعصية، فعلى أن نعود إلى جذورها التاريخية. هكذا إذن نفهم كيف نشأت هذه المشكلة وكيف نسجت خيوطها الأولى وتحولت إلى عقدة سياسية مستدامة. وهو ما نعالجه مع جيراننا الشرقيين. تبدأ رحلتنا إذن مع انهيار الدولة الموحدية وتفككها إلى دول مستقلة. في الشمال ظهرت دولة بني الأحمر بغرناطة، وفي المغرب الأقصى ظهر المرينيون، وفي المغرب الأوسط ظهر بنو عبد الواد، وفي المغرب الأدنى ظهر الحفصيون. لم يكن استيلاء المرينيين على الحكم بالمغرب سهلاً إذ قضاوا فترة لا بأس بها في تهديد البلاد والتصدي لهجمات الإيبيريين ومواجهة بقايا الموحديين ومعاناة دسائس ومؤامرات بني عبد الواد. وهو ما جعل السلطان أبا يوسف المريني مباشرة بعد تغلبه على الموحدين وفتح مراكش يقرر الانتقام من بني عبد الواد. وهو ما يعبر عنه ابن خلدون بالنص التالي "لما غلب السلطان أبو يوسف على بني عبد المومن وفتح مراكش واستولى على ملكهم سنة ثمان وستمئة وعاد إلى فاس كما ذكرنا، تحرك ما كان في نفسه من ضغائن يغمراسن وبني عبد الواد وما أسفوا به من تخذيل عزائمهم ومجادبتهم عن قصده"، فارتحل بجيشه



امتداد دولة المرينيين إلى الصحراء الشرقية.

الجزور الوسيكية لقضية الصحراء

يلاحظ في هذه الأثناء خروج الناصر طلحة بن علي البطوي بصحراء درعة متزعا قبائل بني حسان المعقلية فغزاهم السلطان وشتت جمعهم. ثم لما عاد السلطان إلى فاس خرج عليه ابنه ابو عامر براكش بمساعدة عاملها محمد بن عطو، ما أجبر السلطان على العودة إلى مراكش فهرب ابنه ووزيره محمد بن عطو إلى تلمسان. ما يعني أن هذا التمرد كان من تدبير عثمان بن يغمراسن ولذلك طلب منه السلطان تسليمه المتمردين الفارين لديه لكنه أي، بل واعتقل رسوله إليه فقرر السلطان عندها غزو تلمسان.

نخلص مما سبق إلى أن هذه التمردات بالأقاليم الجنوبية للمغرب لم تكن عفوية أو وليدة الصدفة بل كانت من تدبير الحلف القشتالي الغرناطي التلمساني لإشغاله عن الإجازة إلى الأندلس. وهو ما يوضحه ابن خلدون في النص التالي: "ولما ارتاب ابن الأحمر مكان السلطان يعقوب بن عبد الحق من الأندلس وحذره على ملكه وتظاهر مع الطاغية على منعه من الإجازة إلى عدوتهم، خشوا أن يستقلوا بمدافعتهم، فراسلوا يغمراسن في الأخذ بحجزته وأجابهم إليها وجرده عزائمها، واتصلت أيديهم في التظاهر عليه." يبقى القول أن دور تلمسان لم يقتصر على مشاغلة المغرب لمنعه من الجواز إلى الأندلس بل أيضا لمنعه من

التمدد شرقا وربط الصلة بإفريقيا وبجاية وإعادة إحياء الدولة الموحدية. كان دور تلمسان إذن هو أن تحارب المغرب وتحارب بقايا الموحدين بشرق أرض المغرب وتمنع أي اتصال بينهما. يقول ابن خلدون: "وهلك يغمراسن بن زيان... وأوصى ابنه عثمان ولي عهده... فلا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقاءهم، فليس لك في ذلك مقام معلوم... واجهد جهدك في التغلب على إفريقية وراءك، فإن فعلت كانت المناهضة... وهذه الوصاية -زعموا- هي التي حملت عثمان وبنيه من بعده على طلب إفريقية ومنازلة بجاية وحرهم مع الموحدين". كما يوضح ابن خلدون كيف أن صاحب تلمسان شكل حلفا ثلاثيا مع قشتالة وغرناطة ضد المغرب فيقول: "كان عثمان بن يغمراسن بعد إخراج السلطان سنة تسع وثمانين وستمائة وانتقاص الطاغية وابن الأحمر عليه كما قلناه، صرف إلى ولايتهما وجه تدبيره وأوفد على الطاغية ابن بريدي من صنائع دولته سنة اثنتين وتسعين وستمائة ورجعه الطاغية الريك ريكسن رسول من كبار قومه... واعتدها السلطان عليه وطوى على النكث". و أمام هذا التآمر العبد وادي الذي لا يكل، قرر السلطان المريني غزو تلمسان. فحاصرها وبنى قبالتها مدينة المنصورة لتثديد الخناق عليها. كما قام الموحدون ببجاية بالتحالف مع السلطان يوسف بن يعقوب وساعده بأساطيلهم ضد

المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه و اتبع آثارهم إلى الساقية الحمراء اخر العمران من بلاد السوس". و بعد تشتيته لجحافل الأعراب جنوب المغرب اتجه السلطان أبو يوسف إلى منازل النصارى بالأندلس في جيوش ضخمة فهزمهم في عدة معارك وهو ما أجبر ملكهم شانجة على طلب السلم، فأرسل لأجل ذلك وفدا من بطارتهم لكن السلطان رفض طلبهم. فما كان من ملك قشتالة إلا أن عاود مرة أخرى طلب الصلح منه. يقول ابن خلدون: "و أوفد على أمير المسلمين من

العوائق به المانعة من حركته والأخذ بأذياله عن النهوض إلى الجهاد، وأسفوا فيما بينهم الإنصاف والمهادنة.. وأصفت أيديهم جميعا على السلطان ورأوا أن قد بلغوا في إحكام أمرهم وسد مذهبهم إليهم واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو براكش". و حينما علم السلطان المريني بأمير الحلف الذي عقده يغمراسن مع ملك قشتالة وابن الأحمر بعث إليه من أجل الصلح حتى يتفرغ للجهاد في الأندلس، لكن غريمه رفض وأصر على العداوة. يقول ابن خلدون: "واستيقن ما دار بينه وبين الأحمر والطاغية ابن أخي ادفونش من الاتصال والإصفاق فبعث إليه في تجديد الصلح والاتفاق فلج وكشف الوجه في العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العداوة مسلمهم وكافرهم من الوصلة، وأنه معتزم على وصل بلاد المغرب، فصرف أمير المسلمين عزمه إلى غزو يغمراسن.. و قفل إلى فاس.. وأعاد الرسل إلى يغمراسن لإقامة الحجة عليه والتحلي بمسألة بني توجين والتجافي عنهم لمواالاتهم أمير المسلمين فقام يغمراسن في ركائبه و لج في طغيانه". وهنا حسم السلطان أبو يوسف أمره و قرر محاربة يغمراسن: "واشدت القتال سائر النهار وانكشف بنو عبد الواد عندما أراح القوم و انتهب جميع مخلفهم وما كان في معسكرهم من المتاع والكرع والسلاح



امتداد الدولة المرابطية إلى الجزائر وحتى أقاصي إفريقيا.

بطارتهم وقمصامتهم وأساقفتهم يخطبون السلم و يضرعون في المهادنة والإبقاء ووضع أوزار الحرب، فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم. ثم أعادهم الطاغية بتزديد الرغبة على أن يشتط ما شاء من عز دينه وقومه، فأسعفهم أمير المسلمين وجنح إلى السلم لما تيقن صاغيتهم إليه وذلكهم لعز الاسلام واشتط عليهم ما تقبلوه عن مسالة المسلمين بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة". توضح الجملة الأخيرة من هذا النص ما كان يقوم به ملك قشتالة ممثلا في سياسة "فرق تسد" وإشغال المسلمين ببعضهم البعض كما يفعل مع بني عبد الواد وغرناطة ضد المغرب. المثير هنا هو قيام ابن الأحمر سلطان غرناطة بمراسلة الطاغية (ملك قشتالة) للتحالف معه ضد المغرب. لكن ملك قشتالة سيرفض طلب ابن الأحمر وسيرده خائبا حذرا من إغصاب سلطان المغرب. يقول ابن خلدون: "ووفدت رسل ابن الأحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين وعلى مدافعتهم عنه فأحضرهم بمشهد ابن الترجمان واسمعهم ما عقد لأمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال لهم، إنما انتم عبيد أبائي فليست معي في مقام السلم أو الحرب، وهذا ملك المسلمين ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا".

والفساطيط ويات معسكر أمير المسلمين ليلتهم في سهوات خيلهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلات أيدي بني مريم من نعمهم وشائهم ودخلوا بلاد يغمراسن وزناته.. وأخذ هو بمخنق تلمسان.. ثم أخرج عنها وقفل إلى المغرب ودخل فاس.. ثم نهض إلى مراكش.. و سرح ابنه الأمير أبي يعقوب إلى السوس لتدويخ أقطاره". نلاحظ هنا أنه مباشرة بعد حصار أبي يوسف لتلمسان اندلعت ثورة الاعراب بالسوس. وهو أمر سيكرر كثيرا في تاريخ الدولة المرينية. أي أن هؤلاء الأعراب القاطنين بالمناطق الجنوبية للمغرب منذ عهد الدولة الموحدية بأمر منها كان يتم تحريكهم من طرف الحلف القشتالي الأندلسي التلمساني لمشاغلة المغرب وصرف انتباهه عن هدفه الأساسي وهو الجهاد في الأندلس أو محاربة الذين يصدون عن هذا الجهاد كيغمراسن. فتلمسان تشغل المغرب عن الجهاد في الأندلس وحينما يقرر معاقبتها يقوم الأعراب في جنوب المغرب بمشاغلته. لكن رغم هذه المشاغلة من طرف الأعراب تمكن الأمير أبو يعقوب من القضاء على تمردهم وهو ما يعبر عنه ابن خلدون قائلا: "وسرح الأمير أبا يعقوب ولي عهد بالعسكر إلى بلاد السوس لغزو العرب وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج

الجزور الوسيكية لقضية الصحراء



امتداد دولة الموحدين إلى كل شمال إفريقيا والأندلس.

ثم على بلاد بني توجين... ثم زحف أبو حمو إلى الجزائر و لب ابن علان عليها ونقله إلى تلمسان... وردد البعوث غلى أوطان بجاية وابتنى الحصون لتجمير الكتائب، فابتنى بوادي بجاية من أعلاه حصن بكر... واستحثه أمراء الكعوب من بني سليم ملك افريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبي يحيى فأغرس معهم جيوش زناتة... وكانت حروبهم سجالا".

وأمام هذا الواقع قرر سلطان بجاية أبو يحيى الاستنجد بالمرينيين. وهنا سيتشكل ما يمكن أن نصفه بحلف الموحدين الجدد ضد تلمسان والممالك النصرانية، على اعتبار أن المرينيين كانوا يعتبرون أنفسهم استمرارا للموحدين و تونس وبجاية التي تصفها المصادر صراحة بـ "الموحدين". وقد تمت هذا الحلف المريني البجائي بالمصاهرة التي تمت بين ولي العهد المريني الأمير أبي الحسن وابنة السلطان أبي يحيى حيث "زفها إليه في أساطيله مع مشيخة من الموحدين".

توفي السلطان أبو سعيد وتولى بعده ابنه السلطان ابو الحسن فكان أمامه هدفان : الانتهاء من مشاغلة بني عبد الواد للمغرب والقضاء على دولتهم للاتفات للمشاكل الأهم الذي يؤرق الدولة المرينية وهو استعادة ما ضاع من أراضي الأندلس من يد النصارى والتي استولوا عليها في غمرة انشغال المغرب بمشاكله مع الأعراب و بني عبد الواد.

كان أبو الحسن يفهم جيدا أسلوب بني عبد الواد. فهو ما أن يحاصرهم حتى يلجأوا إلى مشاغلتهم بتمرد أخيه الأمير أبي علي حاكم سجلماسة. ولهذا قرر أولا أن يستوثق من ولاء أخيه له، وهو ما كان. يقول ابن خلدون: "لما هلك السلطان أبو سعيد و كملت بيعة السلطان أبي الحسن وكان كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبي علي. فأراد مشاركة أحواله قبل النهوض إلى تلمسان، فارتحل معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة وتلقته في طريقه وفود الأمير أبي علي مؤديا حقه، موجبا مبرته.. قانعا من تراث أبيه بما حصل في يده طالبا العقد له بذلك من أخيه.. فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل، وعقد له على سجلماسة و ما إليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما..". ثم اتجه بعد ذلك الى تلمسان "... وانكفأ راجعا الى تلمسان لإجابة صريح الموحدين" لكن ما إن اقترب جيش السلطان من هدفه حتى أعلن أخوه الأمير أبو علي عن تمرده بتنسيق مع صاحب تلمسان. يقول ابن خلدون: "لما توغل السلطان أبو الحسن

بالسوس في تارودانت مقره فافتتحها عليه عنوة و قتله و اصطلم نعمته وأباد سلطانه وأقام لبني مرين في بلاد القبلة ملكا وسلطانا".

يوضح هذا النص إذن المناطق الصحراوية التي كانت تابعة للدولة المرينية وهي توات وتيكورارين ومتمطيت وبلاد السوس وبلاد القبلة في إشارة مرة أخرى لنفوذ الدولة المغربية منذ العصر الوسيط على ما يسمى في الأدبيات الجغرافية بالصحراء الشرقية والغربية.

ونعود إلى موضوعنا ونشير الى أن قشتالة لم تجرؤ على مواجهة الدولة المرينية بشكل مباشر لقضم أراضي الأندلس بالتتابع بل كانت تلجأ في ذلك الى خطتها الأثيرة وهي سياسة الإشغال وتشتيت الانتباه سواء من خلال دعم المؤامرات الغرناطية التلمسانية الأعرابية على حدود المغرب أو بتدبير الانقلابات والخيانات من داخل البلاط المخزني الحاكم، وذلك من خلال وزراء وأمراء خونة. كل ذلك من أجل إرباك سياسة الدولة المرينية و صرف انتباهها عن الخطة القشتالية الحثيثة في القضم التدريجي والمتواصل للأراضي الأندلسية. وهو ما يوضحه النص التالي: "كان الطاغية شانجة بن ادفونش قد تكالب على أهل الأندلس من بعد أبيه هراندة الهالك سنة اثنتين وثمانين وستمائة ومنذ غلب على طريف وشغل السلطان يوسف بن يعقوب بعدوه يغمراسن ثم تشاغل حقدته من بعده بأمرهم وتقاصرت مددهم. وهلك شانجة سنة ثلاث وسبعين وولى ابنه هراندة ونازل الجزيرة الخضراء ففرضه الجهاد لبني مرين حولا كاملا، و نازلت أساطيله جبل الفتح واشتد الحصار على المسلمين وراسل هرانده بن ادفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الأندلس من ورائهم ويأخذ بحجزتهم. فنازل المريية و حاصرها الحصار المشهور سنة تسع وسبعمئة ونصب عليها الالات... واستقام أمرهم على ذلك، وشغل السلطان أبو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه، فاهتبل النصرانية الغرة في الأندلس وزحفوا إلى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمئة وأناخوا فيها بعسكرهم وأمهم".

كما أن انشغال المغرب بمشاكله الداخلية شجع تلمسان أيضا على قضم أراضي الموحدين في بجاية وتونس. يقول ابن خلدون: "واستقل أبو حمو مملك بني عبد الواد على راس الحول منها. وصرف نظره واهتمامه إلى بلاد المشرق فتغلب على بلاد مغراوة

يغمراسن. لكن في هذه الاثناء تدخل ابن الأحمر لاحتلال سبتة لإشغال السلطان عن فتح تلمسان وفك الحصار عنها، فأرسل أبو يوسف ابنه إبا سالم لمعالجة هذا الموقف. لكن وكان هذا الإشغال في شمال المغرب لم يكن كافيا فاندلع بعد ذلك تمرد بني كندوز بنواحي مراكش فحاربهم الأمير يعيش بن يعقوب وشردهم بصحراء سوس ودمر قاعدتهم تارودانت.

نخلص مرة أخرى من كل ما سبق أن هذه التمردات لم تكن عفوية بل كانت بتحريض من الحلف الثلاثي : تلمسان وغرناطة و قشتالة. غير أن أعمال هذا الحلف لم تقتصر على تدبير الثورات عند أطراف المغرب بل امتدت الى اختراق أجهزة الدولة وشراء ولاء رجالاتها وتدبير الاغتيالات لسلاطينها. وهو ما حدث مع السلطان أبو يوسف يعقوب. فما دام أنه لم يفك حصاره عن تلمسان رغم مهاجمة سبتة من طرف ابن الأحمر وتحريض بني كندوز على التمرد والثورة، فإنه تم في هذه الحالة اللجوء إلى تحريض أحد خدم السلطان على اغتياله علما أن هذا الخادم كان من موالي ابن الملياني الذي سبق أن خان ثقة السلطان و سبب في مقتل أشياخ المصامدة الموحدين بتزويره كتابا عن السلطان يأمر فيه عامله على مراكش بقطع رؤوس هؤلاء الأشياخ، ثم فر بعد ذلك إلى تلمسان ثم بعدها إلى الأندلس. ما يعني أن البلاط المريني كان مخترقا على أعلى مستوى وأنه كان يعج بعملاء أعداء الدولة المرينية. و لذلك لم يكن صعبا عليهم اغتيال السلاطين المرينيين. وهو الأمر الذي تكرر بكثرة في تاريخ هذه الدولة.

إذن باغتيال السلطان أبو يوسف يعقوب انتهى أمر الحصار وتم فكه عن تلمسان. فتولى السلطان أبو ثابت الحكم وعاد إلى المغرب حيث سجد نفسه مشغولا بتهدئة ثورات الأعراب في كل من مراكش وبلاد السوس و تامسنا ورباط الفتح وأزغار وبلاد الهبط وغمارة وأصيلة والعرائش وطنجة. كما حاصر سبتة و شيد لحصارها مدينة تيطاوين وأثناء ذلك اعتلت صحته وتوفي بعد أيام قلائل ما يجعلنا نرجح تعرضه للتسميم. وتولى الحكم بعده السلطان أبو الربيع الذي رغم أنه وادع صاحب تلمسان وعقد معه السلم إلا أنه لم يسلم من مؤامراته وحمايته للخارجين عليه ما جعل المرينيين يعزمون على معاقبته مباشرة بعد تولي السلطان أبي سعيد.

قرر هذا السلطان سنة 714 هـ غزو تلمسان جراء مؤامراتها المستمرة على المغرب واتجه بجيشه إليها و ترك ابنه أبا علي بفاس نائبا عنه. و لأن المخزن المريني لم يكن يخلو من اختراق فإن هذا الأمير تمرد على أبيه ودعا لنفسه مستعينا بخاله قائد المرتزقة النصارى بالجيش المريني. ما يعني أن هذا القائد النصراني كان له ولاء لقشتالة فمارس خطتها الأثيرة مع المغرب تحت شعار: إشغال الدولة المغربية كلما همت بمواجهة أعدائها.

لكن رغم تمرد الأمير ابو علي واستعانتها بالمرتزقة النصارى فإن غالبية رجالات الدولة المرينية وعلى رأسهم الأمير أبي الحسن ظلوا على ولائهم للسلطان أبي سعيد. ما دفع الأمير أبا علي لطلب الصلح من والده. فتراضى الطرفان على أن يعود السلطان لحاضرة ملكه بفاس و ينتقل الأمير ابنه إلى سجلماسة حاكما لها باسم والده السلطان أبي سعيد.

يقول ابن خلدون: "ونزل الأمير أبو علي على سجلماسة فأقام بها ملكا ودون الدواوين واستخدم ظواعن العرب من المعقل وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات و تيكورارين ومتمطيت و غزا بلاد السودان فافتتحها وتغلب على ضواحيها وأنخن في أعرابها من ذوي حسان و الشبانان وركنة حتى استقاموا على طاعته وبيت عبد الرحمن بن الحسن بن يدر أمير الأمصار

الجزور الوسيكية لقضية الصحراء

من جهة الشمال كسبتة أو غمارة أو من جهة الجنوب كمنطقة سكساوة. المهم ان يظل السلطان في انشغال دائم مع الثورات المحيطة ببلاده من كل جانب فلا يفكر أبداً في توحيد أرض المغرب وإعادة بعث الدولة الموحدية ومواجهة الممالك النصرانية بأوروبا الطامحة إلى الاستيلاء على الأندلس والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط دون المغرب.

ورغم أن السلطان أبا عنان قضى على هذا التمرد وتابع مسيره للسيطرة على تونس إلا أنه في النهاية فشل في تحقيق مسعاه حيث تمرد عليه أشياخه رافضين الاستمرار في حملته العسكرية و انتهى به الأمر مغتالا خنقا بتدبير من وزيره الحسن بن عمر.

سارت الأمور بعد ذلك في الدولة المرينية على هذا المنوال ولم تخرج عنه. فكلما تولى سلطان أو وزير حكم المغرب إلا وحاول السيطرة على تلمسان. كما أن الحلف القشتالي الأندلسي التلمساني الأعراي كان لا يكف عن مهاجمة المغرب وتدمير الثورات في شمال المغرب وشرقه وجنوبه حتى انهارت الدولة المرينية وتقلص ظلها وصارت أرض المغرب طعمة لقبائل الأعراب، تعيث فسادا في سهولها كيفما شاءت. لكن في المقابل اختفت غرناطة من الوجود وهاجر أهلها منها وأتم القشتاليون حلمهم القديم في السيطرة على كامل أرض الأندلس. أما التلمسانيون فبعد طول معاناة وتآمر ضد المغرب فإنهم ارتضوا بدون مقاومة الاحتلال العثماني لبلدهم. وأما المغرب فقد نهض من جديد تحت اسم الدولة السعدية التي وإن كان قد فقد معها مجاله الأندلسي والمغاربي فإنه حافظ على امتداده الصحراوي الإفريقي واستمر ذلك حتى مع الدولة العلوية. في المقابل فإن بني عبد الواد ظلوا مستكينين للاحتلال العثماني ومن بعده الاحتلال الفرنسي، حتى حصول الجزائر على استقلالها سنة 1962 مع ما يعنيه ذلك من انبعاث للإحن القديمة تجاه المغرب.

إذن بناء على ما سبق، نفهم أن الجزائر الحالية لا يمكن أن تنسى تاريخها المتوتر مع المغرب. لقد ترك هذا التاريخ رُهاباً عميقاً تجاه جارها الغربي. فهي تتخيله دائماً على وشك الانقضاض عليها. لذلك فما من شيء لديها كفيلاً بتهديته

هذا الرُهاب غير إشغال المغرب بمشكل انفصالي على حدوده الجنوبية عن طريق صنيتها البوليساريو. إن استمرار هذا المشكل هو بالنسبة للدولة الجزائرية الحالية استمرار لوجودها ونهايته معناه فراغ المغرب من أي عائق يمنعه من اكتساح الجزائر. هكذا إذن يتمثل حكام قصر المرادية علاقتهم مع جارهم الغربي ولا يبدو أنه باستطاعتهم التخلص من فويبا العصر المريني. ولذلك فهم مستعدون لبذل الغالي والنفيس لاستمرار مشكلة الصحراء وصنيتها البوليساريو، فهي بالنسبة لهم صمام أمان ضد اكتساح مغربي مفترض لبلادهم.

هذه باختصار قصتنا مع جارنا الشرقي وهذا سبب عداؤه المزمّن لنا والذي للأسف لا يمكن أن ينتهي بين ليلة وضحاها، رغم التأكيدات المستمرة للمغرب عن رغبته الجادة في بناء علاقات حسن الجوار مع جارنا الشرقية أسيرة الرُهاب المريني.

ملحوظة: سيتم نشر هوامش المقالة في النسخة

الإلكترونية www.attarik.net

ابنه أبو عنان معلنا نفسه سلطانا على المغرب، بينما توفي هو محاصرا بجبل هنتاتة. وعادت أرض المغرب الى التشظي من جديد. وتولى الحكم بعد ذلك أبو عنان و قرر بدوره استعادة السيطرة على المناطق المتمردة فغزا بني عبد الواد و "تقبض على أبي سعيد سلطانهم، فسيق إلى السلطان وأمر باعتقاله، وأطلق أيدي بني مزين من الغد على حلل العرب من المعقل، فاستباحوهم واكتسحوا أموالهم جزاء بما شروهوا إليه من النهب في المحنة في هيعة ذلك المجال. ثم ارتحل على تعبیه إلى تلمسان فاحتل بها لربيع من سنته واستوت في ملكها قدمه، و أحضر أبا سعيد فقرعه ووبخه وأراه أعماله حسرة عليه، و أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا، فافتوا بحرابته وقتله، وأمضى حكم الله فيه، فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله وجعله مثلا للآخرين". ثم تابع أبو عنان حملته فاستعاد سيطرته على باقي أرض المغرب.

نلاحظ هنا أن أبا عنان مباشرة بعد فتحه لبحاية سيندلج تمرد

في غزاة تلمسان وتجاوزها إلى تسالة لوعده مولانا السلطان أبي يحيى دس أبو تاشفين إلى الأمير أبي علي في اتصال البدو والاتفاق على السلطان أبي الحسن وأن يحتل كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه متى هم به وانعقد بينهما على ذلك.. و انتقض الأمير أبو علي على أخيه السلطان ونهض من سجدلماسة إلى درعة فقتل عامل السلطان واستعمل عليها من ذويه وسرح العسكر إلى بلاد مراکش". وعلى إثر ذلك اضطر السلطان أبو الحسن إلى العودة مسرعا إلى سجدلماسة ومحاصرتها واقتحامها بالقوة. ثم عاد بعد ذلك لمحاصرة تلمسان وبعد فترة تمكن من اقتحامها ليشرع بعد ذلك في الاستعداد للجهاد في الأندلس.

توضح سياسات الدولة المرينية أن شغلها الشاغل كان هو حماية الأندلس من تعديتات النصارى و قضمهم التدريجي لأراضيها. والذي ما كان ليحدث لولا سياسة الإشغال التي اتبعها بنشاط عدوها بتلمسان وأعراب الصحراء. وهو ما يوضحه ابن خلدون في النص التالي: "لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما اتبع ذلك من الأحوال، صرف اعترامه إلى الجهاد لما كان كلفا به. وكان الطاغية منذ شغل بنو مزين عن الجهاد منذ عهد يوسف بن يعقوب وقد اعتزوا على المسلمين بالعدوة ونازلوهم معاقلمهم، و تغلبوا على الكثير منها، وارتجعوا الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد في عقر داره بغرناطة، ووضعوا عليهم الجزية فتقبلوها وأسفوا إلى التهام المسلمين بالأندلس. فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وغلب على الأيدي يده و انفسح نطاق ملكه، دعته نفسه إلى الجهاد".

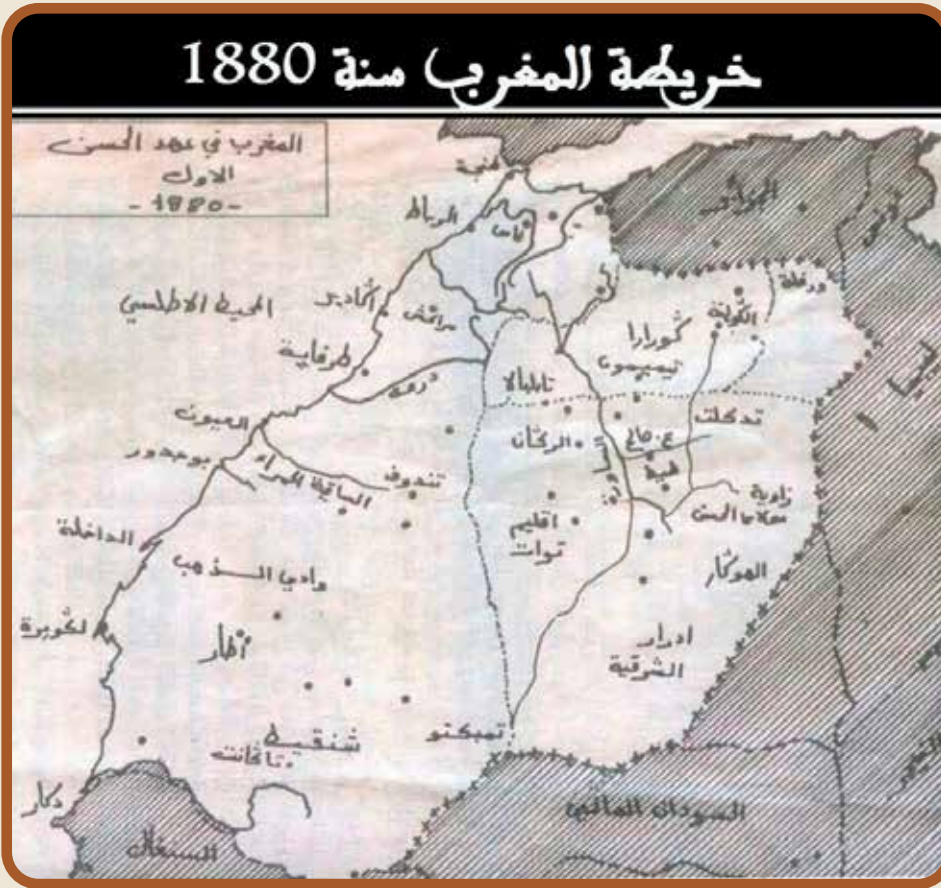
و هكذا سيتعد الأسطولان المريني و البجائي وينتصران على أسطول النصارى في معركة الملمند، لكن الممالك النصرانية ستنتصر على المسلمين في معركة طريف والجزيرة بفضل اتحادها و خيانة الوزير عسكر بن تاحضريت الذي تكاسل عن عمد في مدافعة العدو.

قرر السلطان أبو الحسن بعد هزيمة جيشه في طريف والجزيرة أن يركز أكثر على توحيد أرض المغرب مميئا النفس ربما بإعادة الكرة مرة أخرى في الأندلس، فضم إليه بحاية وقسنطينة وتونس والقيروان، وفرض الأمن والنظام بها ومنع الأعراب من فرض إتاواتهم على التجار والمسافرين، فقرروا التمرد عليه وطبعا بمساعدة

وتحريض من مملكة أراغون. فالممالك النصرانية لم تكن تجد أفضل من الأعراب لمشاغلة المرينيين منعا لهم من التفكير في الجهاد في أرض الأندلس. وهو ما يوضحه النص التالي:

"وتوافقت احياء بني كعب وحكيم جميعا بتوزر من بلاد الجريد فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت والتمسوا من اعياص الملك من ينصبونه للأمر، فدلهم بعض سماسة الفتق على رجل من أعقاب أبي دبوس فريسة بني مزين من حلفاء بني عبد المومن بمراكش عندما استولوا عليها. وكان من خبره أن أباه عثمان بن ادريس بن أبي دبوس لحق بعد مهلك أبيه بالأندلس وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بن دباب وهو أسير برشلونة فلما انطلق من أسره صحبه إلى وطن دباب بعد أن عقد قمص برشلونة بينها حلفا وأمدهما بالأسطول على مال التزامه له".

وطبعا بقية القصة معروفة حيث انهزم جيش أبي الحسن بإفريقية وقرده عليه أشياخه وعادوا إلى المغرب وانقلب عليه



ضده من طرف أخيه أبي الفضل الذي التحق بملك قشتالة "و جهز له أسطولا إلى مراسي المغرب وأنزله بساحل السوس فلقق بالسكسيوي عبد الله ودعا لنفسه". نفهم مرة أخرى من تصرف ملك قشتالة بإرساله للأمير أبي الفضل مع دعم عسكري إلى جنوب المغرب أنه كان يلجأ لسياسة "الإشغال" لمنع السلطان أبا عنان من إتمام سيطرته على كامل أرضي المغرب. لأن هذا الهدف إذا تحقق معناه هو إعادة إحياء دولة الموحدين واتفاق شعوبها على محاربة الناصري في الأندلس. لقد كانت سياسة الممالك النصرانية في أوروبا هو حصر الدولة المرينية داخل الحدود الترابية للمغرب الأقصى ومنعه من التمدد شمالا وشرقا. لذلك حوصر المغرب من طرف أعدائه الأندلسيين شمالا والتلمسانيين شرقا بدعم وتحريض من قشتالة.

كما لم تعدم قشتالة أمراء طموحين ومغامرين للاستيلاء على الحكم فكانت ترسلهم المرة تلو الأخرى بتنسيق مع غرناطة مع الدعم العسكري اللازم لهم للهجوم على المغرب، سواء

الوحدة الترابية، قضيتنا الوطنية.. وسؤال التحصين



♦ فاطمة تامني

لأن الأرض تشكل مكونا من المكونات الأساسية للذات الوطنية والحضارية، فاستكمال التحرير توطئه رؤية كفاحية تاريخية من منطلق النضال الوطني لتحرير الأرض في علاقتها بتحرير الإنسان والتي شكلت وتشكل، إلى جانب النضال السياسي من أجل التغيير الديمقراطي، والنضال الاجتماعي من أجل مناهضة الاستغلال والقهر وهضم حقوق الكادحين، وكذا النضال القومي من أجل القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر الصراع الوجودي الحضاري مع الكيان الصهيوني، تعاقبات تاريخية تقتضي مواقف واضحة وقرارات نضالية مرتبطة بضرورات وطنية وسياسية، أدت إلى تبني خيارات ومواقف خاصة في لحظات زمنية معينة بنسق سياسي وفكري واقتصادي، وتفاعل مع الحاجة إلى البناء الديمقراطي.

إن المغرب اليوم يعيش على وقع أعطاب نبوية طالت كافة المجالات والحقول، وأزمة مركبة تعمقت أكثر وتضاعفت تداعياتها على كل مناحي الحياة في ظل جائحة كورونا التي عرت واقع التهلل الصحي والاقتصادي والاجتماعي ببلادنا، كما أبانت عن عجز المنظومة الرأسمالية في حماية المواطنين والمواطنين، أمام تغول الرأسمال واستشراف الفساد ومأسسة الريع، في ظل استمرار حالة الانحسار السياسي ورهن الديمقراطية التي أخلفنا معها الموعد مرة أخرى، ونحن أمام استبدال جديد تسلل إلى المجتمع متوسلا بالفكر اللاعقلاني ومعاول التأخر التاريخي. وإذا كان تجاوز هذا الوضع المأزوم لن يتأتى بغير إطلاق إصلاحات سياسية عميقة تؤسس ملكية برلمانية وفصل حقيقي للسلط وربط للمسؤولية بالمحاسب، في إطار تأسيس ديمقراطية حقيقية، فإن تحصين الوحدة الترابية لا يمكن أن يتأتى بالتدبير الانفرادي للدولة المستأثرة بكل تفاصيل الملف ومستجداته وتطورات، واعتماد المقاربة الأمنية المبنية على التحكم وشراء الذمم وصناعة الأعيان، وتحريك تنظيمات المجتمع عند الأزمات، بدل الاعتماد على الذات الوطنية في كليتها، على اعتبار قضية الصحراء تهمة الجميع وهي قضية كل المغاربة..

إن إشراك تنظيمات وهيئات وفعاليات المجتمع، ينبغي أن ينطلق من مسؤولية واعية بكون قضية الوحدة الترابية قضية كل المغاربة فعلا، يجعلهم في قلب الدفاع عن القضية وتوفير المعطيات والأدوات اللازمة لذلك، بدل احتكار المعلومة وفتح المجال لاستغلال القضية الوطنية للاستفادة من الريع وتبذير المال العام والحصول على الامتيازات.

إن تحصين وحدتنا الترابية يتطلب شروطا ضرورية تستحضر البعد الإنساني في إطار التنمية الشاملة، مع القطع مع كل المقاربات الضيقة المؤطرة بالريع والابتزاز، أو الاحتواء بمنطق الزبونية. وبطبيعة الحال فالسياق والشرط الموضوعي يقتضي فتح ملف استكمال السيادة الوطنية على كل التراب الوطني، بما في ذلك مدينتي سبتة ومليلية والجزر التابعة لهما، لأنه لم يعد مقبولا أن تظل مناطق مغربية محتلة وخاضعة للاستعمار الإسباني.

إن الجواب العملي على الأطروحات الانفصالية والمحاولات الاستفزازية للبوليساريو مدعوما بالنظام الجزائري في منطقة الصحراء، واللذان يغذيان كل ما من شأنه أن يطور النزاع ويعمق التناقضات الموروثة عن القوى الاستعمارية والرد على المعادين لحق المغرب التاريخي في صحرائه، هو العمل على تقوية الجبهة الداخلية، وذلك بتأسيس ديمقراطية حقيقية والقطع مع الفساد والريع ونهب المال العام، ووضع حد لسن السياسات الاجتماعية والتفكيرية لعموم الشعب المغربي، وذلك من أجل مغرب قوي قادر على مواجهة التحديات والإجابة على الانتظارات والتطلعات المرتبطة بالتنمية بأبعادها الشاملة، فتحصين الوحدة الترابية والترافع عن قضية الصحراء في كل المحافل والمناسبات هو فعل وممارسة تتطلب الوعي بالتحديات وإدراك المخاطر، وهو ما يقتضي قوة مجتمعية قادرة على خوض معركة مواجهة الأطروحات العدائية، وهي عملية غير ممكنة إلا في أجواء الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية والمواطنة الحقة من أجل المساهمة في إيجاد الحل السياسي الذي يتيح تدبيرا ذاتيا لسكان المنطقة، في ظل سيادة وطنية مؤطرة بالديمقراطية الشاملة، في إطار مشروع مكتمل العناصر والمقومات والشروط الضرورية والموضوعية للتدبير المجالي الترابي، وهو المشروع الذي يرتبط ارتباطا جديا بالقيام بإصلاحات دستورية عميقة تقطع مع أخطاء الماضي وتضع المغرب في مصاف الدول الديمقراطية.

الطريق إلى الصحراء الوالي مصطفى السيد.. ماذا لو؟

حلت في يونيو الماضي، الذكرى الرابعة والأربعين لوفاة الوالي مصطفى السيد، أحد أبرز مؤسسي البوليساريو وأبرز منظري أطروحاتها في سنواتها الأولى وأول رئيس لـ "جمهوريةها"، بعد صد بري وجوي من طرف القوات الموريطانية وحلفائها في منطقة تجكجة، التي تبعد عن نواكشوط ب حوالي 200 كلم، لهجوم شنته البوليساريو على موريطانيا سنة 1976.



♦ كريمة خورشنا بنعثمان

سقط الوالي ضحية أفكاره وآماله الكبيرة في محاربة الجهل والأمية في مجتمع ارتبط جله بالترحال، ومحاربة المستعمر الإسباني، وبتوحيد مستقبل المنطقة المغربية... أفكار وآمال غداها تشبهه بالفكر اليساري التقدمي الاشتراكي، وتعارضت جملة وتفصيلا مع جزائر بومدين التوسعية التي تبحث عن تبعية كاملة للشباب الصحراوي الناصر لمخططاتها، ومع طموح قيادات شابة رأت في ما يؤمن به الوالي مصطفى السيد حدودا لها وقيودا للتسديد والتسلط للذات تعطش لهما البعض منذ الدفعات الأولى لسلاح القذافي.

آمن الوالي بأن القبيلة هي بطبعها معارضة للتنظيم السياسي ومناقضة له، ولا يمكنهما أن يتعايشا، فوجود نظام قبلي موازي لتنظيم سياسي كالدولة مثلا، يقوض كل ما تريد الديمقراطية أن تبنيه، حيث تستشري مظاهر الفساد والمحسوبية والانتهازية والتضييق على حقوق غير المنتمين للقبيلة السائدة، وهو ما يعني أن القبيلة تصبح نقيضا للديمقراطية والعدالة والكرامة والحرية، وتتفني حقوق الفرد والجماعة لفائدة فئة لن ترعى سوى مصالحها الخاصة، والتي ستكون فيما بعد سبب ضعف "الدولة"، خصوصا التي توطئها الأفكار الثورية والتي ستقهر الشعب وخاصة إذا كان شعبا طامحا للتحرر والانعتاق. ماذا لو بُعث الوالي الآن؟ لو أتيح له أن يعيش زماننا لُصِدِمَ من هول ما آلت إليه أمور "الجمهورية": اعتقالات واختطافات وتضييق على الحريات وأرصدة وحسابات لمسؤولي الجبهة في أوروبا وأمريكا اللاتينية وفي غيرها، وبقيت أغنيات كانت حماسية فأصبحت...

ماذا لو لم يمت بيد الغدر في سيف قانظ.. شابا في الثامنة والعشرين؟ هل كان سيرج بأهله في قبر تندوف وقحطها لعشرات السنين؟ هل كان سيزرع براءة سنوات الأطفال في معسكرات كوبا؟ هل كان سيرهن مستقبل المنطقة لعقود؟ هل كان سيرضخ لإملاءات حكام الجزائر ويرضي نزعاتهم التوسعية على حساب مبادئه مثلما فعل رفاق الأمس؟

ماذا لو قبل الوالي أو اقترح صيغة ما من صيغ الكرامة التي تخرج الصحراويين من جحيم لحمادة وتندوف، وهو الذي كان يعيد ترتيب الأوراق عندما بدأ التحكم في الجبهة لرميها كسهم اتجاه المغرب بعد خروج إسبانيا من الصحراء، وهو الذي دعا قبل اغتياله إلى ضرورة الجلوس إلى مائدة الحوار مع المغرب؟ فمن قتله قد عرف كيف يجهض فكره الوجودي، ولو إلى حين.

ماذا لو عاش الوالي؟

لكان جَنَّبَ الصحراويين والشعوب المغربية كثيرا من الحروب بالوكالة، وكان مناضلو حركات مثل "خط الشهيد" و"صحراويون من أجل السلام"، والذين أسقطوا ما تبقى من أوراق التوت عن قيادات جبهة البوليساريو، منخرطين الآن في بناء المستقبل الآمن الذي تستحقه كتيبان الصحراء.

بوليفيا:

ما خسرنه بالانقلاب سنعيده بالديمقراطية

◆ سفيران جناتي



أجل جميع البوليفيين وسنشكل حكومة وحدة وطنية"، وأكد على ضرورة إفساح المجال للمهنيين والشباب ذوي الالتزام، أما عن عودة الرئيس المنفي افو موراليس، فهو يعطي إشارة واضحة حينما قال "طبعا تحدثنا معه وكان سعيدا جدا" وبدورها رحبت رئيسة البلاد بالوكالة "جانين انيي" بفوزه وذلك عبر التويتز بتغريدة تقول فيها: "ليس لدينا تعداد رسمي لكن بحسب المعطيات التي بحوزتنا لقد فاز أرسى بالانتخابات". وحسب بعض استطلاعات الرأي أن أرسى نال 52.4 بالمائة مقابل 31.5 بالمائة لكارلوس ميسا، بهذا يكون الشعب البوليفي قد قدم صورة واضحة عن قناعاته رغم كل المؤامرات والدسائس، وبدوره أعلن موراليس من الأرجنتين فوز حزبه قائلا "الحركة نحو الاشتراكية فازت بالانتخابات بفارق كبير بما في ذلك مجلس الشيوخ ومجلس النواب، أرسى هو رئيس بوليفيا".

وقد مرت الانتخابات الرئاسية هذه المرة بهدوء، على عكس العام الماضي حين ترافقت مع أحداث عنيفة خلفت 30 قتيلًا، وأفقدت الانتخابات السابقة اليسار أحد معارقه الأساسية في أمريكا اللاتينية، لكن الشعب البوليفي يعيد اليسار إلى مكانته، وهذا نتيجة للعديد من الأسباب أهمها التراجع الاقتصادي والفشل في إدارة أزمة كورونا... فإرادة الشعوب لا تقهر.

ومفضوح للانقلابين، (تم تدبير هذه المحاولة الانقلابية الفاشية على الحركة نحو الاشتراكية) وزعيمها "افو موراليس" واتهامه بتزوير الانتخابات، وتم افتعال أعمال الشغب وتخريب واسعة في شوارع بوليفيا، على إثرها أجبر موراليس على التنحي وتم نفيه خارج البلاد، إلا أن الشعب البوليفي أعطى للعصابة الفاشية وعملاء أمريكا درسا جديدا يبين مدى العداء الذي تحمله شعوب أمريكا الجنوبية لمركز الشر العالمي، ومن جهة ثانية بين عن إيمانه القاطع بالديمقراطية الشعبية والحركة الاشتراكية، وهذا يتضح بجلاء عند انحياز الشعب البوليفي ودعمه للمرشح اليساري "لويس أرسى" عن حزب الحركة نحو الاشتراكية، والذي ينتمي إليها الرئيس السابق "افو موراليس"، وأرسى هو خريج كلية الاقتصاد من جامعة بريطانيا ويمكن اعتباره الظل الاقتصادي للرئيس السابق، ووزير ماليته، وفاز أرسى بالانتخابات الرئاسية في بوليفيا من الدورة الأولى، لحصوله على أكثر من 52 في المائة من الأصوات. حيث تقدم صاحب السبعة وخمسين عاما بأكثر من عشرين نقطة على "كارلوس ميسا" وبهذا يكون الشعب البوليفي قد أعاد الحركة نحو الاشتراكية إلى الحكم عن طريق صناديق الاقتراع الانتخابية.

وصرح أرسى يوم فوزه الانتخابي في 2020/10/19 بمؤتمر صحفي: "بوليفيا عادت إلى الديمقراطية وسنعمل من

من المعلوم والمعروف تاريخيا أن تجربة التحرر الوطني في أمريكا الجنوبية متميزة عن باقي مناطق العالم، وهذا نتيجة للعديد من الأسباب، على رأسها نجاح التجربة الكوبية وما رسخته من قيم في عموم شعوب أمريكا، وخاصة التجربة الفنزولية والبوليفية والأرجنتينية. حيث كل هذه الشعوب تتميز ببعدها الوطني وعدائها التاريخي للمركز الامبريالي، أي مركز الرأسمالية العالمية "أمريكا"، ونعتقد أن هذه التجارب هي بحاجة إلى دراسات موضوعية ونقدية للإستفادة من هذا الإرث النضالي. فبعد الحصار الطويل على التجربة الكوبية ومحاولة تصفية الإرث الجيفاري، تم تأزم فنزولا عبر المؤامرات الأمريكية، والتدخل في شؤونها الداخلية وتنفيذ العديد من المحاولات الانقلابية، ولم تكتفي الإمبريالية العالمية بهذا فقط، فقد قامت بتأزم الأرجنتين والتضييق على اليسار هناك، أما البرازيل فبدورها لم تسلم من هذا التضييق والتدخل في شؤونها الداخلية، فقد تم عزل الرئيس "لولا داسيلفا" واتهامه ظلما وبهتاناً بالعديد من التهم، تم تبرئته منها فيما بعد، هذا الأمر حدث مع بوليفيا أيضا قبل سنة (خصوصا بعد اتفاق بوليفيا مع روسيا والصين)، حيث قامت أمريكا بدعم واضح

◆ سفيران جناتي

حول تطبيع الحكومة السودانية مع الكيان الصهيوني

حوار مع الرفيق علي محجوب، قيادي الحزب الشيوعي السوداني - لندن

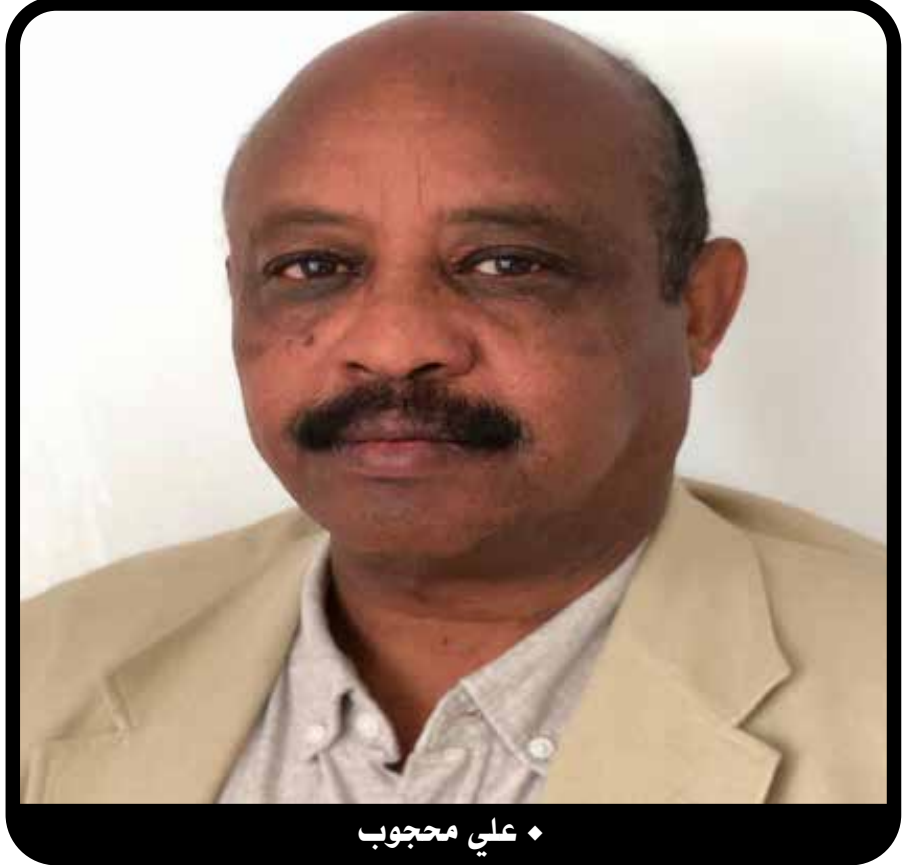
♦ أجرى الحوار : محمد رقي

المواثيق الدولية لحقوق الإنسان وهولا يختلف عن الموقف من الأبارتهيد في جنوب أفريقيا.

الطريق : كما هو معروف الرفيق علي محجوب، أن السودان كانت تاريخيا إحدى معازل الثوار، والذين قاوموا إلى جانب الشعب الفلسطيني، وتذكر الاجتماع التاريخي للدول العربية بالخرطوم سنة 1967، وموقف اللات الثلاث "لا صلح لا تفاوض لا اعتراف"، كمرجعية لجميع الشعوب العربية في المقاومة والتحرير والالتزام بقضيتنا المركزية، القضية الفلسطينية، ألا تضمنون أن تصريحات المجلس السيادي السوداني الأخيرة مبالغ في جرعاتها : كإعلان حميدي "أنا ماضون باتجاه بناء علاقات اقتصادية، مع "إسرائيل"، وليس التطبيع..". ألا ترون كذلك، أن التخفي والتحجج بإزالة وشطب اسم الخرطوم من "لائحة الإرهاب" كلها تبريرات واهية قد تدخل شعب السودان العظيم، في متاهات خطيرة قد تأجج الوضع الاجتماعي والسياسي.. وتدخل السودان في أخطر مراحل الانحدار؟

الرفيق علي محجوب : تناول الحزب في وثائق مؤتمر الرابع في كتيب الماركسية وقضايا الثورة السودانية أكتوبر 1967م الوجود الإسرائيلي وأبان "أن قضية الوجود الإسرائيلي كحصان طروادة خطر حقيقي لضرب الثورة العربية التحررية من الداخل.

الشيوعي السوداني من التطبيع مع دولة الكيان الصهيوني الإسرائيلي موقف مبدئي وثابت، ويعد سنده في منطلقاته الفكرية والسياسية بالتضامن مع قضايا وقوى التحرر الوطني، والتي أستند فيها إلى دستوره حيث نصت المادة 26/4/3 منه على الأتي (دعم نضالات الشعوب التي تتعرض للقهر والاضطهاد والتضامن مع شعوب العالم المناضلة في سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي..)، وهذا هو موقفنا من قضايا كافة الشعوب المضهدة والشعوب المناضلة. وهذا هو موقفنا وموقف شعبنا من القضية الفلسطينية وحقهم في السيادة علي أراضيهم وقيام دولتهم. وقد أوضحت اللجنة المركزية رأينا في دولة "إسرائيل": "والدور الذي لعبته في كبح جماح حركات التحرر الوطني بالمنطقة لدعم نفوذ الاستعمار فيها، ولاحقا وكالتها عن الامبريالية التي تغدق عليها بالأموال وترعى تفوقها العسكري والحربي على مجموع قدرات دول المنطقة، وتوفر لها حماية أممية وترعى حروبها التوسعية في دولة فلسطين والدول المجاورة، مقابل تدفق بترول دول منطقة الشرق الأوسط إلى أمريكا وحلفائها في الدول الرأسمالية، وقد مثل ذلك أكبر عملية نهب منظم محمي بالقانون الدولي لموارد بلدان وشعوب المنطقة". إننا نرفض إذن التطبيع لأن "إسرائيل" دولة محتلة ومغتصبة لأرض الشعب الفلسطيني، وهنا ندافع على مبدأ الحرية والحق الإنساني قي عدم التعرض للاحتلال، وهذا الموقف أقره العالم في



♦ علي محجوب

من قائمة الدول الراعية للإرهاب، وهو خضوع لابتزاز رخيص من الولايات المتحدة الأمريكية وإدارتها الحالية، والذي سوف لن يسفر في نهاية المطاف إلى حل جذري لمشاكلنا الاقتصادية، ولكن الهدف الرئيسي هو ربط نشاط الرأسمال الطفيلي المسيطر على اقتصادنا بإدماجه في النظام المصرفي العالمي، وإلحاقنا بمؤسسات الاستنزاف الرأسمالي العالمي للشعوب. فموقف الحزب

الطريق : من خلال تتبعنا لبيانات ومواقف الحزب الشيوعي السوداني المناهضة للتطبيع مع العدو الصهيوني، هل يمكن لكم تنوير قراء جريدة الطريق، حول صحة "توقيع هذا السلام التاريخي المزعوم"؟

الرفيق علي محجوب : ما يحدث الآن للأسف جزء من التآمر علي الشعب

السوداني وثورته ومحاولة لإخضاع إرادته ومواقفه المبدئية بالتنازل الكامل عن سيادته لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وتابعها في المنطقة (المحور الإماراتي، السعودي، المصري)، وإعطاءهم فرصة التحكم في سياستنا الخارجية. الولايات المتحدة وذراعها العسكري في المنطقة وعملائها يعملون بتخطيط محكم لإعادة رسم السياسات والتبعية لهم بمشروعات متعددة بمنطق العصا والجزرة، وكما هو معلوم فهناك مخطط في المنطقة تحت مسمى صفقة القرن، ويواجهه ابتزاز لحكومتنا الانتقالية والمساومة برفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب وحل الأزمة الاقتصادية. فما حدث مساومة وبيع لموقفنا المبدئي كشعب مقابل رفع اسم بلادنا



حول تطبيع الحكومة السودانية مع الكيان الصهيوني

حوار مع الرفيق علي محجوب، قيادي الحزب الشيوعي السوداني - لندن

♦ أجرى الحوار : محمد رقي



مكتسبات الثورة والقيام بواجبها أيضا في إحداث التغيير الاقتصادي والاجتماعي، وتوسيع دائرة النشاط الاقتصادي الذي يؤمن للمواطن حقوقه المشروعة في التعليم والصحة والعيش الكريم. كان أنه على الحكومة أن لا تستكين للخضوع وللابتزاز.

الرفيق : كيف تتوقعون، وقع هذا القرار أو الحدث على الشعب السوداني، وكيف تتوقعون رد فعل قوى المقاومة والتغيير؟

الرفيق علي محجوب : عجزت الحكومة بشقيها المدني والعسكري التسويق لهذا الموقف الرخيص، وقد ظلت ولا زالت تناور في طرح موقفها الواضح مما تقوم به من اتصالات واتفاقيات في الخفاء وفي الغرف المغلقة، فالشعب السوداني كان ينتظر من قاداته الذين نصبهم في حكومة انتفاضة الباسلة الصدق والشفافية في القضايا التي تتعلق بمواقفه التاريخية التي استقر عليها وجدان الشعب بأسره. وللتوصل من فضيحتهم، فقد أعلنوا في آخر تصريحاتهم أنهم ينتظرون، وقد أنكروا أي اتفاق وذكروا أن التطبيع لا بد أن يوافق عليه البرلمان الانتقالي بعد تكوينه. فهذه معركة متواصلة، وشعب السودان انتفض على الظلم ولم يتنازل عن مواقفه المبدئية في مناصرة الشعوب المهقورة وحققها في الحرية والكرامة والعيش الكريم وسيادتها على أراضيها.

إسرائيل لن يجلب أي منفعة لشعب السودان، ف "إسرائيل" كزراع رأسمالي ووكيل أمريكي، عينها على مصالحها الأمنية والاقتصادية وهي جزء من منظومة الصراع الرأسمالي في المنطقة، وخاصة مع التخوف من دخول الصين إلى إفريقيا واستحواذها على اتفاقيات اقتصادية يمكن أن تسحب البساط عن استغلال المؤسسات الاقتصادية الغربية والأمريكية لأوطاننا. فالتركيز إذن على السودان والفترة الانتقالية يمثل هلعا للأمريكان والمحور العربي الملحق بهم، لأن ثورة شعبنا لها سمات متفردة وأصيلة في تحقيق الديمقراطية والرفاه الاقتصادي والحريات. أولاً يريد محور الأمريكان إفراغ الثورة من محتواها الثوري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وإلحاقها بما آلت إليه ثورات الربيع العربي في المنطقة، وتذليلها حتى تصبح أداة طيعة لتنفيذ سياساتهم. فما يحدث لا يعدو أن يكون انفراجا فقط، عبر ضخ بعض الأموال كعروض طويلة الأجل وربما مساعدات عينية، تقلل من المعاناة لفترة، لكنها لن تعالج أزمة الاقتصاد السوداني المتمثلة في سيطرة الرأسمال غير المنتج ومؤسساته المتمثلة في شركات الجيش والأمن والشركات الرمادية على الاقتصاد. فالديون الثقيلة التي وطرنا فيها نظام الإخوان المسلمين والنشاط الرأسمالي الطفيلي هي التي أدت لتشوهات الاقتصاد السوداني. فالحل يكمن في تنفيذ شعارات الثورة المعلنة في إعلان الحرية والتغيير وقيام الدولة بواجبها في حماية

هذه الرمزية ومحاولة لمحوها من الذاكرة الشعوب العربية والثورية في العالم.

الرفيق : أليست هذه المبادرة تدخل في خانة المتاجرة بقضية فلسطين

الرفيق علي محجوب : هذه سياسة مخطط ومرسوم لها بإحكام منذ مدة، وهناك عناصر عديدة تتعاون في تنفيذها بالمنطقة، بل أصبحت شريكا أصيلا في هذا الجرم، وقد أكد الحزب الشيوعي أن ما يجري الآن في المنطقة من حروب وتخريب، الهدف منه تهريب ما يسمى بصفقة القرن والتي يعلم الجميع ضلوع عدد من الدول العربية في مباركتها والعمل على تنفيذها والضغط على حكومة الفترة الانتقالية في السودان ودفعها للتطبيع مع "إسرائيل" بدعاوي مختلفة. فشعبنا له مواقفه التاريخية التي استقر عليها وجدان الشعب بأسره، وبالطبع هذا الحدث سوف يكون له مآلاته وما بعده، وإنها معركة مستمرة ما دامت هناك حقوق للشعب والشعب الفلسطيني في سيادته على أرضه وإلزامه الظلم والاحتلال.

الرفيق : هل التركيز على التطبيع في هذه اللحظة من الحكومة الانتقالية يمكن أن يحل مشاكل الشعب السوداني؟

الرفيق علي محجوب : التطبيع مع

فمنذ تقسيم فلسطين وقيام دولة إسرائيل صارت هذه القاعدة الاستعمارية سلاحاً بيد الاستعمار. فلقد استخدمت عام 1948م، لوقف المد الثوري الذي اعقب الحرب العالمية الثانية، واستخدمت عام 1956م لضرب مصر بعد تأميم قناة السويس، واستخدمت عام 1967 بعد فشل الردة الرجعية السياسية لوقف التغيير الاجتماعي. وبهذا يتجلى تماماً الدور الذي تلعبه نيابة عن الاستعمار القديم والحديث كأداة للثورة المضادة في المنطقة. "موقفنا وموقف شعب السودان ينطلق من درايته الكاملة بأن مشكلة اليهود لم تنشأ في فلسطين ولا في العالم العربي ولكنها نشأت في أوروبا مع نشأة الرأسمالية وتفاقت بتفاقم الحياة في المجتمعات الأوروبية الرأسمالية. ولقد نشأت الدعوة اليهودية على أساس التزاوج بين النعرة الدينية والمصالح الاقتصادية للبرجوازية اليهودية." والمحاولات المحمومة الآن الهدف منها الإلتفاف حول جوهر القضية وتهريب السياسات الداعية الي جر اغلب الدول العربية والافريقية وربطها بالمصالح الرأسمالية والعسكرية في المنطقة والحكومة الانتقالية أصبحت مربوطة وتعبر عن مصالح المحور الأماراتي السعودي المصري والذي لا يختلف في أداء نفس الدور الذي تقوم به إسرائيل في المنطقة وكله له مقابل معلوم. الخرطوم لها رمزيته بمواقفها الثابتة من القضية الفلسطينية وقضايا التحرر الوطني وكما ذكرت أنها عاصمة اللات الثلاث، فأستهدافها يكسر

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا

♦ رشيد سليم

الحدث

يتعلق الأمر بأستاذ فرنسي للتاريخ والجغرافيا يعرض خلال حصة للتربية على المواطنة والأخلاق موضوعها حرية التعبير- بعض الرسومات الكاريكاتورية لمجلة شارلي إيبدو تخص الرسول محمد. بعد ذلك تتوالى مجموعة من الأحداث : أحد أولياء الأمور وهو أب لتلميذة عند نفس الأستاذ يندد بما حدث أثناء الحصة ويتقدم بشكوى للإدارة ولدى الأمن. ثم يقوم بعد ذلك بنشر فيديو على

النت يدين فيه تصرف الأستاذ ويعتبره إساءة وتهجماً على الإسلام ويطالب بالانتقام منه، ثم يتصل بناشط إسلامي هو الصفيوي عبد الحكيم الذي يبث بدوره فيديو على النت يتحدث عن نفس الحدث ويستجوب التلميذة ذات الإثنى عشر ربيعاً. يشاهد الشاب الشيشاني البالغ ثمانية عشرة سنة الفيديوهات ويقرر الانتقام للإسلام، فيعرض طريق الأستاذ على بعد أمتار من باب الإعدادية ويقوم بقتله وجز رأسه ثم يصور ذلك المشهد المرعب ويبثه على النت، متوعداً رئيس الجمهورية الفرنسية والفرنسيين بالمثل إذا عادوا للإساءة للرسول. وأخيراً يتعقبه الأمن

ويرديه قتيلاً ويلقي القبض على ثلاثة من أصدقاءه بتهمة تشكيل عصابة إرهابية والتآمر للقتل. غالبية الحوارات والنقاشات بخصوص هذا الموضوع هي نقاشات جزئية عاطفية تركز على الحدث نفسه أو تقتطع بعض الحثيات من هنا وهناك لإظهار هذا ظالماً وذاك مظلوماً في سبيل المرور إلى مرحلة الإدانة تنفيساً عن المشاعر السلبية. بينما تضيع الصورة الكلية الشاملة والأسباب الحقيقية الكفيلة بتقديم تشخيص حقيقي وحلول فعالة تقينا شر الدخول في حروب دونكيشوتية نحقق من وراءها نشوة انتصارات قومية وهمية تخدرنا حيناً من الدهر وتبقينا في دوامة أزمة حضارية لا تنتهي.

تشخيص

يمكننا تلخيص الحدث الذي نحن بصده كصراع هوياتي طرفيه هم: المهاجرون المسلمون من جهة، والسكان الأصليون الأوربيون من جهة أخرى. هذا الصراع يتصاعد ويزداد حدة، تارة حتى يتحول إلى أزمة يتحدث عنها الجميع. ثم ما يلبث أن يخبو ويخفت ليعتمل في الأعماق بعيداً عن التداول الإعلامي، مثل النار الهامدة التي يمكنها أن تشتعل في أي لحظة لسبب أو لآخر. فما هي الأسباب البعيدة التي تحرك هذا الصراع؟



1. الصراع نتيجة الاختلاف

لكل جماعة بشرية هويتها الخاصة. والتي تحدد كيانها وعلاقتها بباقي الجماعات وموقعها من القضايا المطروحة. وتشكل الهوية أساس الانتماء الذي يبني اللحمة بين أفراد المجتمع الواحد. ومتى ما انفكت عرى الهوية وتفسخت

أذنت بتحلل المجتمع وتفككه ومن ثم نهايته. لهذا تنحو الجماعات البشرية طبيعياً نحو الانغلاق على ذاتها حفاظاً على هويتها.

ومقابل هذه النزعة الانغلاقية، هناك نزعة مضادة تدفع في اتجاه الانفتاح على باقي الشعوب من أجل التعارف والتبادل والتلاقح الثقافي. فتفتتح الأبواب أمام المهاجرين على اختلاف مشاربهم، ليلجوا أراض جديدة ويعترفوا على أقوام مختلفة. ويتم استقباليهم واستيعابهم ودمجهم في ثقافة الشعب المستضيف.

لكن قد يقع أحياناً أن تكون موجات الهجرة البشرية قوية وبأعداد غفيرة. أو قد يتعلق الأمر بمهاجرين متصلبين متمسكين جداً بعاداتهم وتقاليدهم، أو حتى يسعون لنشر وفرض عقيدتهم واستئصال الهوية الدينية للشعب المستضيف، على اعتبار أنها مجرد ضلال وانحراف... في هذه الحالة تصعب عملية إدماجهم وتذويبهم في ثقافة الشعب المستضيف. لتصبح هوية هذا الأخير مهددة وتتحول الهجرة إلى غزو يهدد بنية المجتمع المستقبل، فتكون ردة الفعل الطبيعية هي العنصرية وكرهية الأجانب Xénophobie واحتقارهم.

2. أكثر من مجرد اختلاف

رأينا كيف تؤدي الهجرة بأعداد كبيرة حاملة معها عناصر الاختلاف غير قابل للذوبان إلى صراع هوياتي، إلا أن الأمر في حالتنا يتعدى مجرد اختلاف ثقافي شكلي (ربما قد يصدق هذا الأمر مثلاً على الأفارقة جنوب الصحراء أو الغجر)، أما بالنسبة للمسلمين فالإشكال أعمق

أسباب الصراع

من ذلك بكثير. فهو يتعلق باختلاف على مستوى القيم والمبادئ نفسها، أي بالحق والباطل، الخير والشر، والذي لا يقبل القسمة على اثنين.

فمن جهة لدينا قيم غربية تعلي من قيمة الإنسان وتعتبره القيمة المركزية لتمنحه حرية العقيدة وحرية التعبير وتضمن له العدل والمساواة.. (وهي قيم ضحى في

سبيلها الفرنسيون بالغالي والنفيس حتى تمكنوا من تحقيقها وإعلان شعار: مساواة، إخاء، حرية).

في مقابل ذلك لدينا منظومة قيمية تعتمد على أولوية المعتقد على المعتقد نفسه أي على الإنسان، ليفقد كل إنسان خرج من عباءة الإسلام إنسانيته وأدميته ويصير مستباح الدم والعرض:

فليست هناك حرية عقيدة: حيث يعتبر كل من خرج عن الإسلام مرتداً وجب قتله. ويعتبر كل من رفض الدخول إلى الإسلام ذمياً ذليلاً (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ).

والحق في ممارسة المعتقد غير مكفول (اتفقت ثلاثة من المذاهب الأربعة على حرمة بناء الكنائس على أراضي المسلمين).

وحرية التعبير ونقد الأفكار غير مُسلم بها: كل نقد للأفكار الدينية هو بمثابة تهديد وزعزعة لعقيدة المسلمين ومحاربة لله ورسوله موجبة للعقاب: (إِنَّمَا جُزَاءُ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ).

أما السخرية فهي من الكبائر (وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا

♦ رشيد سليم

3. التهديد الأمني المباشر

بالإضافة إلى التهديد الثقافي والقيمي يشكل المهاجرون المغاربة في فرنسا أيضا تهديدا أمنيا مباشرا. فقد أبانت الإحصائيات أن نسبة المنحرفين بين المغاربة هي أكثر ارتفاعا مقارنة بنظيرتها بين الفرنسيين، حيث يشكل المغاربة نسبة 29% من مجموع عدد الموقوفين من طرف الأمن الفرنسي في سنة 2003، بينما لا تتعدى نسبتهم إلى مجموع الساكنة الفرنسية 6%. وتتعدد جرائمهم ما بين السرقة والتجارة في المخدرات وجرائم الاعتداء. ويرجع ارتفاع هذه النسبة إلى الفقر وتدني مستوى التعليم. البعض يرجع هذه العوامل إلى التهميش والإقصاء الاجتماعي الذي طال هذه الشريحة، لكن دراسة ديموغرافية بسيطة للفئات المهاجرة تنفض بعض الغبار وتبين أن نسبة كبيرة من هؤلاء كانوا أصلا فقراء بمستوى تعليمي بسيط وبدون تكوين مهني معتبر. اعتمدوا في غالبيتهم على العمل اليدوي لكسب قوتهم. وبالتالي فهذه الفئات لم تملك الوعي الكافي الذي يسمح لها بالتكيف مع الواقع الجديد كما لم تملك القدرة على مد أبناءها بتربية تسمح لهم بالتأقلم مع المجتمع، ورسم طريقهم نحو النجاح والترقي الاجتماعي. فكانت النتيجة هي التوقوع على الذات داخل أحياء هامشية في ضواحي المدن الفرنسية حيث يتفشى الانحراف والإجرام.



وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ).

بالإضافة إلى كل ذلك ينظر المسلمون إلى الحريات الفردية نظرة توجس وريبة ويعتبرونها انحلالا أخلاقيا وتفسخا وعهرا. وأن من واجب الرجل الشريف العفيف أن يراقب بناته وأخواته صونا وحفاظا على بكرتهن، ما يساهم في احتقار المرأة (اختزالها في أعضائها التناسلية) واضطهادها تكريسا للمساواة بين الرجل والمرأة.

وكخلاصة فنحن أمام منظومتين لا تلتقيان:

منظومة ترفع من شأن الفرد وتضعه كقيمة مركزية تدافع عن كرامته وحرية.

ومنظومة تعلي من شأن الجماعة بما هي فكر أحادي (التوحيد) ونظام صارم (شرائع وعادات...) يعتبر الحرية فوضى وانحلالا يهدد كيان الجماعة، ما يبرر سحق الفرد وقمعه ومحو أي اختلاف أو فردانية أو تميز أو إبداع (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار). والنتيجة على المدى البعيد جمود وتكلس فكري وحساسية مفرطة اتجاه أي تغيير فكري أو سلوكي ما يفتأ يواجهه سلاح التكفير (حتى بين المسلمين أنفسهم).

هذا الاختلاف الجوهر في القيم ما بين المهاجرين من جهة والغرب من جهة أخرى يؤدي إلى عديد اصطدامات يردها سريعا متتبع الأخبار اليومية على أعمدة الصحافة الفرنسية: تارة يتعلق الأمر بموضوع النقاب والحجاب في الإدارات والمؤسسات. هذا يراه حرية فردية شخصية وعفوية، وذلك يراه هوية جماعية منظمة تسعى لغزو المجتمع وتغيير أسسه بما يس جوهر العلمانية لفرض دولة ثيوقراطية.

وتارة يتعلق الأمر بحوادث اعتداء على شابات فرنسيات بسبب ارتدائهن لتنورات قصيرة.

ومرات أخرى بسبب البوركيني أو المطالبة بالفصل بين الجنسين في المساح والمدارس والحفلات.

وتارة أخرى بسبب رفض السلام باليد على مواطنات أو مواطنين خلال حفلات ومراسم رسمية.

وتارة أخرى أيضا بسبب تحول فرنسيين إلى مسلمين إرهابيين ومشاركتهم في حروب جهاد خارج فرنسا.

ومرات أخرى أيضا بسبب المواجهة بين فئة تصر على حرية السخرية من الأفكار وفئة تصر على قداسة الرموز الإسلامية والتي انتهت بمذبحة شارلي إيبدو، هذه الأخيرة تحولت بالنسبة للفرنسيين لرمز الدفاع عن حرية التعبير، وهذا ما يبرر استعانة الأستاذ ضحية الاعتداء بيداغوجيا بالرسوم الكاريكاتورية لشارلي إيبدو في درس حرية الرأي والتعبير.

لماذا ليست هناك ردة فعل من قبل المغاربة نحو التغيير والتكيف والإندماج رغم أزمة: "التصلب الهوياتي"

والتي يجعلونها دائما في الواجهة، الشيء الذي له عواقب سلبية كثيرة، تفسرها الأسباب التالية:

أولها أن هذه الهوية متشنجة مطلقة لا تقبل التفاوض أو التنازل (أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض - ما كان لمؤمن أو مؤمنة خيرة في أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمرا).

ثانيها أن زاوية الرؤية الإيديولوجية الإسلامية هي زاوية جد ضيقة وتبسيطة بطريقة مخلة تختزل الوجود من خلال نظرة استقطابية ثنائية: (مؤمن/ كافر)، (شريعة/ طاغوت)، (معي/ ضدي)، وبالتالي فهي صدامية لأبعد حد، لا تعترف بالحلول الوسطى.

بالإضافة إلى ذلك فالإسلام يتضمن كما هائلا من التشرعات الإلزامية التي تدخل صاحبها في صراع دائم مع قوانين البلد المستضيف.



الفقير أنا من الطبقة المتوسطة وهكذا. إلا أن المسلمين وخصوصا في الخارج يتميزون بنوع من التصلب الهوياتي، حيث يعتمدون كليا على هوية واحدة هي الهوية الدينية

والديناميكية ما يسمح بتغييرها حسب المواقف: فأمام النساء أنا ذكر. وأمام المهندس أنا طبيب. وأمام التطواني أنا جديدي. وأمام الفرنسي أنا مغربي. وأمام

حسب هرم "ماسلو" Maslow فإن أول الحاجات التي يسعى الإنسان إلى تلبيتها هي الحاجة للأكل والاستقرار والأمن، لهذا ففي لحظة الهجرة يكون همّ المهاجر الأوحده هو البحث عن هذا الاستقرار الضائع، أما الهاجس الديني فيكون ثانويا بل من الكماليات التي لا يهتم لها، وكما يقول عبد الرحمان المجذوب (الخبز يا الخبز والخبز هو الإفادة **** لو ما كان الخبز ما يكون دين ولا عبادة)، لكن ما أن يتمتع المهاجر بالاستقرار حتى يرتقي إلى مستويات أعلى في هرم ماسلو فيبدأ في التفكير في إثبات ذاته من خلال إثبات هويته.

يتشكل كل منا في مجموعة من الهويات المتداخلة. فأنا مثلا أعتبر نفسي طبيبا مغربيا جديدا ذكرا من الطبقة المتوسطة بصحة جيدة. هذه الهويات تتسم بالليونية

الانغلاق الهوياتي في حادثة فرنسا

♦ رشيد سليم



لماذا الهوية الدينية لها دائما الأولوية؟

مرد ذلك لعدة أسباب:

أولاً، لأن الهوية الإسلامية بطبعتها هوية مهيمنة لا تقبل الشراكة (الشرك بالله)، وبالتالي تغطي على باقي مكونات الهوية. حيث أن جل المهاجرين المغاربة (ورغم عدم التزامهم بتعاليم الدين الإسلامي)، إلا أنهم يعتبرون أنفسهم مسلمين قبل كل شيء (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

ثانياً، هناك عدة عوامل تاريخية أجمت وحفزت هذه الهوية الدينية من خلال تكريس نظرية المؤامرة الصهيونية الصليبية ضد الإسلام: ابتداء من العدوان على فلسطين مروراً بالحرب على العراق ومذبحة البوسنة وحرب الشيشان (وهي جنسية الشاب القاتل) وبورما... إلخ. (يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، دون أن ننسى طبعا الماضي الاستعماري القريب.

ثالثاً، تأطير المغاربة في فرنسا من طرف أئمة من خارج فرنسا.

فخوف فرنسا من سقوط المسلمين على أراضيها في شرك الجماعات الإسلامية المتطرفة دفعها للتعاقد مع مجموعة من البلدان (المغرب، الجزائر، تركيا) من أجل توفير أئمة معتدلين يساهمون في تكوين المسلمين في فرنسا على الإسلام الوسطي. كما سمحت لهذه البلدان ببناء مساجد داخل فرنسا وتمويلها. إلا أنه اتضح للقيمين على هذا المشروع فيما بعد أن هذا الإسلام، قد يكون مناسباً في البلدان الإسلامية، لكنه لا يناسب فرنسا بلد العلمانية وحقوق الإنسانية وحرية العقيدة وحرية التعبير... إلخ. لهذا غيرت مؤخرًا من سياستها للدفع نحو إسلام فرنسي يتعهدده مسلمون مزدادون في فرنسا ومتشبعون بثقافة وقيم حقوق الإنسان.

وأخيراً من العوامل التي دفعت المسلمين في فرنسا إلى الارتقاء في أحضان الهوية الدينية هي غياب البديل:

ففي الغرب يجد المغاربة مثلاً نفسه في وضعية ضعف لا يُحسد عليها. من جهة يلاحظ هويته في بلاده الأصلي والتي يتمثلها بالفقر والجهل والعنف والإجرام بشتى أنواعه وغياب

العدل الاجتماعي وتفشي النهب والرشوة والزبونية في بلدان متخلفة اقتصادياً وفكرياً وتقنياً قلما تساهم في بناء الحضارة.

في المقابل هناك الآخر الغربي الذي يملك كل شيء يستحق أن تتباهى به، حضارة غربية عريقة فكرياً وحضارياً وفنياً ودول متقدمة متحضرة منظمة تسودها الحقوق والاستقرار والعدل والنظام. هذا التفاوت يشكل بالنسبة للمغربي صدمة حضارية ويولد لديه إحساساً بالدونية والنقص. تزيد من مرارته بعض التصرفات العنصرية من هناك أو هناك. ما يدفعه للبحث عن هوية تحميه وتحمده بالإحساس بالتفوق كنوع من التعويض عن النقص، فلا يجد أمامه إلا الإسلام الذي يرفع من قيمته كمسلم ويعلي من شأنه وينقص من الآخر الكافر النجس الذي يمسح مؤخرته بالورق (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتمهم... كنتم خير أمة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...).

أما لو نحى المغاربة عموماً والمغربي خصوصاً نحو هويته كمغربي مثلاً للدفاع عن نفسه فلن يجد شيئاً، لأن معظم تاريخ المغرب تم طمره، وتم ربط تاريخ المغرب بقدم الإسلام أو الفتح الإسلامي، ليصير كل ما سبقه جاهلية وتخلفاً، وبالتالي فكل الطرق تؤدي إلى روما أو الهوية الدينية.

لماذا الهوية الدينية لها دائما الأولوية؟



النتيجة هي استمرار الصراع وتزايد حدة التطرف والتزمت من الجهتين:

جهة كلما ازدادت العنصرية اتجاهاً كلما ازدادت أسلمة وغلوا في الدين. وجهة كلما تمت محاربة رموزها ومبادئها وكلما رأت تفشي علامات التطرف الإسلامي في المجتمع ازدادت عنصرية واستعداداً للمواجهة الحتمية دفاعاً عن هويتها وقيمتها. كل هذا يدخلنا في حلقة مفرغة غير محمودة العواقب.

الأيديولوجيا كتفسير للواقع.. الوعي والوعي الزائف

♦ محمد بن طاهر



تملك في الوقت ذاته الإشراف على وسائط الإنتاج الفكري، بحيث أن أفكار أولئك الذين يفتقرون إلى وسائط الإنتاج الفكري تخضع من جراء ذلك لهذه الطبقة السائدة."

نكتفي اليوم، وباستمرار على تحصيل حاصل، بإعادة مقولات أن الطبقة السائدة تسيطر كما بينه ماركس وإنجلز منذ أكثر من 150 سنة مضت، وتثبتته المقولة السابقة، غالباً نردد ذلك بدون تدقيق معطيات الهيمنة وميكانيزمات السيطرة كما يحدده مفهوم الطبقة السائدة، لذا تحدث إعاقات تأهيل نقيض الطبقة السائدة في مسار تفكيكها والقضاء عليها. أما الطبقة السائدة تتطور وتطور أساليبها باستمرار وتعرف كيف تتجاوز أية معارضة وصمود لهيمنتها باللجوء إلى آليات التقدم والضغط على القوى المضادة الممكنة.

إذن فهذه المعالجة للأمور هي معالجة أيديولوجية محض، ضعيفة من حيث الواقع الملموس لإنزالها لمجال التنفيذ، وتفتقر إلى المعطيات اللازمة لفهم الواقع الحقيقي بعينات يمكن قياسها ومقارنتها مع المعطيات الوطنية والأممية، وليس فقط بتريديد المقولات الكبرى.

وبهذا القصور في ملامسة الواقع، فإن الأيديولوجية، كما طورها ماركس تتحول لأفكار فوقية بدون تطبيق في الواقع، طالما أنها تعكس مصالح طبقات معينة عاملاً محدداً للوجود الإنساني، وبهذا الشكل فقد جعلت هذه الأيديولوجية الوعي سلبياً زائفاً (سعد عيد مرسى بدر: الأيديولوجية ونظرية التنظيم، مدخل

إن تفكيك الأوصاف المعجمية بناءً على تحليل مجموعة نصية يسارية، يعطينا نظرة مدققة عن فحوى الكلمات والأفعال المستعملة في الكتابات المتداولة والتحقيقات الواردة في هذه الأوساط والتجربة اللغوية السائدة. فبشكل مستمر ومنهجي، نقرأ كتابات حول الواقع المغربي تفيد أن الأوضاع التي يعيشها الشعب المغربي مزرية وأن المسؤولية ترجع إلى من يتحكمون بزمام الأمور.

وبشكل مستمر ومكرر تتم معالجة وتحليل الأوضاع استناداً إلى الفهم الإيديولوجي للأوضاع بالفوارق الطبقيّة، والتي في جوهرها تحليلنا على تشكيلة طبقية معروفة ومحددة مسبقاً من طرف المنظرين والفلاسفة والاقتصاديين كماركس وإنجلز ولينين أو بيده ودومينيل. وهذا لا يفيدنا إلا القليل عن تشكيلتها وعن الخصوصية المغربية لدرجة أننا نجعل منها خيطاً رابطاً لتحليلنا للمستقبل.

فنحن نحتاج إلى معرفة دقيقة لهذه المعلومات حول التشكيلة الاجتماعية أو الهندسة الطبقيّة، كما نحتاج لكثير من المعلومات حول عددها ونسبها، مواقع تواجدتها، مواقع الصراع، تحدياتها الصناعية والتكنولوجية، طبيعتها البشرية، بيئتها، فوارق الاضطهاد التي تعيشها، علاقتها بمشغليها ومعطيات التنقيب وتنظيم المواجهة، تقاليد النضالية، تجربة انتصاراتها وإخفاقاتها.

هل الطبقة التي ندافع عنها وهي الطبقة العاملة وعموم الكادحين متعلمة أم لا؟ هل هي قروية أم حضرية؟ هل هي مملعة بحقوقها النقابية والاجتماعية؟ هل سبق لها أن واجهت المستغلين ولها تجربة في ملفاتها المطالبية وحققت مكاسب كمعركة سنة 1936 في فرنسا أو المجلس الوطني للمقاومة ل 1945؟

كما نحتاج إلى معرفة مدها وجزرها للتحقق من وضعها في مسلسل التغيير، ليس كما نريد إسقاطه عنوة عليها فقط لأنه منسجم فكراً مع قراءة لحظية، ولكن على أساس وضعها ومسلسل تراكم وعيها ومدى امتلاكها لثقافة المواجهة والانتصار على خصومها وأعدائها.

فهل نحن الآن في مرحلة إيجابية ومد للطبقة العاملة أم نحن في

زمن التراجعات، خصوصاً وأن محور الصراع يتنقل باستمرار فنجدده وطنياً جامعاً في لحظة من اللحظات، وتفريقاً في أخرى لدرجة يدفع فيها بعض المرات إلى احتداد الصراع، كما هو الحال إزاء قانون الشغل أو حرية التعبير أو تحسين القدرة الشرائية.

يقول ماركس في كتاب الإيديولوجية الألمانية: "إن أفكار الطبقة السائدة هي في كل عصر الأفكار السائدة أيضاً، بمعنى أن الطبقة التي تمثل القوة المادية في المجتمع هي في الوقت ذاته القوة الفكرية السائدة. إن الطبقة التي تتصرف بوسائط الإنتاج المادي

بمكان أن نتوقع من الجماهير المسيّرة في ظل النظام الرأسمالي والمعرضة لتأثير الأفكار البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، أن تنخرط في نضال طبقي ثوري ضد هذا المجتمع، أو حتى في ثورة اجتماعية. ليس هربت ماركوز (مؤقتاً) إلا الأخير في القائمة الطويلة للأيديولوجيين الذين يطرحون للمناقشة الطاقات الثورية الكامنة لدى الطبقة العاملة، منطلقين من التحديد الذي يعطيه ماركس للطبقة المسيطرة..

ويضيف، إيديولوجية الطبقة المسيطرة تسيطر على وعي الجماهير الخاضعة، طالما تكون السيطرة الطبقيّة فتيّة، مستقرة وبالتالي غير مطروحة للبحث. في المراحل الأولى للصراع الطبقي، يلجأ المستغلون (بفتح الغين) غالباً لصيغ المستغلين (بكسر الغين) ومثلهم العليا وإيديولوجياتهم. لكن كلما طُرح النظام الاجتماعي على بساط البحث، وأصبح الصراع الطبقي أكثر حدة والسيطرة الطبقيّة أشد اهتزازاً، كلما تحررت أقسام من الطبقة المضطهدة (بفتح الهاء) من أفكار المسيطرين. إن الصراع بين إيديولوجية الطبقات المسيطرة والأفكار الجديدة للطبقات الثورية يسبق الثورة الاجتماعية، ويسرّع من جهته الصراع الطبقي العملي بمقدار ما يساعد الطبقة الثورية على بلوغ وعي مهامها التاريخية الخاصة بها وأهداف نضالها المباشرة، وهكذا يمكن أن ينشأ الوعي الطبقي لدى الطبقة الثورية عن الصراع الطبقي على الرغم من إيديولوجية الطبقة المسيطرة ومعارضتها.

انطلاقاً من هذا يتبين أننا، وفي احتداد الصراع، نحتاج إلى تأجيج الوعي الطبقي على الرغم من أن الطبقة السائدة تكشر عن أنياب الصراع بلا هوادة، لأن الأزمة متفاقمة وشروط الانتفاضة متوفرة وما أزمة كورونا إلا عاملها المحفز. فكفانا من التكرار وتريديد المقولات وإعادة المسلمات رغم أحقيتها. نحن في حاجة إلى عقل وليس إلى نقل. فقد انتهى زمن النقل وحلت محله الحداثة، فالعقل له مهمة أخرى غير النقل البسيط، العقل يعيش ضمن الطبيعة والمجتمع وله حيويته الخاصة في إبداع مسار التغيير.



نقدي). لأن الاكتفاء على مر الكتابات بسرد وتريديد ما هو مشروح في جميع الأدبيات والأطروحات التاريخية هو في حد ذاته وعي زائف، ما لم يترجم لخطاظة للتنفيذ.

يقول ارنست مانديل والاستشهاد به له ظروفه، إن موضوعه ماركس القائلة: "ليست الأيديولوجيا المسيطرة في مجتمع ما إلا إيديولوجيا الطبقة المسيطرة"، تتعارض للوهلة الأولى مع وصف الثورة البروليتارية بأنها قلب واع للمجتمع تقوم به البروليتاريا، ونشاط ذاتي لجماهير المأجورين. يمكن لتفسير سطحي لهذه الموضوعية أن يقود إلى استنتاج مؤاذه أنه من الطوباوية

الثقافة الطرقي

(إبداع وفنون)

إعداد: عبد الغني عارف



صحت الثنائيات

♦ سلوى ياسين



حوار سينمائي

♦ عبد الواحد المهتاني



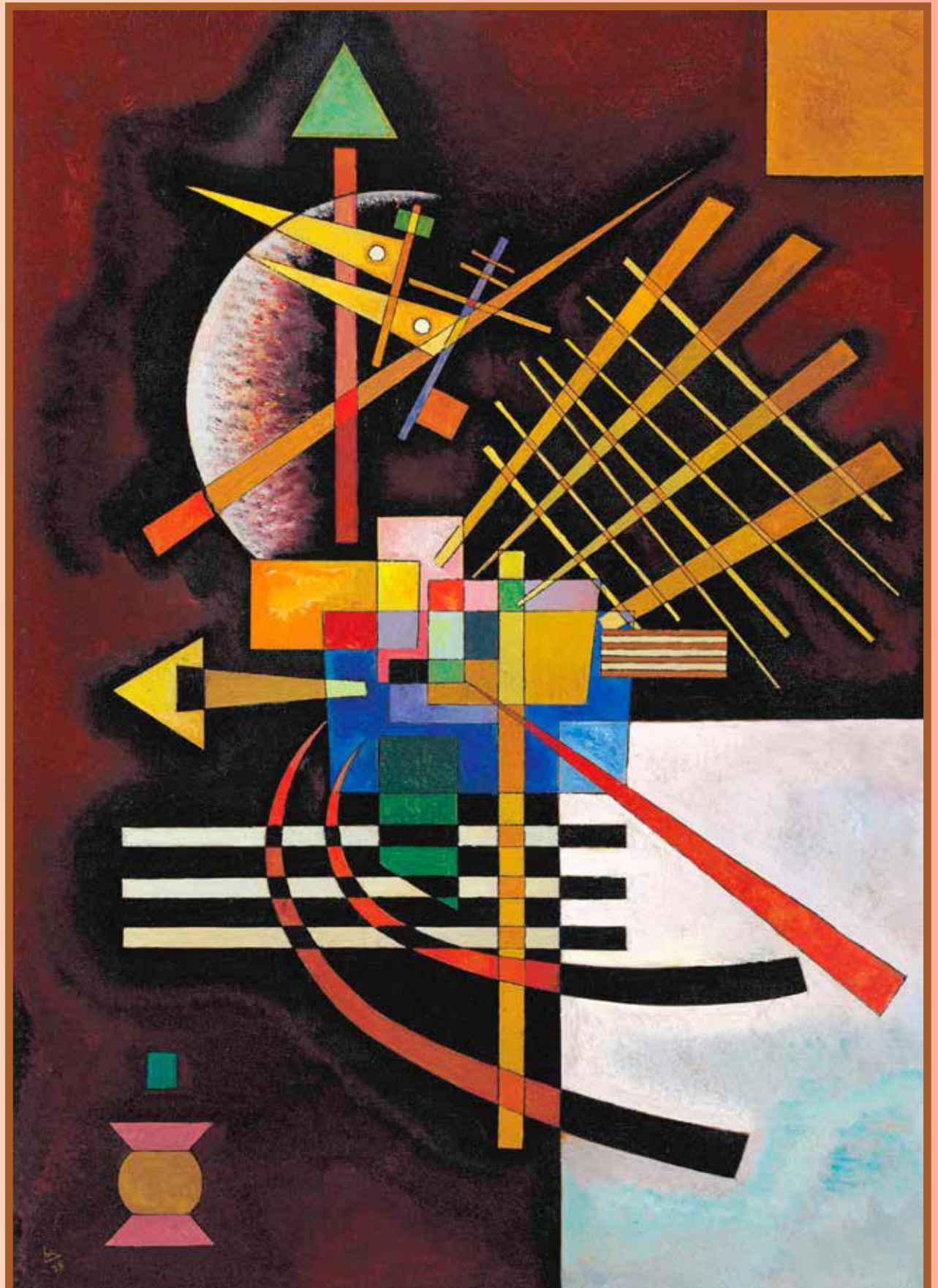
نساء جوديث

♦ محمد بوتنات



تتويج "طفل الحب"

♦ الهواري غباري



Wassily Kandinsky — Above and Left, 1925

في المرأة..

المهدي بنبركة:

شهيد الوعي الثقافي المبكر...!

♦ ذ. عبد الغني عارف



بحلول الذكرى 55 لاختطاف واغتيال الشهيد المهدي بنبركة يُعاد من جديد طرح ذلك السؤال العريض والمركب: **من اغتال المهدي ولم تم اغتياله؟**.. وإذا كان الشق الأول من السؤال بيد المؤرخين - وإلى جانبهم السياسيون والحقوقيون - لاستجلاء حقيقة الاغتيال، فإن الشق الثاني يبقى دوماً سؤالاً مفتوحاً على كل التأويلات، خصوصاً إذا استحضرنا أن الشهيد المهدي كان يبدو أنه يشكل جزءاً من ترتيبات مرحلة ما بعد خروج الاستعمار المباشر في إطار السعي إلى بناء المغرب كدولة حديثة.

إن واقعة الاغتيال في حد ذاتها لم تكن غريبة، بمنطق ملابسات المرحلة وتداعياتها المتداخلة، فقد كانت

للمهدي شخصية كاريزماتية قوية وجذابة، وطيناً وأمياً، وظروف المغرب آنذاك لم تكن تسمح بتزاحم صور رمزية لأكثر من شخص واحد، بالإضافة إلى أنه كان معارضاً شرساً بمنطق ومواصفات المرحلة التي عاش فيها، بخصوصياتها و"أسرارها" الكثيرة والتي من المؤكد أنه لم يكتب تاريخها بمداد الحقيقة بعد.

النبش في الأسباب الحقيقية لاغتيال الشهيد المهدي يضعنا أمام حقيقة لا غبار عليها، وتتمثل في أن اغتياله لم يمكن فقط لأسباب سياسية مباشرة ومرتبطة بالصراع حول تدابير تدبير دفة حكم المغرب الموروث عن الاستعمار، بل أكثر من ذلك، لقد كان "اغتيالاً استراتيجياً"، بالمعنى الذي يفيد أن الجهات التي خططت لعملية الاغتيال ودبرت تفاصيلها ونفذتها، كانت ترى في المهدي، ليس فقط رجل سياسة، بل رجل فكر بالدرجة الأولى، ذلك أن أخطر ما كان يقوم به المهدي في نظر أعدائه وخصومه هو أنه كان يعمل من أجل "تحرير الوعي"، أي بناء وعي جديد يستجيب لمتطلبات المرحلة التي كانت تستوجب في رأيه القضاء على بينات الاستعمار الجديد، فضلاً عن كونه أسهم بقوة في وضع أرضية متينة للفكر التقدمي بالمغرب، وهو ما جعل التيارات التقليدية والمحافظة داخل الحركة الوطنية تنتبه لما يمكن أن يشكله فكر المهدي من خطورة على مصالحها الطبقية وأنا ومستقبلاً.

ولعل وثيقة الاختيار الثوري التي حررها، والتي كان من المفترض أن تقدم أمام مؤتمر حزبي، تبرز بالملموس وبالقوة الكافية طبيعة هذا الرجل المفكر لذلك لم يكن غريباً أن تتم عملية الاغتيال خارج المغرب وبتنسيق محكم بين جهات متعددة كانت ترى في فكر المهدي خطراً على مصالحها وعلى مستقبلها، على الصعيدين الوطني والدولي.

في ضوء ما سبق نتساءل: كيف إذن يمكننا اليوم أن نقرأ فكر المهدي معزلاً عن حدث الاختطاف والاغتيال. بمعنى آخر: كيف يمكن أن نقرأ فكر المهدي قراءة أكاديمية متحررة نسبياً من الجاهز السياسي المؤطر لهذا الفكر إلى حد الأسطورة. إننا إلى هذه اللحظة لا نتصور في المخيال السياسي والحزبي المغربي المهدي إلا شهيداً تم اغتياله، دون أن نعطي لتصورنا هذا مزيداً من الإضاءات الكاشفة عن مناطق قوية في فكر المهدي وتنظيراته، ولذلك يبدو أنه رغم كل التداول الإعلامي والسياسي الذي أحيطت به شخصية المهدي طوال العقود الماضية من تاريخ المغرب، فالحقيقة تقول إن فكره لم يحظ لحد الساعة إلى المعالجة العلمية المطلوبة.

ومن باب الكشف عن بعض

مناطق القوة في التراث النضالي والفكري للمهدي يتبين أن هاجسه الأساس كان يتمثل في كيفية إيجاد صيغة تحقق الملاءمة الضرورية بين استراتيجية التغيير والثورة والتكتيكات المناسبة لتلك الاستراتيجية. وكان يعتبر أن حل هذه المعادلة لا يمكن أن يتم فقط بواسطة المواقف والشعارات، بل هي تحتاج في العمق إلى رؤية واضحة. في سياق محاولته تشييد أسس هذه الرؤية في أبعادها الشمولية والمتكاملة، نجد أنه خصص مجهوده السياسي والتنظيمي والفكري لبناء مجتمع متحرر ديمقراطي واشتراكي بناء على استراتيجية واضحة هي استراتيجية التحرير مسترشداً في ذلك مجموعة من الجهات، منها أساساً:

- الوضوح الإيديولوجي والسياسي في المواقف، باستثمار المعطيات العلمية الملموسة في قراءة الوقائع واقتراح البدائل، علماً أنه حصل على شهادة الإجازة في الرياضيات عام 1944؛

- إيمانه بتعديل ثوري قائم على أساس النقد العلمي لكل مظاهر الواقع المراد تغييره، أي أنه كانت لديه - ليس فقط أفكار ثورية - بل أطروحة ثورية متكاملة في التغيير.. كان ينطلق من منظومة أفكار وتصورات منسجمة في أبعادها الوطنية الداخلية ومتكاملة مع البعدين القومي والأممي آنذاك. وهو ما يسمح لنا بالقول إن المهدي كان بصدد إنتاج نظرية في الثورة؛

- إنجاز قراءة نقدية لأعطاب الحركة الوطنية، وهو ما جعله يقدم أطروحته النضالية بناء على ما أسماه: الاستعمار التقليدي والاستعمار الجديد.

لقد اتسم فكر المهدي بخاصيتين أساسيتين:

- أولاً أنه فكر نسقي، أي أنه فكر يرتكز على النظرة الجدلية والشمولية لمجموع مكونات الصراع محلياً وقومياً وأمياً، وهو ما جعله يربط دوماً بين البناء الديمقراطي واستكمال التحرير الشامل للوطن؛

- ثانياً أنه فكر يستند إلى التحليل العلمي الذي يميل إلى تفكيك الظواهر والقضايا التي يعالجها، أي أنه كان يطبق مهارة ثلاثية الأطروحة والنقيض والتركييب في قراءته للأحداث وتحليله للمواقف، مع القدرة على المزاجية بين النقد والنقد الذاتي.

ونحن نخلد ذكرى اغتيال الشهيد المهدي بنبركة لا بد من القول بأننا مطالبون اليوم باستحضار فكره ليس كمرجعية مقدسة، ولكن كمنتوج فكري وثقافي ونضالي قابل للاستثمار والإبداع من داخله.

إن الوفاء للمهدي يتطلب الوفاء للمبادئ والأفكار التي استشهد من أجلها والاستفادة من تصوره الثقافي المتكامل لأطروحة التغيير والنضال في إطار الصيرورة العامة للصراع الطبقي في المجتمع في كل أبعاده الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية والثقافية.



حوار :

جوديث باتلر

Judith Butler

النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء...

♦ ترجمة: محمد بوتنبات

[جوديث بتلر - Judith Butler - فيلسوفة أمريكية لها إسهامات في مجالات الفلسفة النسوية، نظرية النوع والمثلية، الفلسفة السياسية، والأخلاق. وهي أستاذة في قسم الأدب المقارن والبلاغة في جامعة كاليفورنيا (بركلي). حصلت بتلر على دكتوراة الفلسفة من جامعة يلا عام 1984، وكانت أطروحتها التي نشرت فيما بعد بعنوان موضوعات الرغبة: تأثيرات هغلي على فرنسا القرن العشرين. في أواخر الثمانينات تقلدت بتلر عددا من المناصب، وكان لها إسهامات في تأثيرات ما بعد البنوية في النظرية النسوية الغربية حول تحديد ماهية "المصطلحات الافتراضية" للنسوية.]

• ماذا يعني بالنسبة لك أن تكوني امرأة؟ ونسوية (Féministe) ؟

جزء منه بالمعارك التي خاضتها النساء السود. بالفعل، هؤلاء توجد في الصف الأول، وأنشأت شبكة للتحليل المتقاطع [كلمة مقترحة من طرف المناضلة الأفروأمريكية كيمبرلي وليامز كرينشاو لوصف الثقل المتراكم لمختلف أنواع القمع (المترجم)] الذي يضع مسألة العنصرية، وحقوق الإنسان، ونقد عنف البوليس، والاعتقالات التعسفية، علاوة على العدالة الاقتصادية في قلب النضالات. كما يرتبط المذهب النسوي ارتباطا وثيقا بالمعارك ضد الاستعمار. كيف سيكون الأمر خلاف ذلك، بالنظر إلى الخضوع المزدوج للنساء، وأيضا للمجموعات التي لا تتوافق مع الثنائية الغربية للجنس، في مناطق تخضع للاحتلال والحرب، حيث لازالت آثار الاستعمار تفوح منها؟

لست متأكدة من كوني امرأة. كيف لي أن أعرف؟ أقبل أن أتحدث "باعتباري امرأة" في بعض الظروف، بالتزام نسوي، لكن لا يعني بالنسبة لي شكلا من الهوية "الأولية". أن أكون نسوية هو شيء آخر- فليس من الضروري أن أكون امرأة أو حتى "معرفة" ما يعنيه أن أكون امرأة، كي أكون نسوية. النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء- بما فيهن النساء المتحولات. النسوية هي أن تناضل من أجل حرية المرأة في أن تفعل وتتحرك سواء في الفضاءات العمومية أو الخاصة. هي المطالبة بسلطة لإقامة مجتمع عادل. غير أن المذهب النسوي باعتباره حركة، يشير أيضا إلى شكل من التحالف. في هذا المعنى حُدد في أكبر



• في فرنسا، تقدم الدراسات النسوية نفسها أحيانا كإرادة للقضاء على ثنائية رجل-امرأة. هل هذا هو الحال؟

بيولوجي وما هو نفسي اجتماعي ثقافي، ومن الملائم بدون شك، اعتبار النوع كطيف بدلا من اعتباره كتعارض ثنائي رجل/امرأة. باختصار، أدرك حقيقة أنه سيكون دائما اختلاف في مسألة الجنوسة. ومع ذلك، أرفض فكرة أن يكون اختلاف وحيد فقط في مسألة النوع، هو الاختلاف بين الرجال والنساء.

القليل من الناس، في مجال دراسة الجنوسة، من يبحث عن القضاء على التمييز بين الرجل والمرأة. الأغلبية تحاول فقط فهم تنوع الدلالات التي تنسب إلى كونك رجلا أو امرأة، وكذا مختلف السياقات (العمل، الأسرة، السياسة...) التي تأخذ فيها هذه الأصناف معنى. ولما كان الأمر كذلك، فمن الصحيح أن بعض الأشخاص يعتبرون أنفسهم غير ثنويين (حالتهم مثلا) [أي لا تفصل بين الجنس والجنوسة، بين ما هو

• قالت سيمون دو بوفوار "لا تولد الواحد من النساء امرأة، ولكنها تصير فيما بعد امرأة". لكن في العمق، هل تصير فعلا امرأة في يوم ما؟ أليس النوع بناء مستمرا؟

يشكلنا بصيغة أو بأخرى. إن دلالة الجنس تتطور باستمرار، سواء أكان بالتواصل أم بالتبادل الثقافي أم بتحول الحقوق أم بالصراع الاجتماعي، لكن كذلك بالمجهود المبذول من طرف الكنائس الرجعية وبعض قوات الدولة للزيادة في سلطتها.

[ضحكت] لا واحدة تكون امرأة مطلقا. القول بأن النوع بناء مستمر للذات، لا يعني أننا نبني ذاتنا بأنفسنا كرجل أو امرأة أو غيرهما، في كل الأوقات. هذا يعني بالأحرى أننا متأثرون بلا انقطاع بقوى، ومعايير تاريخية متحركة، وغالبا ما تكون في صراع فيما بينها. إذا كنا نتشكل بأنفسنا، فهذا لا يتأتى إلا في سياق تاريخي، فضائي وزماني الذي

• لقد طوّرت فكرة "أداء الجندر" للتفكير في بناء الذات ...

اقتصادية معطاة، حيث كانت قدرات الفعل عند البعض، قد تم تعطيلها بصورة ظالمة. إننا نوجد في هذا العالم بتسميات النوع التي تحدتنا بشكل متكرر. إن الرهان هو الدخول في عملية التكرار هاته، لنرى أي اختلاف نحن قادرون على فعله جماعيا.

لا يرجع "أداء الجندر" إلى البناء الذاتي. فلا أحد في العمق يبني ذاته: إن كلمة بناء تسبق كل فعل نريد القيام به. وبالعكس، فأداء الجنوسة يسائل الفعل: إنه يصلح للتفكير في النضال من أجل العثور على طريق، ولاسترجاع سلطة صودرت في وضعية

النسوية ببساطة شديدة هي الاعتراض على اللامساواة والعنف الذي تتعرض له النساء...

حوار :

جوديث باتلر

Judith Butler

ترجمة: محمد بوتنبات

• في كتابك "اضطراب الجندر" تقدمين النوع الأنثوي كما لو يُبنى بالرغبة الجنسية المغايرة *hétérosexuel* ومن أجلها مع النوع الذكوري. فهل العلاقات بين النوعين هي دائما علاقات تحكّم؟

في العلاقة الجنسية المغايرة. إن الرهان هو إنتاج نوع من الذكورية والأنوثة نتجت من هذه الخلفية التي تشكل التغير الجنسي المعياري المفروض. فكثير من الرجال ذوي علاقة جنسية مغايرة غير معياريين. إنهم يحبون علاقاتهم الجنسية المغايرة، أو يقبلونها ببساطة، لكن لا يعيشونها على نمط الهيمنة، مع القناعة التامة أن الرغبة ينبغي ان تكون رغبة الجميع.

الحقيقة أن "اضطراب الجندر" قد مرت على كتابته إلى اليوم ثلاثون سنة، وأفكاري قد تطورت بعض الشيء منذ ذلك التاريخ. فأنا مؤلفة حيوية للأفضل والأسوأ ... يوجد قالب للعلاقة الجنسية المغايرة يتم من خلاله التفكير في الجندر: إطار للمرجعية، بنية اجتماعية يتموقع فيها الرجل والمرأة أحدهما بالنسبة للآخر طبقا لفرضية معيارية مسبقة صارمة هي التغير الجنسي. ومع ذلك، لا أعتقد أن المشكل هو الرغبة الذكورية

• يرضى بعض الأشخاص بجعل الجنوسة بناء اجتماعيا، لكنهم يعتبرون التقسيم البيولوجي للجنس كمعطى طبيعي. أليست هذه حالتكم؟

• كيف التخفيف من آثار معايير الجنوسة؟

بالطبع، البيولوجيا والفيزيولوجيا وعلم الجينات جزء منا. لا أنكر هذا. لكن أن تؤخذ لذاتها، فإن هذه المظاهر المختلفة لا يمكنها أن تفسر الدلالات الاجتماعية والثقافية للجنوسة. ينبغي ان ن فكر في التفاعلات غير المسببة بين مختلف هذه الميادين. لا يوجد عامل يحدد الجندر بطريقة أحادية: لا تحدد البيولوجيا تعدد دلالات الجنوسة، بيد أن الجندر ليس مفعولا بسيطا للثقافة. يظهر تعقيد الجنوسة في التشابك الفريد لهذه الميادين - تشابك تكون نتيجته دائما غير متوقعة.

في السياقات التقليدية والمعيارية ينبغي توفر شجاعة كبيرة للتحرك. نادرا ما يتعلق بممارسة فردية. أعتقد أن الحركات الاجتماعية هي الطريقة المثلى - أو على الأقل الأكثر سهولة - لتحقيق ذلك. ربما السؤال الحقيقي هو التالي: هل بإمكان الحركات الاجتماعية فتح طرق جديدة لعيش جنسنا وعواطفنا، أمّا لم يسبق لها مثيل، وكانت تعتبر في السابق مستحيلة وغير واردة؟ لا يتعلق الأمر بفتح إمكانات جديدة، ولكن إبداع أمّاط لعيش لا تسبب أي ضرر، وتؤكد على تعقد الرغبة الانسانية، وتحمي الأشخاص "الذين لا يتطابقون مع هذا النمط" من التمييز والعنف أو اعتبارهم مرضى أو مجرمين وحسبهم. وأعيد القول إن وضع معايير الجندر موضع تساؤل تبرز مع الحركات الاجتماعية وفي قلبها، من خلال شبكات تجتهد في تخيل بدائل لرباط معياري لا يحتمل.

• ترى الفيلسوفة الأمريكية نانسي فريزر أن النضالات النسوية (LGBTQI) غير كافية لتحدي الرأسمالية. لأنها قبل كل شيء، تتعلق بالاعتراف وليس بإعادة التوزيع. ما رأيك؟

(أ سنة 1980] في إطار ليبرالي، فلا هي ولا هم يدافعون عن المعارك الراديكالية التي اندلعت في جميع أنحاء العالم. وبالمناسبة، وأثناء الحديث عن "التوزيع"، سيكون من الحكمة التطرق إلى التوزيع غير العادل للقيمة التي تنسب للكائنات الحية: إن حياة أشخاص (LGBTQI) المستهدفة بالعنف والاقصاء، كثيرا ما تعتبر أقل "أهمية" من حياة الآخرين. انظر إلى العنف الذي يتعرضن له النساء والمتحولين بأمريكا اللاتينية وتركيا! لا يتعلق الأمر بمسألة "الاعتراف" بقدر ما يتعلق بمسألة الحق في عيش حر، دون وجوب الخوف على حياته.

والفقراء والمشردين [بدون مأوى]؟ ما القول في الارتباطات بين الأوساط الماركسية ونظرية (كويرز)؟ والتحالفات العديدة بين (كويرز) والحركات ضد الرأسمالية؟ إن الأشخاص (LGBTQI) كثيرا ما يكونون محرومين من حقوقهم، ومن الفرص المهنية، وحتى من المسكن. ربما يكون المشكل هو أن نانسي فريزر قد أذابت ماركسيتها في فكرة "إعادة التوزيع". هل يسمح هذا الإطار بالتفكير حقيقيا في الاستغلال والتهميش والعنف البوليسي؟ فريزر تفكر مثلها مثل (حملة حقوق الإنسان) [جماعة الدفاع عن حقوق LGBTQ، تأسست في (و.م.

لم تنتم نانسي فريزر في يوم ما لحركة (LGBTQI) [ما يطلّح عليهم تجاوزا بالشواذ من كل الأنواع]، وبالتالي فعلى أي مقياس نأخذ كلامها بجِد؟ ما القول في جماعة الدفاع عن Queers [من لم يحس بالانتماء إلى جنس معين]

• ما هو أكبر رهان للحركة النسوية حاليا بالنسبة لك؟

كما هو الأمر دائما: الفقر والأمية والعنف.



المشاركة السينمائية المغربية في الدورة 24 بمهرجان الشاشات السوداء بالكاميرون

" الدورة 24 عصارة الإنتاج السينمائي جنوب جنوب " | ثلاث عبد العزيز صالح

ب - في صنف الوثائقي المطول

أول ما يثير الانتباه في هذه الفقرة هو الانتاجات المشتركة ما بين دول الجنوب والتي تهم أفلاما ما بين الجزائر والطوغو وإنتاج و ما بين تونس وبوركينا-فاسو وآخر ما بين انغولا والكونغو الديمقراطية والبقية من الكاميرون وتونس والسنغال ومدغشقر ويشترك الشريط المغربي : أشمخان لمخرجه عامر الشرقي، و أشمخان هو احتفاء بأحد الأصناف الموسيقية المغربية ذات الامتداد الإفريقي ويتعلق الأمر بالموسيقى الكناوية الشريط له اول مشاركة دولية والتي ستعقبها مشاركة دولية أخرى بالمهرجان الرقمي لمدينة "كوطون البنينية" خلال شهر دجنبر القادم، وشريط اشخمان عرض لأول بالدورة الثامنة للمهرجان الوثائقي لمدينة زاكورة وخرج بجائزي السيناريو والنقد .

د - في صنف الشريط القصير

وضمن فقرة المسابقة الخاصة بالشريط الروائي الطول الدولي يتشرح لجوائز هذه الدورة 19 شريط من الطوغو، واريتريا ، وساحل العاج ، والبنين ، وبوركينا-فاسو، وتونس ، وإفريقيا الجنوبية، والكونغو الديمقراطية، وكوادالوبي، والانتاجات مشتركة "جنوب جنوب" تهم دولتي الكاميرون وهايتي ومابين رواندا وكينيا والمشاركة في هذه الفقرة تخص المخرج بلال طويل بشريط يحمل عنوان " شرخ " ويقارب المخرج احد المشاكل الأسرية الحديثة، مشاكل وليدة الصناعة الرقمية والتي زحزحت العلاقات ما بين مكونات الأسرة داخليا وخارجيا في علاقتها مع المحيط. الشريط مرشح كذلك للمشاركة بالدورة الأولى لمهرجان الهواة ببوركينا-فاسو أخرى بالمهرجان الرقمي لمدينة "كوطون البنينية" في دجنبر القادم وحصل على الجائزة الثالثة بمهرجان وادي زم للسينما والتراث (فبراير 2020).

وللإشارة فالمهرجان تنظمه " جمعية الشاشات السوداء" منذ سنة 1997 تاريخ أول دورة له، ومن المنتظر أن يناقش في ندوته الرئيسية موضوعا آتيا : " أزمة السينما، السينما في أزمة كوفيد 19 وفرص استعادة الرهانات السينمائية " ، ومن بين فقراته كذلك : "شاشات الأطفال " والتكوين السينمائي " 10 أيام لإنجاز شريط سينمائي حول الجائحة " والمهرجان جاء بالخصوص كرهان استراتيجي ثقافيا لدول إفريقيا الوسطى المتكونة من 8 دول ودولة الكاميرون من بين هذه المجموعة الإفريقية والتي تطمح لتكون متكاملة فيما بينها عبر اتفاقيات اقتصادية بتوحيد العملة فيما بينها واتفاقيات ثقافية ويعتبر هذا المهرجان واحدا من بين نتائج تقارب دول إفريقيا الوسطى .

بعد تأجيل الدورة الرابعة والعشرون نتيجة انتشار " الجائحة القاتلة " وبعدها كان منتظرا تنظيم الدورة في شهر يوليو الماضي ستحتضن مدينة، "ياوندي"، عاصمة الكاميرون، دورة جديدة للمهرجان خلال الفترة الممتدة ما بين 31 أكتوبر و7 نوفمبر 2020. دورة جديدة لمهرجان يعني بالانتاجات السينمائية والتلفزيونية سواء الروائية أو الوثائقية القصيرة والمطولة. ومن خلال قراءة أولية لبرنامج المسابقة والذي يبرز بشكل جلي، وبشكل يمنح لكل الأفارقة بالافتخار "إفريقيا الحرة"، حيث أن أكثر من نصف الانتاجات المشاركة في هذه الدورة هي من "عصارة جنوب جنوب" وهذه التوجهات صارح من اجلها الرعيل الأول لصناع السينما الإفريقية والذين ترفعوا في عدد من المنتديات وقدموا ملتزمات للحكومات الإفريقية.

اليوم الرعيل الأول اغلبهم غادرونا نهائيا، وهذا المكسب " الإنتاج جنوب - جنوب " تحقق مع التطورات الرقمية التي عرفتها صناعة الصورة وتخلص مدراء التصوير من "رعاب فرص ربح زمن التصوير ويمكن أن يكون متحكما طبعا خطوة " الإنتاج جنوب - جنوب " هي قديمة منذ كانت الصناعة السينمائية ميكانيكية ومع التطور الرقمي للصورة سيتيح ذلك إمكانيات التعاون شرط التخلص الإجراءات الإدارية المعقدة، وقد نعيد الحديث عن هذا الموضوع الذي ألهمني إياه لوائح المسابقات لهذا المهرجان يهدف إلى "الرقمي بالسينما في إفريقيا، وبالخصوص بدول إفريقيا الوسطى"

المهرجان يتضمن مسابقات مفتوحة لصناعات وصناع الصورة في الكاميرون ودول إفريقيا الوسطى وباقي دول القارة ومن بين فقرات الدورة المسابقات: المسابقة الدولية، والتي تتضمن ثلاث أصناف، الروائي والوثائقي المطولة والشريط القصير:

أ - في صنف الوثائقي المطول

وفي صنف الروائي المطول تشارك عشرة أشرطة من الكاميرون البلد المنظم وغانا وزيمبابوي والكونغو الديمقراطية وأوغندا ونيجيريا وناميبيا والمغرب الذي يشارك بشريط: هلا مدريد.. فيسكا بارصا لمخرجه عبد الإله الجوهري الذي يعالج فيه وبطريقة كوميدية الزواج ما بين الدين والسياسة والرياضة من خلال أحد محترفي السياسة من أنصار فريق ريال مدريد وقد حول الشغف بالفريق إلى مقياس لمعرفة إتباعه الحقيقيين من المنافقين له.

أكثر الأيام صمتا في الثمانينيات...

"لم تتم تسمية الكثير من الأشياء في هذا العالم، وحتى تلك التي تمت تسميتها لا يوجد لها وصف دقيق"

سوزان سونتاغ

الذي بصقت فيه، ستختفي في نهاية الجزء الثالث من الرواية بعد جزئين من السعال المريب، حاولت أن أسعل بعد شربة الماء لأقطع الطريق على البكاء. لم أستطع. كان صمتا طويلا بخيال واسع، وداخل رأس كل واحد منا حكاية عن حياة دون أب، لم يكن لعبة ذلك الاختفاء المفاجئ للكلمات في أفواهنا بل خوفا من أن نحزن إلى الأبد لو نطقنا بكلمة واحدة. مددت يدي نحو إناء الماء للمرة الثانية كمن يبحث عن نور كشاف داخل جبّ.

من هذا المرتفع الشاهق الذي تسلقته بمشقة وعذاب طيلة أكثر من عشرين سنة أنظر إلى ذلك اليَوْم الصامت كما لو أنه الوحيد في سنة ألف وتسعمائة وثمانين، وما سيصير بعده حَوْل كل ذلك الحزن إلى مجرد خصلة واحدة من جديلة الأيام المتشابكة التي تلتها. لا تكفي تسميته الموت، إنه موت الأب، لا يكفي أن تشرح ذلك لأبناء أصغرهم في الخامسة من العمر ولا لابنة في الرابعة عشر، وحتى لو صاروا في الثلاثين، لا نفع يرجى من ذلك. شَرَح ذلك الموت وإن استطعت، أرسم له حدودا وفيزياء.

ظللنا قافلين أفواهنا بحزم شككنا أننا قد أصبنا بوباء رغم أن الصمت لم يرد في قائمة الأوبئة. لم نقدر على فك حصار هذا الوجوم، خائفين من الانهيار لو نسبنا بكلمة واحدة، ألقى بي في تلك اللحظات داخل بئر. مددت يدي نحو إناء الماء وأوشكت على أن أخفي بالكامل. تذكرت البطلة في رواية كنت أقرأها، تعيش في باريس ما بين الحربين، داخل فندق "الريتز" تحديدا، البطلة التي تصمت فجأة لأنها اكتشفت دما على المنديل

كنا قبل ذلك بدقائق نتحدث ونضحك بصخب. ثم فجأة ودون مقدمات بدأنا طقس صمتنا المريب. لم يستطع أي واحد منا إضافة جملة واحدة. تذكرنا على الأرجح صخب أبي صيفا محاطا بنا سعيدا كطفل. مررنا بيننا ذلك الصمت المشحون مثل سيجارة محشوة شربنا منها بالتناوب كل واحد يأخذ نفسا ولا يتعداه حتى يترك قسطا للذين بعده، صامتين ومتضامنين ككل المدمنين. صمت، ولا شيء غير الصمت، لم يتجاسر أحد على كسره،



◆ سلوى ياسين

لم يكن يوم الجنازة ولا اليَوْم الذي تلاه ولا الشهر الذي بعده. كان يوما آخر تصرف في حياتنا مثل العقدة في المنشار. ستة أبناء وبنات ينتظرون الأشياء التي توضع عادة على المائدة في هذا الوقت الغامض من العشية، أطول يوم في السنة على الأرجح. "سويس" ينبح في الخارج نباحا متواصلا كان لغة خاصة بي، صراخ اليأس القاتل الذي التف حولنا، ونحن ننتظر "رابحة" لتضع "الصينية" على مائدة أكلنا حولها ساعة من الصمت. مائدة ظلت أمي لسنوات تردد أنها من خشب الزان، من يكثرث؟ فهمت حينها ما شكل وكيف هي رائحة خشب الزان، الآن فقط لأن الحزن هو أفضل المحاليل الكاشفة.



الوشم والكتابة



يعد الوشم أو التوشيم ممارسة اجتماعية، ارتبطت بالثقافة الإنسانية منذ القدم؛ إذ استعمل كنوع من التعبير عن أغراض مختلفة من قبيل: استعراض التاريخ، الانتماءات القومية، جذب الحظ وزينة للنساء... وتتحول هذه الأغراض بحسب الثقافة والفترة الزمنية. وقد ارتبط الوشم أيضا بالعصابات والقرصنة، فمثل هوية أشخاص منبوذين أو خارجين عن القانون. وإذا نبشنا في تاريخ الإغريق نجد أن التوشيم كان وسيلتهم في تمييز العبيد عن سواهم من الأحرار، والرومان اعتمده في كشف هوية الجنود الذين لهم رغبة في الفرار. تستخدم في اللغة الإنجليزية للدلالة على وصمة العار (stigma) وماتزال الكلمة اللاتينية.

عرفت الثقافة المغربية انتشار هذه الظاهرة بشكل موسع عند الأمازيغ، خاصة النساء؛ إذ كن يستعملن الوشم رمزا للخصوبة ودلالة على إمكانيةهن على تحمل مسؤولية الزواج والأمومة، من خلال رموز لها علاقة بالطبيعة والحيوان، كما استعملنه زينة لإبراز جمالهن.

إن الوشم وسيلة للتواصل والتعبير اللغوي غير اللفظي، يتيح الإمكانيات نفسها التي تتيحها اللغة في التعبير، بل يكون أحيانا أكثر بلاغة واقتصادا. إذ يضحي الجسد مكانا مميزا

للكتابة، يمكن النظر إليه كنص حاضن لعناصر اللغة المختلفة؛ النحوية "اسم/فعل/صفة"، الهندسية "أشكال هندسية"، نباتية وأيقونية. فتنقل الكتابة بذلك من نرجسيتها الثقافية إلى مستوى أيقوني رمزي (الوشم) ممثلا بذلك نحتا لذاكرة الإنسان وبوحا بمكنونات عمقه من آمال وآلام.

◆ ذ: المسكين خديجة

حَمى الحب

♦ محمد بلحميدي

يلتحق بمعهد الشرطة كما جرى الاتفاق، وأنه سيدرس الفلسفة في الجامعة. ثارت ثائرة الأب الفلاح وهو يحمل منجلا فوق كتفه في طريقه إلى الحقل. "فلسفة". "وماهي هذه الفلسفة يا بني؟"

الفلاح والفلسفة. هل من رابط يجمع بين الاثنين؟ لماذا حلت هذه الفلسفة هاهنا فجأة في حياة الفلاح؟ شَبَّهَهَا ابنه بالأسمدة التي ينثرها على الأرض لتجود عليه من باطنها. فكّر الفلاح بأنه سيستغني عن الأسمدة مستقبلا، لأن ابنه كما قال سيصير فيلسوفا، ولا شك سيحظر معه الكثير من الفلسفة. "ما أحوج هذه الأرض إلى الفلسفة".

أيقن هذه المرة بأنه أمام أنثى مختلفة. "ما لها لا تشبه البقية ممن عرفتهن، أصبح غيبا وطفلا طيِّعا أمامها، لا أدري ما أقول". لَجَّت إلى تلايبه فأيقظت شيئا كان نائما في أحشائه. "هل اخترت أن أكون عبدا؟". يقال أن "الحب رق وديٌّ وعبودية اختيارية". أجاب:

- لا يا حمقاء. إن من وضع قلبا داخل صدري هذا الذي تتوسدينه لم يضع مثله بين أضلاعك أنت.

أرادت أن تنصت إلى كلماته وهي تنظر إلى عينيه، تؤمن أن العين تفضح كل ما هو مبطن، فجلست القرفصاء قبالة ثم ردت:

- ما الفرق إذن؟ كلاهما يضخان دما ويحبان. بنبرة الفيلسوف المحب قال:

_ الفرق في الحب. قلب الأنثى يتغدى على الحب. يَصُحُّ الحب. غايته الحب. يُعذبه الحب. يَمُتُّ الحب. مع ذلك لا يعيش إلا بالحب. قلب الأنثى زهرة ماؤه الحب وقاطفه المحبوب. حبيبا كان أو زوجا أو ابنا.

سرى الدفاء إلى أوصالها وازدهاها ديب الكلمات وهي تغازل أذنها، أحست بسعادة عارمة فأسبلت أهدابها، كأنها ستغظ في نوم عميق بحلم لذيذ. تبتغي خلود اللحظة وتوقّف الزمن. تداركت:

- لا بد لكل ذي قلب أن يحب...

نظر إلى السماء، بينه وبين زرققتها طائرا. ربما مهاجران "كيف اتفقا على أن يهاجرا معا هل بينهما ميثاق؟ هل خيط قلباهما بخيط مخصوص لكيلا يفترقا؟ خيط الحب الذي لا ينقطع". أطرقت نحوها ثم قال:

- نحن. نحن الرجال نستطيع أن نُبقي أحاسيسنا في النقطة الميتة، أن نمارس الحب من طرف واحد ونكتفي، كالأرض القاحلة العطشى تنتظر مياه آخر الشتاء لترتوي وتزهو. أما حب الأنثى فهو نداء روح وجسد، حب أسمى وأبقى. أرض مروية امتلا جوفها، ففاضت تسقي ما حولها. كانت نبرة صوته حلوة وعذبة توقظ الروح

وتحرك النفس من خمولها كما توقظ رائحة العطر شهية الناقلين.

أمسكت بيده، تحسستها، لينة أصابعها. أرادت أن تستفزه:

- أصابع قلم. لا يظهر بتاتا أنك ابن فلاح، هل كنت تهرب وقت حمل المناجل والمعاول...!!

امتعض، ولكنه ردّ باتزان:

- كان أي الفلاح الحكيم يقول: "المعول أحمله عنك اليوم فاحمل أنت عني القلم"

نظر إلى ساعته اليدوية بعفوية استعاد شيئا من وعيه. دَوَّخت هذه الجميلة رأسه، سحرته، بدا أبله يجيب عما سألته وما لم تسأله. قال:

- إنها الثانية، لا بد أن المحاضرة بدأت.

انتفض، فكر في أن يحضنها قبل أن يذهب، شيء ما داخله منعه. "أنا أحبها. لكن كيف؟ أنا لم أختَر أن أحبها. وهل الحب اختيار؟ نختار من نحب أم هم يختاروننا! اكتفى بتحية باردة، لكنها بادرت هذه المرة، شدّت على معصمه بقوة حتى تصلب في مكانه... فم فاغر وكف على الخد... أفاق من دوخته فيرول في اتجاه باب الكلية...

"أول خطوة. فلنكن مباركة. ها أنا سأقتحم هذا العالم الذي لطالما نسجت أحلامي داخله دون أن أراه". التفت ليري الحافلة كأنه يودعها أو يشكرها، فقد أوصلته إلى برّ الأحلام التي ستتحقق أو لا تتحقق. المهم أنها الآن تجربة لا بد أن يخوض غمارها. لا يدري لماذا تذكر خطوته الأولى بالمدينة. تلك الخطوة التي قطعت مع الأحلام الريفية في ليالي القرية الطويلة، فاسحة المجال لأضواء الحياة الجديدة لتنير طريقه. نفحة من الشوق لفحت قلبه المتمرد. طافت به هذه الأنثى أمامه. أشرقت ابتسامتها الساحرة من ثغرها ترمي خيوط شبكة لتصطاد قلبه العنيد. كانت تضع رأسها فوق صدره تتوسده. تحب أن تُعدّ دقات قلبه، تُطربها، تُحسب أن لدقات القلب رسائل مشفرة يمكن أن تفهمها. كانت أنامل يديه تسبح في خصلات شعرها الحريري المغدودن في حركة بطيئة ببطء اللحظة. افترشا حشيش حديقة قرب كلية الآداب. تحوم فوق رأسيهما عصفير بزرققتها كأنها زغاريد عرس، وينصتان إلى نشيش شجرة الزيتون التي ضلت قصتهما الفتية. ينتظران محاضرة قادمة. همست بصوت أنثوي خافت:

- من منا يحب حبيبه أكثر..؟

فاجأه السؤال. احتاج إلى مهمة طويلة ليفكر، ليطوع الكلمات، علّها تنجده. تنقذه من هذا الموقف. همّ ليطبع قبة على جبينها ربعا لمزيد من الوقت. أحست بروحها في وفاق تام مع جسدها بفعل القبلة. أضافت بعد أن لاحظت ملامح وجهه المكفهرة:

- هل صعب هو سؤال... إلى هذه الدرجة؟

كان كل زملائه في الجامعة يتهافون على نصائح منه فيما يخص استدرج الأنثى. اغتابه صديق له مرة: "محظوظ هذا اللعين، جمع بين أقصر طريقين نحو قلب الأنثى: وسيم وكذاب". قاطعه آخر: "وجه أبرار وفعل أشرار، لكنه ذكي أيضا وفيلسوف".

لُقب ب"وسيم القرية". في صباه، كانت أمه تسعد في مجمع النساء حين يتمازجن فيما بينهن، كل امرأة تتمناه زوجا لابنتها وترجو من الأم أن تعتني بصهرها المستقبلي، ثم يقهقهن وتتعالى زغاريدهن فرحا بالعريس الوسيم. فارغ الطول، عريض المنكبين، شعره أميرى خفيف، ملامحه الملائكية تتوسطها عينا ساحر بابلي. وسامته لا تتفق وملابسه التي يغلب عليها الطابع الريفي. جسد فلاح رغم أنه لم يحمل يوما معولا ولا فأسا. تمتم ثم أجاب:

- قلبا عاشقين لا يمكن أن يوضعا في ميزان إلا ومالت إحدى الكفتين..

لُوحت له بوردة ابتسامتها هنيهة ثم أخفتها، كأنها تعاتبه لأنه توقف عن الكلام. فتاة تكاد أن تُطلّ على العقد الثالث من عمرها. أزهر ربيع أنوثتها مبكرا. تُقبل على الحياة بعفوية بدوية. بها آثار من جمال القرى الأطلسية الساحرة. عيناها لؤلؤيتان، عُصبتها صافيتان، كأنهما لم تدمعا قط. وبؤبؤا عينيها بلون الليل. سحناتها تشتهي العين أن تفترسها طويلا، طُبع

على خديها نُوتتان خفيفتان، حمرة رُمّانية تُوشح وجنتيها، عرنين أنفها اللطيف، وجه كأما جمع كل محاسن الأنوثة. وعنقها الطويل النال تحت عظمها الترقوة ساحر كشلال تشتهي أن ترتشف منه "جُجمة" ماء بملك، ثوبها الليلي زاد من نضارة وصفاء لون بشرتها. كانت أنثى. وأشدّ الأعضاء أنوثة فيها هو قلبها النسوي. أحبت اللغات، الإنجليزية بالتحديد. كانت تحلم بأن تصبح مدرسة. سألت:

- كَفَّتْ التي تميل أم كَفَّتِي؟

أجاب:

- تُحرك يد الحب الميزان فتميل كفة.. تميل كفة القلب الذي وسع الأرض والسماء.

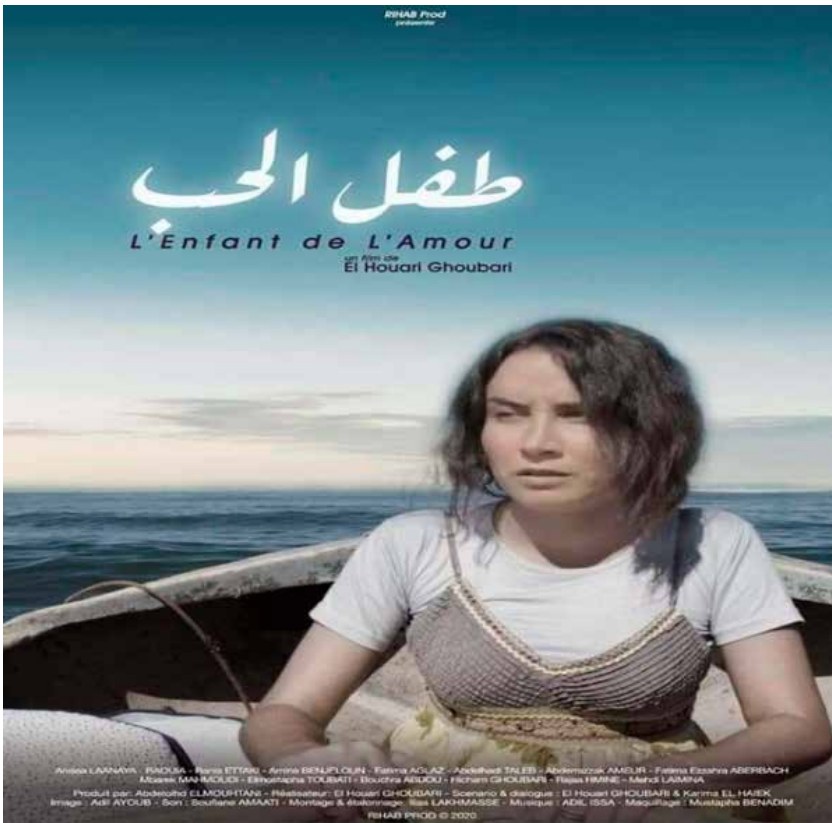
كانت من أولئك اللائي تثيرهن عذوبة اللسان وسحر الكلمات ونسقتها. لكنها نهلت من الروايات والقصص ما لا يحصى من ذلك كله، فلم تكن مستعدة لتحب أي رجل يريد الزواج. سألت:

- ممم، هل هذه فلسفة للحب!؟

كان والده الفلاح يحلم أن يرى ابنه شريطا يرتدي الزي الرسمي، ليتباهى بين أقرانه الفلاحين في القرية مبرّبة ابنه. لكن الابن فاجأ أباه حين اتصل به في صباح يوم مبكر وأخبره أنه لم



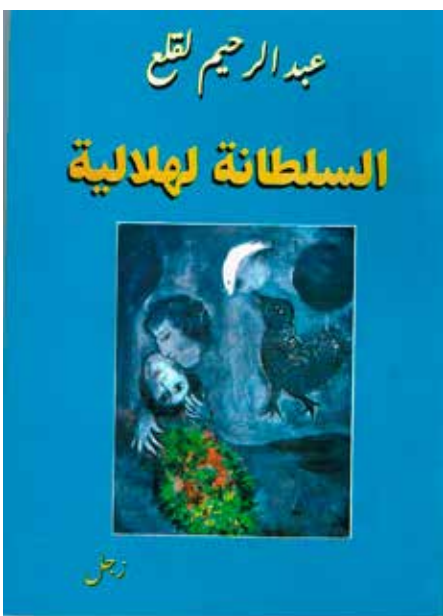
ترويج مغربي لفيلم طفل الحب بـ بروكسيل



توج فيلم طفل الحب للمخرج الهواري غباري بجائزة الجمهور لمهرجان أفلام الجنوب الذي ينظم بالعاصمة البلجيكية بروكسيل في 16 أكتوبر 2020، وهي الجائزة الوحيدة التي يمنحها المهرجان، وجاء التصويت على فيلم طفل الحب بعد نقاش مفتوح مع الجمهور بحضور مخرج الفيلم، نقاش دار حول قيمة الفيلم وجانبه التقني.

وبخصوص الأفلام المشاركة حافظ المهرجان على تنوعه باختيار أفلام من مصر، لبنان، فرنسا، بلجيكا، لوكسمبورغ، سوريا، الجزائر، إيطاليا وتونس بالإضافة إلى المغرب، حيث شارك كل من فيلم "مداد أخير" ليزيد القادري، وفيلسوف لعبد اللطيف لفضيل، و "الدار البيضاء جميلتي" ليلي لمسفر. عن الجائزة يقول المخرج الهواري غباري: "سعيد جدًا أن يفوز فيلمي برضى لجنة الاختيار وأن يتوجه الجمهور بجائزة، خصوصا أنها المشاركة الأولى للفيلم في ظل الظروف الراهنة وأيضا من مهرجان له مكانته وحضوره. تجدر الإشارة إلى أن "طفل الحب"، فيلم يقارب إشكالية الحريات الفردية، وهو من بطولة أنسة لعناية، أمين بنجلون، راوية، عبد الهادي طالب، مبارك المحمودي، رانيا التاقي، مصطفى التوباتي، فاطمة أكلاز، فاطمة الزهراء أبراش والممثل قادم عبد الرزاق ولد عامر، وكتب السيناريو كل من كريمة الحايك والهواري غباري، وأنتجته شركة رحاب برود لعبد الواحد المهتاني.

كتاب صدر | التعبير عن الخواج والإحساسات الزجل



ليجعل من هذا الفضاء موضوعا لأحد نصوصه الزجلية الممتعة، التي أرخت لفترة زمنية بطوقسها وعاداتها وحرفها..

لكن ما يميز هذا الديوان الجديد، هو أنه أخذ منحى مغايرا على مستوى الشكل والمضمون، حيث تناول جانبا جماليا في التعبير عن الخواج والإحساسات بنبرة تكريمية للذين تركوا بصمة واضحة في مشروع الشعري، وخاصة أبويه، مما جعل الشاعر أن يختار عنوانا دلاليا عن هذا الاعتراف الجميل. "

النصوص الزجلية لبعض الشعراء من بينهم أحمد مسيح، مراد القادري، ادريس أمغار المسناوي، ادريس الزاوي، ادريس بلعطار، عزيز محمد بن سعد، محمد مومر، عزيز غالي، عبد اللطيف البطل، بوعزة الصنعاوي وغيرهم..

لكن تجربة الزجال عبد الرحيم لقلع، باستقلاليتها وتميزها، هي التي أثار فضول اهتمامي بهذا المعطى التراثي، الذي يجبل بالمشاهد الوصفية للأمكنة والأزمنة، وهي التي تركت في ذاكرتي شذرات من تفاصيلها، على مستوى التركيب اللغوي في شقه الإبداعي والفني، بعدما سمعتها من خلال الإلقاء الممتع والمتكرر لهذا الشاعر المخضرم في إبداعه الآتي من تخوم التاريخ القديم والحديث، من مدينة (فضالة) (المحمدية حاليا)، التي تركت في وجدانه شخا عميقا، والتي استوحى من فضاءاتها كل الدلالات والمعاني والأفكار، محملا بثروة لغوية غابرة أو تكاد تنعدم، لبحيي وينفذ ما تبقى منها، مستعينا بحسه وإدراكه المعرفي بكل الأنجاس الإبداعية المرتبطة بقول الزجل، من الطرب الغرناطي والأندلسي مروراً بالملاحون والشكوري ووصولاً إلى مملكة العيوب بكل أعلامها وأصنافها وأصولها وأمكتها مع دراسة حيثيات وظروف وجودها، تلك الظروف التي نشأت في أحضان سوق فضالة بكل ما كان هذا الفضاء يحتويه من فرجة بأنواعها المختلفة، وبصناع الفرحة أمثال (خليفة) وغيره من (الحلايقية)،



♦ عبد الرحيم لقلع

صدر للشاعر الزجال "عبد الرحيم لقلع" ديوان زجلي جديد اختار له عنوان "السلطانة لهلالية" عن مطبعة دار القرويين بالدار البيضاء، وهو الديوان الثالث بعد ديواني "الراس بحر" و"سلطان لحروف".

وعن هذا الديوان الجديد يقول الفنان التشكيلي شفيق الزكاري الذي صمم غلافه:

"عادة ما لا ننتبه للغة زماننا، ولا لحيويتها وعدميتها إلا في وقت لاحق، أي بعد مرور حقبة زمنية تأتي بما بطن منها وما ظهر، من خلال كتابات تعيد استنبات مفهوما معنى واصطلاحا، سواء عن طريق المؤرخين والنقاد المهتمين بالتراث الشفوي، أو عن طريق الشعراء الزجالين الذين يحفرون في أسرار اللغة بسمك عمقها ودلالاتها، مع إحيائها لتصبح محط انبهار الأجيال اللاحقة، لما كانت تحتوي عليه من دلالات وتشبيهات تحمل تعددا في المعنى والخيال، وهذا ما لمسناه مؤخرا في

طوّقت الريح حاصرتها
تشبّثت بالأرض كي لا تقع
كابرت / تمايلت
تمنّعت / تملّمت
سقط الورق
تعرت السوءة
بانث الفاكهة
هبت الريح
عصفت الريح
ما أبقت ولا درأت
ثم.....
سقطت أمامه
شجرة هامدة

أفاقّت من الريح
تذكّرت
اصفرت من الوجع
اخضرت من الخجل
في غفلة أوقرت
أهمرت / نضجت
كذّرّاق تدوّرت
ثم.....
دنت إليه
شجرة غاوية

طوّقت الريح حاصرتها
لا تشبّثت بالأرض كي لا تقع
لا كابرت و لا تمنّعت
سقط الورق
تعرت السوءة... بانث الفاكهة
هبت الريح
عصفت الريح
ما أبقت ولا درأت
ثم....
سقطت من عينه
شجرة غاوية

هدأت الريح
خمدت الريح
استغفرت
مسك الليل اغتسلت
ثم.....
بفتوى تبيّحت :
كلهن من شجرة زانية...

غدر الزمن في رواية "حيث لا تسقط الأمطار" لأحمد ناصر

للتو، من العصر الوسيط. فلا الموضوعات التي يناقشها مع أصحابه كانت تهمك، ولا الأسماء التي كانت تتقاذفها أفواههم أليفة إليك، ولا الموسيقى التي كانوا يستمعون إليها ويميلون رؤوسهم طربا أو غيابة كانت تحرك فيك ساكتا... (الرواية ص 186). ثقافة الأب ومرجعياته لم تكن تعني الابن بتاتا، لذلك خط لنفسه مسارا ثقافيا مغايرا محفوبا بالكثير من المخاطر، إذ كلفته محاولة تهريب كتاب ممنوع للنيني كي ووسم جسده بالنار من طرف السلطة وسما سيطلع جسده إلى الأبد. كان هذا العقاب العنيف أول عقاب تعرض له السارد، منذ كان مراهقا، بسبب إصراره على أن يكون حرا في اختياراته.

أما على المستوى الإبداعي فقد اختار الشعر كوسيلة للتعبير عن الذات وما يتنازعها من أهواء ورغبات. وحتى على مستوى الكتابة، لم يلتزم بالطرق المعتادة والمألوفة، بل ظل يبحث، باستمرار، عن أشكال مغايرة ومختلفة. يقول في هذا الصدد: "أمام نافذة تطل على شارع، حيث رأيت طائرا يرصد هدفا لا تراه، رحت تدبج كتابك الأخير. كتاب كتبك كلها، قررت أن تنحو منحى مختلفا هذه المرة. لأن هذه المرة مختلفة. فليست هناك صحيفة أو مجلة تنتظر أن تلقي إليها بضعة من لحكمك (وهذه كتابة متطرفة عن الكلمات، استخدمتها كثيرا من دون أن تدرك معناها، كان يعجبك جرسها فقط). (الرواية ص 41). كما أنه لم يلتزم بطريقة واحدة في الكتابة إذ ظل يحاول، باستمرار، اقتراح طرق جديدة كلما أحس أن طريقته السالفة، في الكتابة، لم تعد تسعفه في التعبير. وتحتوي الرواية على العديد من التأملات والآراء النظرية حول الكتابة والشعر والخط الشيء الذي جعل النص يتغذى بخطابات نقدية كثيرة سرت في أوصاله وأنعشتها.

أما على المستوى السياسي فهو لم يكتف باختيار تنظيم سياسي معارض للحكم بطريقة جذرية وعنيفة فحسب، بل اضطلع، داخل التنظيم، بأكثر المهام خطورة ومغامرة. فقد سبق له أن حمل رسالة، من شأنها أن تؤدي بحياته، من التنظيم إلى الزعيم المنفي خارج البلاد، وعاد برسالة لا تقل مضامينها خطورة عن الأولى. كما تم تكليفه بأكثر العمليات خطورة في تاريخ التنظيم، الذي ينتمي إليه، وهي اغتيال الحفيد.

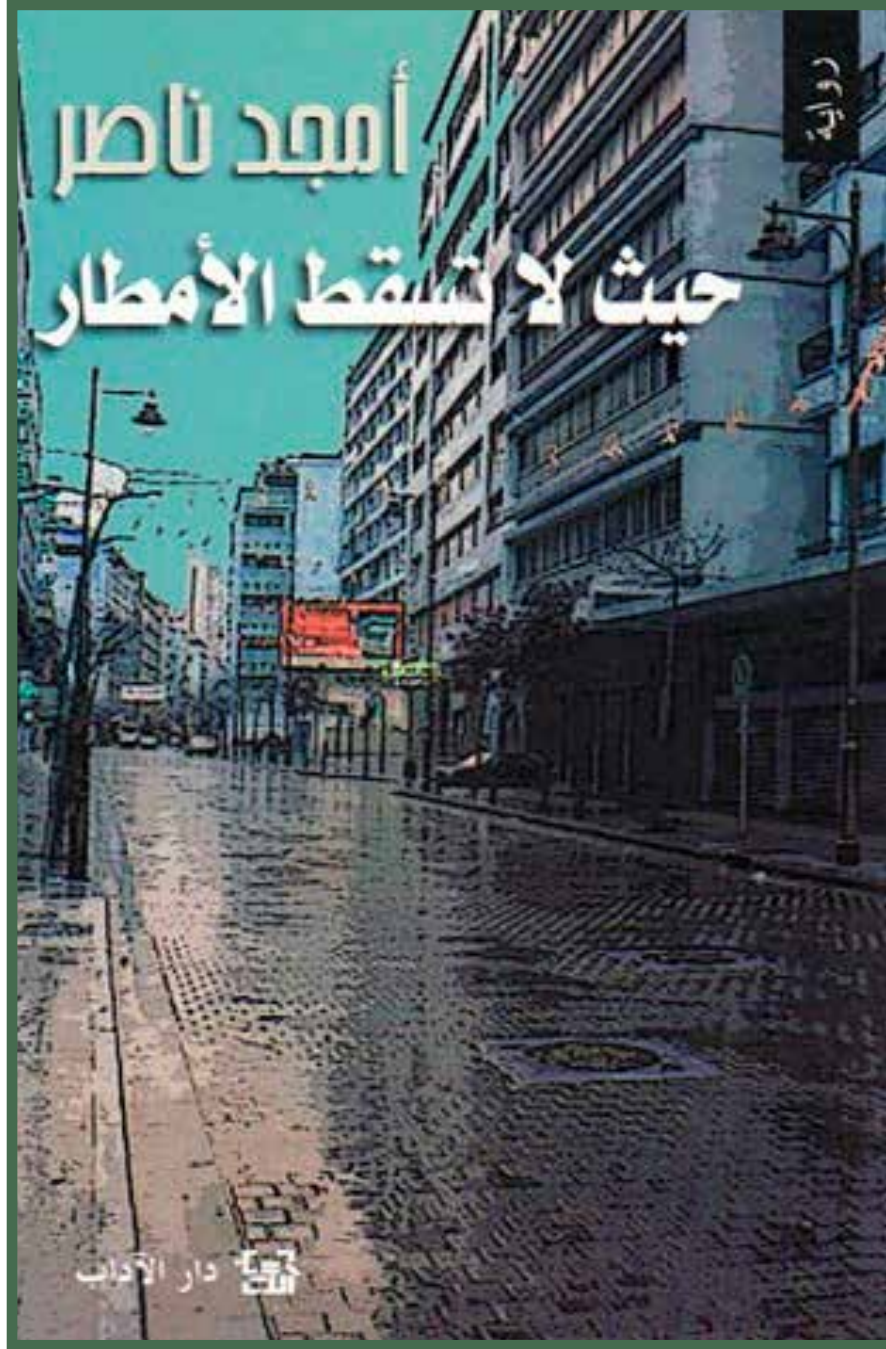
إن هذا النزوع الجذري في شخصية يونس يبين مدى توقه إلى القضاء على كل ما من شأنه أن يحول دون الإنسان وحقه في أن يكون حرا متحررا من جميع القيود. ولم يكن ثمن هذا الاختيارات هينا، فقد عاش قسما طويلا من حياته في المنافي بعيدا عن

فمن خلال المسار السردى للبطل يتضح أن الهاجس الأساسي الذي ظل يؤرقه طيلة حياته هو الانحياز الجذري للحرية رافضا كل ما من شأنه أن يحد منها أو يعوقها. فقد ظل يتعدى، منذ يفاعته، عن سيرة والده الذي كان يشتغل كخطاط لدى الحاكم. ورغم أن الأب لم يكن شخصا عاديا، بل كان مثقفا متصوفا وخطاطا فنانيا مولعا بسيرة "ابن مقله" الخطاط العربي الشهير الذي انتهت حياته بطريقة مأساوية إلا أن كل هذه المزاي لم تستطع أن تقرب بين الابن ووالده. كما كانت سهرات يوم الخميس التي دأب الأب على تنظيمها

السارد، في هذه الرواية، أن يتحدث عن نفسه بصيغة المثني: يونس وأدهم. الأول ذاق مرارة المنفى والابتعاد عن الأهل والوطن، والثاني لم يهاجر إلى الخارج. وبين أدهم ويونس توجد الكثير من التشابهات إلى درجة يصعب التمييز بينهما أحيانا. لعبة القرين هي واحدة من أهم الخصائص الفنية التي اعتمد عليها الكاتب في تشكيل الهوية الملتبسة والمتشظية لبطل روايته. ينتمي يونس الخطاط إلى أسرة قريبة من الأسرة الحاكمة، إذ كان والده من المقربين من دائرة الحكم. أحب يونس، منذ يفاعته، الشعر والأدب وقضايا



◆ عبد المجيد الحسيني



ويستضيف فيها بعض أصدقائه لمناقشة قضايا الخط والسياسة والأدب والتصوف بمثابة حصص للتعبير للابن الذي كان يفرض عليه حضورها. يقول: "...كان والدك يجبرك، أحيانا، على حضور بعض تلك الخميسات وكنت تنوس بين السأم والنعاس وسط رجال بدوا لك طالعين،

السياسة، وسحرته الأفكار اليسارية الثورية. فانخرط في حزب سري قصد النضال من أجل الحرية والعدالة. وبعد محاولة فاشلة للتخلص من "الحفيد"، حاكم البلاد، تم تهريبه بمعونة مناضلين آخرين خارج البلاد. غير أن فشل محاولة اغتيال "الحفيد" عرضت التنظيم لمحنة غير مسبوقة.

جاء أحمد ناصر إلى الرواية عن طريق الشعر لأنه يعد واحدا من رواد الحداثة الشعرية، وقصيدة النثر خاصة، في العالم العربي. رواية "حيث لا تسقط الأمطار" هي رواية عن الاستبداد والنضال والمنفى والحب والانتهازية والشعر والصدقة وغيرها. غير أن موضوع غدر الزمن تبقى، في نظري، واحدة من أهم الموضوعات التي حاولت، هذه الرواية، مقاربتها. تبتدئ الرواية بعودة السارد من المنفى بعد عشرين سنة من الغياب ليبدأ مرحلة جديدة في اكتشاف ما افتقده من أصدقاء وأماكن وأهل وذكريات. غير أنه سيكتشف أن مياها كثيرة جرت تحت الجسر وجرفت ما كان يعتقد أنه ثابت لا يريم. فكيف تفاعل السارد مع وطأة الزمن في هذه الرواية؟ وكيف وجد الأماكن والناس والأشياء التي تركها خلفه منذ عشرين سنة؟ وهل توفّق في رتق ما كان يحسّه في أنه من تمزق وانفصام؟

تحدث، هذه الرواية، عن عودة بطلها وسارد أحداثها إلى بلده "الحامية"، بعد عشرين سنة من المنفى. ومن خلال عملية السرد، الذي يأتي عن طريق الاسترجاع والتذكر، نتعرف على أهم الأحداث والشخصيات والأماكن التي حفل بها هذا النص. تجري الأحداث في فضاءات وجغرافيات متباينة ومتعددة أثر السارد أن يسميها بتسميات رمزية غير حقيقية مثل: "الحامية"، "المدينة الرمادية والحمراء"، "جزيرة الشمس"، "بلاد السندباد"... وغيرها من الأماكن التي احتضنت رحلة السارد وبعض رفاقه لما

يربو عن عشرين سنة. انطلقت الأحداث من بلاد "الحامية" التي تشبه في نظامها السياسي أغلب البلدان العربية المحكومة من طرف أنظمة ثيوقراطية مستبدة تمارس الرقابة المطلقة على كل ما من يسائل سياستها. اختار

غدر الزمن في رواية "حيث لا تسقط الأمطار" لأحمد ناصر

قراءة الأشياء وفهمها بطريقة أخرى. كان يونس ينزل، بين الحين والآخر، لم رسم والده، ويطيل التأمل في الخطوط واللوحات والكتب التي خلفها. وكأنه، بهذا الصنيع، كان يود، لا شعوريا، مصالحة الوالد الذي لم تكن علاقته به على ما يرام حين كان على قيد الحياة. وما كان يثيره أكثر في هذا المرسم احتفاء والده الكبير بـ"ابن مقلّة". هذا الخطاط الذي عاش حياة من البذخ والغنى والسلطة غير أن صروف الدهر انقلبت عليه وعاش محنا عجيبة، وقتل بطريقة بشعة بعد أن قطعت يده ولسانه... يقول عنه السارد: "تعجب من المصير الذي آل إليه الرجل. لم يكن يعرف أنه تعرض لتلك المحن والميتات العجيبة. فقد كان وزيرا لثلاثة من الخلفاء... ونفي ثلاث مرات ومات ثلاث

ميتات، ودفن في ثلاثة قبور." (الرواية ص 241). محكي ابن مقلّة ينضح بالكثير من المرارة والألم. وتوجد بين حكاية السارد وحكاية ابن مقلّة الكثير من التواشجات لأن كلاهما اكتوى بغدر الزمن وتقلباته لذلك كان السارد يقف واجما أمام بعض أقواله المأثورة، كقوله: "فلا تأسفن على غدر الزمان فكم رقصت على جثث الأسود كلاب." (الرواية ص 240).

لم يؤثر الزمن على الأشياء التي لها علاقة بالسارد فحسب، بل أثر، أيضا، على شخصيته التي أضحت ممزقة بين اثنين، ويعمل جاهدا على ترميم هويته الممزقة والمتشظية "صرت

أسأل عن سر تواجدي، في الوقت نفسه، في مكانيين متباعدين أو مع امرأتين مختلفتين، مع أنني لست من أصحاب الخوارق." (الرواية ص 224). كما أن تركيزه على ضمير المخاطب أكثر من ضمير المتكلم يرجح هذا التناقض الذي كانت تعيشه أنه التي أصبحت تدرك، من حين لآخر، أن أحلامه، في هذه الحياة، قد انتهت، وأن جميع الأبواب التي كان يأمل عبورها قد أوصدت في وجهه إلى الأبد، لذلك نجده يتماهى مع شخصية النبي يونس الذي ابتلعه الحوت: "اسمي الأول... لنبي. لكنه نبي هامشي. لا أعرف ما هي رسالته. يقال أنه كان في "نينوى" يحاول هداية قومه إلى الصراط المستقيم فلم يفلح. تركهم. هام على وجهه. ذهب إلى البحر ثم ابتلعه الحوت." (الرواية ص 226).

يחס بهذه الخيبة على المستوى السياسي أو الاجتماعي فحسب، بل كان يحس بمرارتها أيضا، على المستوى العاطفي. فهو لم يستطع أن ينسى "رلي" لذلك عندما رآها تمر بالشارع، ذات مرة، بعث خلفها يونس الصغير ليستقدمها إلى المنزل بدعوى أن عمته تود رؤيتها. فظلال هذا الماضي هي التي كانت تشوش على علاقته بزوجه في أكثر من مناسبة. ولعل مرد هذا الإخفاق يعود إلى جرعات الحلم والقلق والتوثب التي كانت تطبع شخصيته منذ كان طفلا. وقد كانت أمه دائما تتنبأ له بهذا المآل لأنه كان كمن يسير على أرض ملتبهة. وبقي على هذا التوثب والتحفز، حتى في مرحلة اليقظة والشباب، شأنه شأن أحد أبطال دوستوفسكي الذي كان يردد بأن

كان السارد يتعرف عليها سواء من خلال "خلف" أو من خلال الطفل يونس ابن شقيقه.

لقد أضحى يونس الصغير بمثابة عين ثالثة يرى، من خلالها السارد، الأشياء بعد عشرين سنة من الغياب. قاده، في البداية، إلى مرسم الأب، وحكى له الكثير من الأشياء عن والديه قبل رحيلهما، كما ظل يجيب عن أسئلته حول ما طال البلدة والناس من تحولات. وفي الأخير أخذه إلى المقبرة لزيارة قبري والديه. وقد انتهت الرواية نهاية لا تخلو من دلالة، فبينما هما في المقبرة كان طائر جارح يحوم حولهما مما اضطرهما إلى مغادرة المقبرة. وقبل المغادرة منح السارد حارس المقبرة الأخرس قطعة نقدية تنتمي إلى زمن ولي. فهذه النهاية

وطنه وأهله وحببته عمره "رلي". لذلك عاش ممزقا بين ذاتين: يونس وأدهم. واحدة بالخارج وأخرى بالداخل.. دفعتمنا، أنت وقرينك، أو الشخص الذي كنته، فمن فعلتك. هو بقي شبحا، أو مسخا، لا يكبر ولا يصغر، محتفظا باسم وحياة "قصفا في المهدي". (الرواية ص 23)

لا يتجلى نزوع يونس نحو الحرية في علاقته بالأب أو السياسة أو الكتابة فحسب، بل علاقته بالمرأة، هي الأخرى، كانت تشوبها الكثير من الالتباسات. فقد كانت تجمعها بـ"رلي" علاقة حب حقيقية عندما كان بـ"الحامية" وعندما هاجر تزوج فتاة مناضلة متحررة تتقاسم وإياه الكثير من الأشياء لكن رغم ذلك لم تكن علاقتهما دائما على ما يرام بسبب إصراره على أن يكون حرا.

عندما عاد إلى "الحامية" بموجب عفو شامل على المعتقلين والمنفيين بعد وفاة "الحفيد"، وجد يونس الكثير من الأشياء تغيرت ولم تعد كما كانت في الماضي. فاليسار كما كان يعرفه تغير بشكل كبير ولم يعد عدوا للسلطة لأنه ظهر عدو آخر أشرس وأعنف وهو الحركات الإسلامية. فبدأت السلطة تفتتح على أعداء الأمس لتواجه الأعداء الجدد. في هذا السياق سيكون لقاء يونس برفيق الأمس "محمود أبو طويلة" الذي كان من كوادر التنظيم إلا أنه اقتنع بالاشتغال مع النظام وصار مسؤولا إعلاميا نافذا. حاول محمود إقناع يونس بشتى السبل بحكمة

التقارب مع النظام من أجل التغيير من الداخل معتمدا في ذلك على ما كان يسميه بـ"نسبية الشر". إذ أن شر النظام، في نظره، أهون من شر "الموجة الظلامية الكاسحة" غير أن يونس لم يكن مستعدا أن يقايفض على حريته كيفما كانت المبررات.

عشرون سنة لم تكن كفيلا بتغيير العديد من رفاق الأمس فحسب كمحمود، بل تغيرت فيه الكثير من الأشياء سواء منها الأماكن أو العادات أو الشخص أو غيرها. فقد كان للزمن، في هذه الرواية، وقعه الحاد على نفسية يونس. فالوالدان توفيا، والكثير من الأصدقاء جرفتهم مشاغل الحياة نحو مسارات أخرى. أما "رلي" عشيقته في زمن الشباب فقد صارت امرأة أخرى بعد وفاة والدها في محاولة اغتيال الحفيد... وغيرها من التحولات التي



أحمد ناصر يوقع روايته.

اثنين في اثنين ثمانية. يعد هذا النزوع الحاد والمتشدد في شخصية يونس سمة مميزة له لذلك كان التنظيم يقترحه للمهام الأكثر خطورة كما سلف.

رواية "حيث لا تسقط الأمطار" ليست مجرد رواية عن الصراع الضاري والعنيف الذي عرفه العالم العربي بين المثقفين والسلطة، وليست مجرد رواية عن المنفى وأوجاعه... بل هي، أيضا، رواية عن الزمن ومكره ومفاجأته التي تباغت الإنسان من حيث لا يدري. وقد تم تشخيص هذا المكر، الذي ينطوي عليه الزمن، بسرد ذاتي ينبثق من أعماق الذات ويرد إما بصيغة المخاطب أو بصيغة المتكلم ويرشح بالكثير من الشجن والأسى خاصة لأنه كان يحاول إعادة تركيب أجزاء الماضي ليس بدوافع الحنين والنوستالجيا، بل بالرغبة في إعادة

تبين أن يونس لم يستطع أن يتفاعل مع الحاضر وظل سجين الماضي. كما أن الطيور الجارحة لا تنقض إلا على جثث الموتى، وكان يونس، بدوره، لم يعد كائنا حيا فاعلا، بل صار مجرد جثة تتحرك لأنه لم يستطع أن يتحرر من ماضيه وينخرط في مسارات جديدة.

تجربة يونس، في هذه الرواية، ليست تجربة فردية، بل هي تجربة جيل من أبناء اليسار الذين حلموا بالثورة والتغيير إلا أن قساوة الواقع كانت أقوى من تطلعاتهم. لذلك فإن خيبة يونس هي تعبير عن خيبة جيل برتمته، وخبية مرحلة بأمانيتها وتضحيتها وآلامها. وما التركيز على الحالة الصحية ليونس الذي كان يسعل باستمرار ويبصق الدم بين الحين والآخر إلا تكتيف لهذه الخيبة. ولم يكن يونس

منتج فيلم "حياة مجاورة للموت" في حوار لجريدة الطريق:

للجمهور المغربي الحق في مشاهدة الفيلم والكرة في ملعب التلفزيون



المخرج لحسن مجيد والمؤلف عبد الواحد المهتاني.



ملصق الفيلم.

سبق ولقي فيلم "حياة مجاورة للموت" الحائز على ثلاثة جوائز في مهرجان العيون، متابعة إعلامية واسعة وتنويها من طرف النقاد والمتابعين بعد العروض ما قبل الأولى وكذا في مهرجان طنجة، وهو ما أثار رغبة الجمهور المغربي في مشاهدة هذا العمل، والذي يعتبر وثيقة سينمائية تاريخية لامست تيمة معاناة ساكنة الصحراء بمخيم تندوف وقضية الصحراء المغربية، عن أسباب هذا التأخر وسر نجاح الفيلم وتفاصيل أخرى حول "جمهورية الصحراء حلم استعماري" يحدثنا المنتج وكاتب السيناريو عبد الواحد المهتاني من خلال هذا الحوار.

محكم وجمالية، إلى جانب خرائط دينامية وثلاثية الأبعاد، وهنا يحضر عنصر الاستقصاء الصحفي، مع استثمار العديد من التجارب الإنسانية ورسد معاناتها السيكلوجية والجسدية في أقوى لحظاتها خارج السياق العادي والمألوف بتوزيع الحالات حسب مجرى التاريخ الواقعي، مع إبراز ما وراء فعلها في حلبة الصراع، بتجسيده عبر مشاهد تمثيلية، تضع المشاهد في قلب أجواء روائية سينمائية. إنه عمل جماعي بامتياز، قاده المخرج لحسن مجيد بتعاون مع إدارة الفريق التقني والفني فضلا عن المنتج وكاتب السيناريو، ثم المشرف على المونتاج.

جريدة الطريق : هل هناك من إكراهات واجهتم أو تفاصيل أخرى لم يتطرق لها الفيلم والمتعلقة بـ "جمهورية الصحراء حلم استعماري"؟

المنتج عبد الواحد المهتاني : نعم، يكفينا الإشارة إلى وثائق لها أهمية كبيرة لم نستطع العثور عليها، أو تجاهلت بعض المؤسسات الوطنية مراسلاتنا المتعددة حولها، وأخرى في حوزة الهيئة العليا للسمعي البصري بفرنسا تفحصناها وما كان بمقدورنا اقتناءها لكونها باهظة الثمن على مستوى الدقة الواحدة، وهناك إكراه يتعلق بكتابات مفكرين وسياسيين مغاربة لها قيمة سياسية بالغة، تعذر علينا توظيفها لصعوبة اختزالها، كنموذج على ذلك كتابات الشهيد عمر بن جلون في موضوع "جمهورية الصحراء حلم استعماري قديم"، حيث تحدث في إحداها حول موقف الجزائر من "تقرير المصير بين الأمس واليوم"، وكيف قامت فرنسا بين سنتي 1959 و1961 بإقامة كيان مصطنع في الصحراء الشرقية الجزائرية، على أساس "مبدأ حق تقرير المصير" و "وجود كيان عند الشعب الصحراوي"، بين فيه فشل هذه المحاولة بفضل موقف الشعوب المغربية، لبشير بأن "المسؤولين الجزائريين، الذين عرفوا نفس المحاولة وعرفوا مراميها اختاروا بالنسبة للحالة المغربية الموقف الغريب المتحالف مع الاستعمار الإسباني"، وسيحيط بالأحداث التي رافقت مشروع بلقنة الجزائر الذي وظفت من أجله فرنسا شخصا يسمى حمزة بوبكر الذي جمع حوله 54 مثالا عن المناطق الصحراوية، ثم استشهد بموقف الثورة الجزائرية من مفهوم مبدأ تقرير المصير، تبعا لهاته الحالة أورد بعض ما جاء في صحيفة المجاهد (عدد 79 المؤرخ ب 15- 4- 61): "عندما قبلت الحكومة الجزائرية مبدأ حق تقرير المصير قبلته لكل التراب الجزائري بما فيه الصحراء الجزائرية، وليس فقط لـ 12 محافظة في الشمال". وأيضا ما أوردته مجلة المجاهد بتاريخ 19 أبريل 1961: "مبدأ وحدة التراب الوطني بالنسبة لنا أساسي، فبين مناطق شمال الجزائر وجنوبها علاقات بشرية واقتصادية وتاريخية لا يمكن الطعن فيها، فسكان ورغلة تميميون، الوادي، توكورت، عين صالح، اعتبروا باستمرار أنفسهم جزائريين وتصرفوا من هذا المنطلق". فما الذي تغير بالنسبة لحكام الجزائر كما يقول الشهيد، ف "عوض الصحراء الشرقية صارت الصحراء الغربية".

جريدة الطريق : لماذا لم نتح للجمهور المغربي مشاهدة فيلم "حياة مجاورة للموت" منذ عروضه الأولى بالبيضاء والرباط ومهرجان طنجة والعيون، رغم أهميته البالغة كوثائقي نادر حول تيمة الصحراء وملابس الاحتجاز بجيحات تندوف؟

المنتج عبد الواحد المهتاني : للحصول على تأشيرة العروض الثقافية أو التجارية يقتضي الأمر تزكية من لجنة الدعم، غير أن هاته الأخيرة كانت في حاجة إلى تعيين رسمي سيظل معلقا لأسباب ظلت مرتبطة بتأخر تشكيل حكومة العثماني، وحين عينت وجدت أمامها الكثير من الملفات، ولم تشاهد الفيلم وتزكيه إلا بعد وقت طويل، وهو ما أثر على ترويج الفيلم من خلال بعض المهرجانات الدولية، باستثناء مهرجان الشاشات السوداء بالكاميرون، حيث تم اختيار الفيلم للمسابقة الرسمية من طرف لجنة الانتقاء، لكن هاته الأخيرة وجدت صعوبة في التحصيل على تأشيرة وزارة الثقافة الكاميرونية، مخافة أن يثير لها الفيلم مشاكل دبلوماسية مع الجزائر، الإمكانية الثانية، هي المشاركة في سوق الفيلم بـ تينيريف بإسبانيا، هنا التقينا بالعديد من الموزعين ومديري القنوات التلفزيونية ومن ضمنهم مدير البرمجة بالقناة العمومية لجزر الكناري، والتي كانت لديها نية اقتناء الفيلم، لكن قبل اتخاذها للقرار ستحل لجنة كوفيد-19 على العالم، لتعيد كغيرها من القنوات ترتيب أولوياتها على مستوى الاقتناء، بعض القنوات الدولية اهتمت أيضا بالفيلم، لكن مدته الزمنية (96 دقيقة) حالت دون ذلك، فما يتماشى مع برمجتهم يجب أن لا يتعدى 62 دقيقة كحد أقصى. على المستوى المحلي قمنا بما يتعين علينا بتوجيه نسخ من الفيلم لكل القنوات الوطنية، والآن الكرة في ملعبهم، نحن لا نبحث عن صدقة أو نرتزق باسم القضية الوطنية، بكفينا أننا أنتجنا عملا مشرفا بلغت كلفته الإنتاجية أكثر من ثلاثة أضعاف حجم المبلغ الإجمالي للدعم، ولا زالت الشركة مكبلة بالديون، وسوف لن نحرم الجمهور من مشاهدة الفيلم، سواء عبر ترويجه في مختلف المدن المغربية ولو بمقابل رمزي لتسديد جزء من الديون، وعبر منصة اليوتيوب. فنحن نسقط، نهض، نتعثر، لكننا نواصل، شعارنا "تفاؤل الإرادة وتشاؤم العقل".

جريدة الطريق : اعتمدتم في الفيلم مقاربة تاريخية، سياسية، حقوقية، اجتماعية، فكيف استطعتم التحكم في مجرى السرد؟

المنتج عبد الواحد المهتاني : "جمهورية الصحراء حلم استعماري قديم"، ذلكم كان الخيط الناظم للبناء الدرامي للفيلم، وما ترتب عن هذا المشروع في مختلف مستوياته الاجتماعية والحقوقية والسياسية هو مجرد نتائج لتلك المقدمات، والتي أفرزت ما عاشته وتعيشه المنطقة من تداعيات، حاولنا تكثيفها واختزال العديد من تفاصيلها، كالممسك بقصيدة شعرية، يعترىها الوضوح، مسنودة بمعلومة دقيقة تفصح عنها وثائق رصينة، وضعت في سياق

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة



♦ يوسف الطاهري - فرنسا

ونحن نعيش الذكرى 55 لاختطاف واغتيال الشهيد المهدي بنبركة، ارتأينا إعادة تركيب تفاصيل الجريمة، من خلال تصريحات، وإفادات من عايشوا الجريمة، ومن خلال الاستنطاقات والاعترافات التي واكبت تلك المرحلة الحرجة جدا من تاريخ المغرب.

في أواسط شهر أبريل من سنة 1965 وصل رجل يدعى الشتوكي إلى باريس، لبحث عن متعاونين من أجل التخطيط "للتقرب" من المهدي بنبركة. ولم يكن يُعرف عن هذا الاسم الذي جاء على لسان الشهود المتورطين في عملية الاختطاف الشيء الكثير غير أنه قائد مصلحة للمخابرات الأمنية المغربية.

في 17 ماي وبتوجيه من المخابرات الفرنسية سيسافر أنطوان لوبيز إلى المغرب ويلتقي بمحمد أوفقي ليعرف هل فعلا تم العفو عن بنبركة. بالموازاة سيبعث الشتوكي عن أشخاص يقربونه من بنبركة وسيصل بصديق المهدي، الصحافي فيليب بيريني Fi- dipe Bernnier، وسيقترح عليه أموالا وصلت حد ثلاثين مليون فرنك فرنسي ليساعده في تحقيق المهمة. ويصرح بيريني أنه أطلع عبد القادر بنبركة شقيق المهدي بالفخ الذي يخطط له الشتوكي من أجل الإيقاع بالمهدي. كانت للشتوكي

علاقة مع أحد المنحرفين الذين لهم علاقة بشخصيات نافذة في المغرب. فيطلب منه البحث عن شخص قد يتمكن من تحقيق العملية، فيقترح بوشيش على الشتوكي منحرفا آخر يدعى جورج فيغون. هذا الأخير سيقبل التعاون مع الشتوكي بمقابل مالي كبير، سيقترح على الشتوكي بأن

يعمل على إغراء فيليب بيريني بإنجاز فيلم سياسي حول حركات التحرر يشارك في إعداده المهدي بنبركة ومن تم يمكن الإيقاع بالمهدي إلى باريس.

ذلك ما سيقع بالفعل ورحب بيريني بفكرة فيغون، واتفقا على أن يكون جورج فيغون هو منتج الفيلم، ويكون المخرج هو جورج فرانجو Georges Franju، Marguerite Duras مارغريت دوراس كاتبة للسيناريو.

وبدأت عملية تنفيذ الفكرة بسفر بيريني وفيغون إلى القاهرة للقاء المهدي في بداية

ثلاثة أسابيع كان موعد جينيف حيث غاب المخرج Georges Franju عن اللقاء، وهناك سيحدد بنبركة موعدا آخر وهذه المرة في باريس على الساعة الثانية عشرة والربع في مقهى ليب الكائن في شارع سان جرمان دي بري بالحي اللاتيني.

مشهد الاختطاف

في أجواء خريفية كثيفة متميزة بطقس بارد وشيوع ضباب كثيف وسقوط رذاذ مطر في باريس والنواحي، حطت طائرة في



مطار أورلي حوالي الثامنة و خمسة وأربعين دقيقة من صباح يوم الجمعة 29 أكتوبر من سنة 1965. نزل منها رجل قصير القامة يرتدي معطفا جليدا ونظارة سوداء عريضة، وبينما كانت العيون تتقرب خطواته وهو يمشي في المطار، كان آخرون يفتشون حقيبته بعيدا عن أنظار العيون.

سبتمبر 1965، وكان الشتوكي هو الآخر في القاهرة لمتابعة ما يجري بين المهدي وبيريني وفيغون وذلك باعتراف من أنطوان لوبيز.

رحب المهدي بالفكرة واقترح عنوان الفيلم باسطا Basta، وضرب معهما موعدا ومع طاقم الفيلم في مدينة جينيف. وبعد

كان بنبركة في جنيف قادما إليها من القاهرة حيث اكرت شقتين هناك وقد كان يشعر بأنه مهدد، وكان يفضل أحيانا أن يقطن في منازل بعض رفاقه. ومن عادته توخي الحذر، لكنه هذه المرة لم يكن حذرا كما من قبل. ربما لأنه مطمئن على حياته بعد أن حصل على ضمانات السلطات الفرنسية في شهر غشت الماضي على ألا يمسه سوء وهو مقيم بفرنسا. تعرض بنبركة إلى محاولة اغتيال سابقة في المغرب ببوزنيقة، وكانت سيارة للأمن قد حاولت تجاوزه و ألفت سيارته في الوادي. وقد خلفت الحادثة رضوا في عموده الفقري. وأياما قبل اختطافه، تعرض لمحاولة اغتيال في جنيف وهو يتجه نحو مرآب لصديق فنزويلي، وقد نجا بصعوبة.

من مطار أورلي سيتصل هاتفيا بالشاب التهامي الزموري الطالب في شعبة التاريخ، وكان يعتزم تعريفه بطاقم الفيلم الذي يشكل موضوع موعد مقهى ليب. الفيلم اختير له موضوع المقاومة ضد الاستعمار في إفريقيا، وقرروا تسميته BASTA.

حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف حطت سيارة أجرة

قريبا من مقهى ليب بشارع سان جرمان دي بري، قادمة من جهة زنقة Rue de dragon، نزل منها المهدي والشاب التهامي الزموري، وبدأ المهدي يتصفح معرض الكتب في مكتبة La pochade. آنذاك كانت سيارة من نوع بيجو 403 سوداء واقفة غير بعيد عن مقهى ليب.

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة

ساور المهدي الشك وبدا قلقا شيئا ما. وأخبره الشرطيان أنهما سينقلانه إلى مكان من أجل لقاء أحد المسؤولين والذي يريد الحديث معه في موضوع ما. وظن المهدي أن المسؤول المقصود هو موظف كبير في الأمن الفرنسي، وقد يكون رئيس المخابرات DST مما جعله يقول: أنا على يقين بأي لم أقم بأي شيء ضد فرنسا. وقال إنه كان في ضيافة الرئيس شارل دوغول مؤخرا، وتحدث معه في مواضيع عديدة. آنذاك أخبره الشرطيان أنهما يجهلان موضوع اللقاء، لكن المسؤول أصر على أن يكون اللقاء في منزل في نواحي

لأنه انتهى العمل باللوحه الحديدية منذ سنتين. وكان من ورائها سيارة أخرى يركبها كل من المجرمين باليس Palisse ودوباي Dubail وهم أعضاء سابقين في عصابة جو عطية.

يقول جورج فيغون لصحفي الإكسبريس، إن الشرطيان أخبراه أن بنبركة كان يظن أنهما سينقلانه إلى مطار أورلي، وطلب منهما السماح له بالعودة إلى مقر إقامته ليأخذ حقيبته إن كانا سينقلانه إلى مطار أورلي لمغادرة فرنسا.

في الطريق السيار الجنوبي ساد الصمت في السيارة، وعندما تجاوزت مطار أورلي

Figon ذلك في تصريح لصحافي مجلة الإكسبريس.

في الطريق إلى فيلا فونتناي لو فيكونت Fontenay -Le-Vicomte

اتجهت السيارة نحو مطار أورلي جنوب باريس وهي سيارة للشرطة الفرنسية تحتوي هاتفيا، حاول الشرطيين قبل ذلك تزوير اللوحه الحديدية لرقم السيارة إلى لوحه بلاستيكية لكن المجرم Le ney أخبرهما أنه من المستحيل فعل ذلك

وعلى مقربة من المقهى، كان هناك رجل طويل القامة يضع نظارة سوداء و شاربا مثيرا يتنقل ذهابا وإيابا لأمتار معدودة وعيناه مصوبتان في اتجاه باب المقهى ويحاول التخفي حتى لا يراه المهدي. إنه مدير محطة أورلي أنطوان لوبيز Antoine Lopez الإسباني الأصل، والذي عرف باسم "الصابونية" بحكم تعلقه في علاقته بكبار الشخصيات ومن أجل تحقيق مصالح ذاتية، من حيث المناصب أو الأموال. وقد تدرج في مهنته واشتغل كمسؤول عن الخطوط الجوية الفرنسية في طنجة، وله علاقات قوية مع كبار الدولة المغربية. واعترف أنطوان لوبيز أنه قد تسلم منذ عشرة أيام قبل الحادث، النظارتين والطربوش والشارب المزور من الشرطيين فواتو Voito وشوسون Chos-son.

فجأة تقدم شخصان بزي مدني إلى المهدي، وعرفا بهويتهما أنهما من الشرطة الفرنسية من خلال شارة التعريف، وطلبا منه بطاقة التعريف. وبعد أن اطلع عليها الشرطي شوسون أعادها إليه، ودعا أن يتبعهما من أجل لقاء أحد المسؤولين في الدولة. لم ييدي المهدي أي رفض، ولم يعامله الشرطيين فواتو Voito وشوسون Chosson بأي ارتياب.

اتجه الشاب الزموري راكضا وبسرعة وفي حالة هلع وذهول مما حصل، في اتجاه زنقة لاساربونت Rue la serpente، حيث مقر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب أو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية القريب من مقهى ليب، ولم يجد أحدا في المقر. وللتذكير فلمقر زنقة لاساربونت Rue la serpente تاريخ طويل في ذاكرة اليسار، حيث احتضن في البدء منظمة طلبة مسلمي شمال إفريقيا، ثم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، والاتحاد الوطني للقوات الشعبية ليصبح مقرا تاريخيا لجمعية المغاربة بفرنسا التي أنشأها المهدي سنة 1961، وبذلك كان محجا لعدد كبير من القوى اليسارية وحركات التحرر العالمية في إفريقيا وأميركا اللاتينية.

يقول أنطوان لوبيز Antoine Lopez إنه أثناء عملية توقيف المهدي بنبركة، كان كل من المجرمان باليس Palisse ودوباي Duail يقفان في رصيف غير بعيد عن المقهى، وقام جورج فيغون George Fignon قبل أن يلتحق بالمخرج Georges Franju والصحافي Filipe Bernier في مقهى ليب بتعريف بنبركة للشرطيان اللذين أوقفا المهدي. و بينما يؤكد ذلك الشرطي Voito ينفى فيغون George



تمثال لذكرى المهدي بنبركة في أحد أحياء هافانا.

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة



اليوم الموالي إلى جنيف. ثم عاد إليها بعد يومين حيث حضر حفل عشاء أقامته السفارة المغربية رفقة عدد من رجال الدولة الفرنسية.

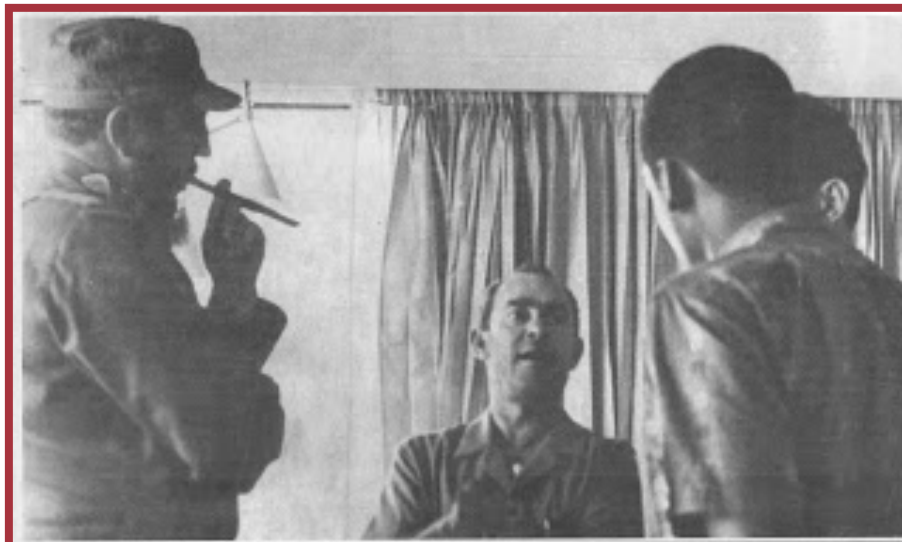
طلب الدليمي من العصابة التقرير سريعا في ما سيفعلون، وأمر بأن يصعد واحد منهم لرؤية المهدي حتى لا يفاجأ. وهم يستعدون لصعود الغرفة، اقترح فيغون أن يتم تنويم المهدي عبر وضع منوم في الشاي، وبما أنهم لا يملكون حبوبا منومة، قاموا بوضع دواء Phener-gan في الشاي.

صعد في البداية المجرم Dubai يحمل كأس الشاي المصحوب ب Phenergan وانتظرت العصابة ربع ساعة بعد ذلك. بعدها صعد جورج بوششيش وبقية العصابة، وبمجرد ما رآهم المهدي ألقى بكتابه جانبا، ونهض من أريكته وصرخ: ما الذي يحدث؟ وقتها وجه له بوششيش لكمة قوية لكنها لم تصبه. ثم هجم المجرمون الآخرون عليه وقاوم ضرباتهم بقوة، ويبدو أن المخدر كان له دور عكس ما كان منتظرا، بحيث جعله لا يشعر بالآلام الضربات التي يتلقاها، يقاتل بشراسة بدون أن يقول كلمة واحدة. وكان دوي تكسير الرفوف وأواني الطبخ يسمع من تحت الطبقة الأولى حسب تصريح فيغون. بعدما حاصروه في كرسي وهو مضرج بالدماء، ووجهه مشوه بفعل الضربات

سيعثرون على الجثة على بعد أمتار من المنزل، من الأفضل أن يتم ذلك في منزل أنطوان لوبيز، يجب توريث لوبيز.

يؤكد لوبيز أن أوقفير حضر إلى باريس يوم 30 أكتوبر وبرفقته أحمد الدليمي والممرض الحسوني، وقام لوبيز بنقل أوقفير إلى فيلا بوششيش Georges Boucheseich، بينما تنقل الآخرون بوسائلهم الخاصة وسلم أوقفير مفتاح منزله الكائن بمدينة Or-moy، حيث أنه في العاشرة والنصف ليلا عاد إلى منزله وسيجد المغاربة الثلاث والذين كانوا غير راضين على وجوده، وبصحبتههم George Figon، بعد ذلك غادر أوقفير الفيلا مصحوبا بالدليمي.

يؤكد لوبيز مرات عديدة أن أوقفير وصل مطار أورلي حوالي الخامسة مساء وغادر باريس على الساعة الخامسة صباحا من



تغيير الكثير من الأشياء وخاصة البوليس. أتعلمون أن البوليس في بلادي فاسد هناك".

كما كان منتظرا في زوال يوم السبت سيصل الدليمي رفقة العشعاشي إلى fon-tenay-Le-vicompt في سيارة لوبيز. وملامح قلق تطبع وجهه، وأخبره Du-bai عما قاله بنبركة عن البوليس المغربي. وبعد ضحكة هستيرية قال: هكذا إذن، يريد تنظيف الشرطة. طيب إنها فكرة جيدة. ثم جرى حوار بينهم ليقترح الدليمي تصفية المهدي ودفنه في أحد الحقول.

يقول فيغون، لا أحد كان يرغب في تصفية المهدي ويضيف اختليت ب Le Ney جانبا، وقلت له: لا تدعهم يفعلون ذلك، خاصة هنا في منزل بوششيش. بعد 15 يوما

باريس بعيدا عن الإعلام.

حطت سيارة بيجو 403 أمام فيلا في مدينة Fontenay-Le-Vicomte حيث استقبلهم المجرم جورج بوششيش Georges Boucheseiche وطلبوا من بنبركة الصعود إلى غرفة في الطابق الأول. في تصريحاته للقاضي Zollinger يقول لوبيز إنه بعد وضع المهدي في فيلا بوششيش، رحل إلى باريس رفقة الشرطيان فواتو وشوسون. وبعدها حاول الاتصال بالجزرال محمد أوقفير ليخبره بأن العملية مرت على ما يرام. وأن محمد أوقفير هو الذي كان يوجه الشتوكي اللغز المحير في القضية.

تعذيب بشع للمهدي في منزلي بوششيش ولوبيز

في المساء نام المهدي في الغرفة، وقامت العصابة بالاتصال بالدليمي وأوقفير، وكان Dubai هو الذي اتصل بالدليمي ليخبره بأن العملية قد تمت بسلام، وأخبرهم هذا الأخير بأنه قادم إلى باريس. بعدها صعد دبي Dubai إلى الغرفة ليخبر بنبركة بأن المسؤول لن يلتحق بالموعد قبل يوم السبت.

كان المهدي يكرر ل Dubai أن فرنسا صديقة للمغرب ويقول: "يوما ما قد أكون وزيرا أول في المغرب، وقتها يجب

جريمة اختطاف واغتيال "الدينامو" الشهيد المهدي بنبركة

الدولي ومنها خصوصا أمريكا وإسرائيل. خاصة في ظروف الصراع الدولي المتميز بالحرب الباردة والثورات التي تعرفها الشعوب المستعمرة، وكذا قدرته على تجميع القوى والدول المناهضة للإمبريالية وتقريب وجهات النظر بين الاتحاد السوفياتي والصين.

نشر الخبر من قبل لوموند يوم 30 أكتوبر وحصل ارتباك وسط الإدارة

الرابعة زولا من نفس اليوم من أحد الطلبة يخبرها بأن زوجها قد تم توقيفه. وازداد القلق يتخذ حجما أوسع في المساء، عندما غاب المهدي عن العرض المسرحي الذي كان هو من طلب من أحد أصدقائه حجز تذكرة.

لقد حجز مقعدين في مسرح La gaité Montparnasse، حيث سيلقى العرض المسرحي Le gouter des généraux. لكنه

القوية التي تعرض لها، نزل الأربعة ليصعد الديلمي والعشعاشي وقاما بتكبيله بجبل أتى به Palisse .

في هذه اللحظة وصل أفقيير وفي محياء وجه قاتل كبير، وخاطب فيغون: هل هو فوق؟ وأجابه الأخير بنعم، ثم أخذ خنجرا واتجه نحو سلم الصعود إلى الغرفة وعندما واجه المهدي قال: طيب إنه هنا. واقترب من المهدي وبدأ يجرح عنقه ثم صدره بالخنجر.

كان يتلذذ وهو يخز لحم المهدي كما يفعل جراح وهو يشرح جثة ليشرح لمتدربين كيف يقومون بعملية جراحية. ثم قال للمجرم شوسون: هيا بنا.

وصلوا إلى منزل أنطوان لوبيز، أنزلوا المهدي من السيارة مغمى عليه ثم أدخلوه سرداب المنزل. وقام شخص مغربي لم يكن في فيلا بوششيش بتكبييل المهدي مع مسخن المياه، بطريقة جعلت المهدي لا يستطيع التنفس. مما جعل Le Ney يقول للمكبيل: دع له على الأقل فرصة

للتنفس. ثم أجاب الأخير: لقد انتهى بنبركة...

بعدها سعد الجميع إلى الصالون، وجرى حوار بينهم واطلع أفقيير على الوثائق التي كانت بحوزة المهدي وقال: بالنسبة لي، لا يتعلق الأمر فقط بتصفية حساب مع عدو سياسي فحسب، بنبركة كان عدو فرنسا وعدو الإنسانية.

بعد الاختطاف

قلق كبير عم وسط عائلة بنبركة، أشعله تلقي زوجته مكاملة هاتفية حوالي الساعة

أيضا. في 5 سبتمبر 1966 بدأت محاكمة المتهمين في قضية اختطاف المهدي بنبركة، وستنتهي في خمسة يونيو من سنة 1967 بموازة مع حرب الستة أيام بين الكيان الصهيوني ومصر جمال عبد الناصر وبذلك لم تشهد المحاكمة اهتماما إعلاميا كبيرا.

بعد استجواب 167 شاهد، تم الحكم

على أنطوان لوبيز ب 8 سنوات سجنا نافذة والشرطي لويس سوشون ب 6 سنوات نافذة. أما الجنرال أوفقيير وعصابة جورج بوششيش والذي يقول عنه الكاتب دانييل غيران Daniel Gué- rin إنه هو من قتل بنبركة، فقد تم الحكم عليهم بالسجن المؤبد. أما أحمد الديلمي فقد حصل على البراءة.

ختاما، ظهرت معطيات جديدة بعد ذلك، ولا يتسع المقال لسردها، و ستبقى أسئلة عديدة مطروحة ومنها أين اختفت جثة المهدي؟

من المدبر الفعلي للجريمة؟ ولماذا يستمر إخفاء المعطيات والوثائق المتعلقة بالقضية من قبل السلطات الفرنسية والمغربية؟

مراجع:

- مقالات جريدة لوموند الفرنسية.
- مقال لصحافي مجلة الإكسبريس جاك درجي وكان جون فرنسا. Le récit d'un témoin : J'ai vu tuer Ben Barka
- كتاب خفايا اغتيال بنبركة للكاتب جاك درجي.

♦ يوسف الطاهري - فرنسا

الأمنية الفرنسية، والتي أكدت أنها لا تملك معطيات تؤكد الخبر. وقام شقيق المهدي بوضع شكاية في الموضوع.

ظل المتهمون هارين، وكان فيغون يتجول في باريس كما عاداته، وأثناء محاولة إلقاء القبض عليه في منزله يوم الاثنين 17 يناير 1966، لقي حتفه بعد تلقي رصاصة في رأسه، وبذلك حرم القضاء من التحقيق مع رجل يعتبر مفتاحا لقضية اختطاف واغتيال بنبركة، وهذا الترتيب ليس مصادفة. أما المجرمون الآخرون فقد لقوا حتفهم في السجون المغربية وقيل أنهم انتحروا، وهذا ليس مصادفة

لم يحضر للعرض مما أثبت الشكوك لدى شقيقه عبد القادر.

لقد كانت عائلته قلقة على مصيره، رغم أنهم كانوا يدركون قدرته على توشي الحذر في تنقلاته. لكنهم كانوا كذلك يعلمون أن دائرة أعداءه قد اتسعت في السنوات الأخيرة، ولم تعد منحصرة في ذوي الجنسية المغربية من أجهزة المخابرات المغربية والقوى التقليدية المعادية للحرية والديمقراطية، خاصة بعد الحكم عليه بالإعدام مرتين. بل هناك جنسيات أخرى انضمت إلى كتلة الأعداء المحليين وتتضرر كثيرا من تحركاته ومواقفه على الصعيد

مدير النشر	عبد الواحد المهتاني	التوزيع	سابريس
رئيس التحرير	يزيد البركة	العنوان	رقم 1 زنقة أحمد الكرنوي الطابق الأول ساحة ماريشال، الدار البيضاء.
سكرتير التحرير	عبد الغني عارف	مكتب الطريق بالرباط	شارع المقاومة رقم 58 حي المحيط الرباط.
المدير الفني	إسماعيل المتقي	البريد الإلكتروني	attarik.journal@gmail.com
المدير الإداري والمالي	لحسن خطار	الهاتف	07 08 80 90 87
الإيداع القانوني	16/2018 ص ح.	رقم الحساب البنكي	BMCE: 011794000045210000323097
المطبعة	ايكوبرينت	النسخة الإلكترونية	www.attarik.net
عدد السحب	5000 نسخة	دورية الجريدة	أسبوعية / شهرية (مؤقتا)
رقم الإيداع	2019PE0068	الرقم الدولي المعياري للدوريات	ISSN 2658 -8161

تحف فنية....

لوحة الرجل الأزرق

لور آن باربييه Laure-Anne Barbier



لوحة لور آن باربييه، مرسومة بالباستيل الجاف، وبدقة التحكم فيهما بين الأصابع على اللوحة، مما يربط آصرة قوية بين الرسام وأصابعه واللوحة.

لوحة الرجل الأزرق، تحفة جسدت ملامح ساكنة الصحراء، بزيها الأزرق المعتاد، والذي يغطي الوجه إلا العينين، اتقاء هبوب الرياح ولفحات الشمس المحرقة.

عبيطة
منعم وحتيالحسانية
كـمـكـون مغربي راقٍ..

الجوانب المشرقة في ثقافة الصحراء، باعتبارها تكتيفا للحكمة وتوثيقا لمعيش الصحراويين، أفراحهم، نوادرهم، أحزانهم، قيمهم، مناجاتهم، عشقهم... وهي المأثورات الشعبية التي تجدها بنفس المضمون، لكن بتحويلات مختلفة حسب اللهجات بين شمال المغرب وجنوبه، شرقه وغربه، ونستحضر في هذا الباب مثلا رائجا بين كتبان الصحراء ويقول: "حَظْرُونِي أَنْكَسَمُ أَلْگَمُ"، بمعنى: دعوني أحضر معكم لأتكلف بالقسمة بينكم لأخذ حقي من القسمة، ويحيلنا هذا المثل بالضبط لرفض تدخل الأجنبي في اختلافات الأهل وتديبرهم لتفاوت تقديراتهم، لأن الأجنبي في نهاية الأمر له مطامع في غنيمة القسمة.

إن المغرب وحدة موحدة بصحرائه كاملة، وبتنوعه الحضاري والثقافي الغني والمتكامل، ولا يمكن السماح بأي نزعة تقسيمية تكسر هرمونيا هذا العيش المشترك الحضاري الانسيابي منذ قرون عدة. ونورد هنا المؤامرة التي أقدمت عليها الجزائر سنة 2002، باقتراح يقضي باقتسام الإقليم الصحراوي بين المغرب وجبهة البوليساريو، وذلك عن طريق إعطاء المغرب إقليم الساقية الحمراء (ثلثي الصحراء) وإعطاء البوليساريو إقليم وادي الذهب (الثلث الباقي)، مقابل غنيمة الجزائر في القسمة بالنفاذ للمحيط الأطلسي.. إن الصحراء المغربية ليست غنيمة للقسمة، والصحراويات والصحراويون وحدة متكاملة مع بقية الأطياف الثقافية واللغوية والإثنية المغربية.. ولاحق لأي أجنبي كيفما كان أن يجزئ لُحمتنا.

إن مخيال المجموعات الإنسانية، يمتدح من المحيط البيئي والطبيعي والثقافي والعلائق الاجتماعية التي تربط بين أفراد هاته الآصرة، لتصل لمرحلة الإبداع الأدبي والموسيقى، والثقافة الحسانية لا تشذ عن هاته القاعدة، باعتبار أن فضاء الصحراء والرمال وصفاء نجوم السماء، سمح بتفجر قريحة ساكنة الصحراء أنهارا من الشعر البليغ والموسيقى الشجية والغناء العذب، وهو ما جعل الموروث الشفهي الحساني من أغنى مكونات الفسيفساء الحضاري المغربي.

إن التعدد الثقافي واللغوي والموسيقي والإثني الذي يطبع المغرب، هو مرتكز قوة وغنى، من المهم دعم تلاقحه وتفاعله في النسيج المجتمعي الواحد، وتذكرك في هذا السياق ارتكاز أغاني ناس الغيوان وهي تنطلق من قلب الحي المحمدي على إيقاعات الموسيقى الحسانية، وكلمات من اللهجة الصحراوية الأصلية "الخنك".. في نفس الاتجاه نجحت المغنية المغربية "أوم" في دمج اللون الحساني بالإيقاعات الإفريقية وبالآلات الحديثة في مكان ولادتها بالدار البيضاء، في مزيج راق لألوان غنائية وهرمونية متعددة تمزج التراث الفني المحلي الحساني والصنهاجي بالعالمي.. فالموسيقى قادرة على تغذية النفس الوجداني للعيش المشترك في حضان الوطن المتعدد الثقافات.

بجانب الموسيقى ونظم القوافي الشعرية في الثقافة الحسانية، تبقى الأمثال الشعبية من

قسمة الاشتراك

الإشتراك	خارج المغرب	بالمغرب
التشجيعي	أفراد 400 درهم	أفراد 200 درهم
مفتوح	مؤسسات 600 درهم	مؤسسات 500 درهم

رقم الحساب البنكي : BMCE: 011794000045210000323097
البنك المغربي للتجارة الخارجية - وكالة البستان - الدار البيضاء

ترسل صورة قسمة الاشتراك وصورة وصل التحويل البنكي على البريد الإلكتروني التالي:

attarik.journal@gmail.com

الاسم الكامل
العنوان

البريد الإلكتروني
الهاتف

الطريق

السيد رئيس تحرير جريدة الطريق المحترم
تحية طيبة وبعد، أرجو قبول اشتراكي
السني في جريدة الطريق، وارسالها على
العنوان الموضح جانبه.